عثمان بك

نفحات تاريخية

" Je veux que mon peuple sache son histoire et que les autres peuples sachent l'histoire du mien."

Fouad I

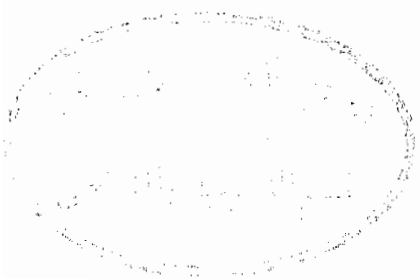

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

هذه كلمات تنم عن الحافز الذى دفعنى إلى كتابة ما كتبت ، ونشر ما كتبت ، وتوزيع ما نشرت ، ابتغاء مرضاة الله وحده . لا أريد عنها جزاء ولا شكوراً ، انما أريد خدمة وطنى ما استطعت .

يجد القارىء :

فى الرسالة الاولى المامة تاريخية من مينا الأول إلى فؤاد الأول

وفى الرسالة الثانية اقتراح وجوب الاحتفال بذكرى مرور الف سنة على تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر

وفى الرسالة الثالثة رحلة السلطان عبد العزيز إلى مصر

وفى الرسالة الرابعة كلام على تاريخ ولاية العهد فى تركيا وفى مصر

وفى الرسالة الخامسة كلام على زوجات حكام مصر من محمد على باشا الكبير إلى جلالة الملك فاروق الأول

وفى الرسالة السادسة كلام على أبناء الملوك

وفى الرسالة السابعة بيان من ولدوا فى شهر نوفمبر من اسرة محمد على

وفى الرسالة الثامنة اسم ولى العهد قديماً وحديثاً

وفى الرسالة التاسعة كلمة على ختان ابن السلطان

وفى الرسالة العاشرة كلام على لقب خديو مصر وعزيز مصر

وفى الرسالة الحادية عشرة كلام على الامراء والوظائف العامة من عهد محمد على باشا الى الآن

وفى الرسالة الثانية عشرة كلام على الامير ابراهيم حلمى

وفى الرسالة الثالثة عشرة كلام على تمثال محمد على

وفى الرسالة الرابعة عشرة كلام على بعض كبار الارمن فى مصر

وفى الرسالة الخامسة عشرة كلام على سليمان باشا الفرنساوى

وفى الرسالة السادسة عشرة كلام على سليمان الحلبى ومقتل الجنرال كليبر فى مصر
وفى الرسالة السابعة عشرة كلام على نابليون الأول وفاروق الأول
وفى الرسالة الثامنة عشرة كلام على أول ابن الملك فؤاد الأول
وفى الرسالة التاسعة عشرة كلام على قنال السويس وتحقيق نبؤة كاهن فرعون
وفى الرسالة العشرين كلام على شهامة سلطان تركيا بعد اقتسام بولونيا
وفى الرسالة الحادية والعشرين كيف ان ثلاث فتيات من جزيرة المارتينيك تواين العرش
وفى الرسالة الثانية والعشرين دعوة لاقامة ضريح وتمثال فى مصر لابن خلدون
وفى الرسالة الثالثة والعشرين : بورسعيد وبورسعد
وفى الرسالة الرابعة والعشرين اقتراح لانشاء متحف لآثار عظماء مصر
وفى الرسالة الخامسة والعشرين كلام على تقدير الرجال وكيف تكافىء انجلترا رجالها
وفى الرسالة السادسة والعشرين وجوب تخليد ذكرى المحسنين
وفى الرسالة السابعة والعشرين ناحية غير معروفة من حياة مصطفى كامل
وفى الرسالة الثامنة والعشرين ذكريات مجيدة للجيش المصرى فى حرب المكسيك
وفى الرسالة التاسعة والعشرين كلام على معاجم اللغة الهيروغليفية
وفى الرسالة الثلاثين كلام على اسماء بعض المدن المصرية
وفى الرسالة الحادية والثلاثين كلمة على اتاتورك
وفى الرسالة الثانية والثلاثين بعض ذكريات تركية
وفى الرسالة الثالثة والثلاثين كلمة على هامش محاضرة عن مصر فى باريس
وفى الرسالة الرابعة والثلاثين كلام على حرب مصر والحبشة
وفى الرسالة الخامسة والثلاثين نظرة فى كتاب « رسائل سائر »
وفى الرسالة السادسة والثلاثين كلام على الحرب الخاطفة ومن أبتدعها
وفى الرسالة السابعة والثلاثين كلام على مركبة الاكل التاريخية التى أمليت فيها هدنتان : هدنة سنة ١٩١٨ وهدنة سنة ١٩٤٠

(٢)

كلمات فى اهمية دراسة التاريخ

"Tout ce qui est fait accompli appartient à l'Histoire. Elle peut toujours s'écrire, c'est affaire de conscience et de tact."

Fouad I

« انى أخاف الله فقط ثم التاريخ »

فيصل ملك العراق

« المؤرخ ليس الرجل الذي يحفظ تواريخ الحوادث و يسردها حسب وقوعها بل من يفهم الحوادث و يزنها و يقدرها و ينقدها نقداً صحيحاً »

بهى الدين برطاث

« للتاريخ عينان عين يبصر بها الزمان وعين يبصر بها المكان »

وقلت :

* * *

« من عرف تاريخ بلاده أحبها واذا أحبها وقف عليها نفسه وما ملكت يداه »

* * *

« ان المصريين أجهل الناس بتاريخ بلادهم »

مستر بانت

"Nous ne voulons servir l'histoire que dans la mesure où l'histoire sert la vie."

Nietzsche.

"Pour bien écrire l'histoire, il faut être dans un pays libre."

Voltaire.

"Il n'y a d'histoire digne d'attention que celle des peuples libres, l'Histoire des peuples soumis au despotisme n'est qu'un recueil d'anecdotes."

* * *

"Quand l'histoire serait inutile aux autres hommes, il faudrait la faire lire aux princes."

Bossuet.

"L'Histoire des rois est le martyrologe des Nations."

Diderot.

oberkanal.com

"C'est là proprement l'étude des princes, capable plus qu'aucun autre de leur former l'esprit et le cœur."

Charles Rollin

" La timide vérité, rarement admise dans les palais des Grands, n'oserait leur faire des leçons à visage découvert ; elle emprunte la voie de l'histoire, et, cachée sous l'ombre de son nom, elle donne aux princes, avec assurance, des avis que peut-être ils ne recevront jamais d'aucune autre part, tant on craint de s'attirer leur disgrâce par de salutaires mais dangereuses remontrances."

Charles Rollin

" Les rois, après leur mort, appartiennent à l'histoire et sont les sujets de la *postérité*."

✡ ✡ ✡

" Un excellent Historien est encore peut-être plus rare qu'un excellent Poète."

Fénelon

" Ces gens-là lisent toutes les histoires en ignorant l'Histoire."

La Bruyère.

" Les hommes sont les prisonniers de l'histoire."

✡ ✡ ✡

" Quand on écrit le passé, il faut essayer du mieux qu'on peut, de travailler aussi pour l'avenir."

André Tardieu.

" L'histoire est la mémoire des générations."

✡ ✡ ✡

" L'histoire est devenue chez nous une sorte de guerre civile en permanence."

Fustel de Coulanges.

" L'histoire est un roman dont le peuple est l'auteur."

✡ ✡ ✡

" La roue de l'histoire tourne, et l'on se demande si elle ne tourne pas sur elle-même."

✡ ✡ ✡

"L'évolution des peuples est un perpétuel devenir et partout l'histoire est un éternel recommencement. On ne comprend le présent que par l'étude du passé ; on ne pressent l'avenir qu'à la lumière de ce qu fut jadis."

✡ ✡ ✡

(٣)

فلسفة التاريخ

من أجل هذا كله رفعوا التاريخ إلى مرتبة الحكم الأكبر فسموه «محكمة التاريخ». وما دام التاريخ رقي إلى مرتبة الحكم الأكبر le Tribunal de l'histoire وجب على المؤرخ الجدير بهذا الاسم أن يروى الحوادث على حقيقتها كما قال المغفور الملك فؤاد الأول:

"Tout ce qui est fait accompli appartient à l'Histoire. Elle peut toujours s'écrire, c'est affaire de conscience et de tact."

لان الحوادث بمجرد ما تقع تدخل فى ذمة التاريخ. وكل ما دخل فى ذمة التاريخ ينتقل إلى ذمة المؤرخ . فاذا ماراوها وجب عليه أن يرويها على حقيقتها والا صدق عليه قول فولتير فى الذين يكتبون عن الهوى فيغيرون و يبدلون الحوادث ابتغاء مرضاة أهوائهم وأهواء من يهمهم قلب الحقائق وتشويهها :

"Et voilà justement comme on écrit l'histoire"

(٤)

المؤرخون والمؤلفون

وما دمنا فى معرض الكلام على التاريخ والمؤرخين يجب علينا هنا أن ننوه بفضل هيرودوت (أبى التاريخ) ومانيتون المصرى (الذى وضع أساس تاريخ الفراعنة) وأن نشيد بفضل ثلاثة كان لهم أكبر فضل فى إحياء تاريخ مصر الحديث :

— أولهم المغفور له الملك فؤاد الأول الذى وقف جانباً كبيراً من جهده ووقته وماله مشجعاً المصريين والأجانب على كتابة تاريخ مصر (القديم والحديث) وألف لجاناً عدة لوضع تاريخ مصر ووضع تحت تصرفهم واطلاعهم مليون وثيقة — منها ٥٠٠ر٠٠٠ خاصة بغزو فلسطين وسوريا فى عهد محمد على باشا الكبير — كانت مكدسة فى قصر عابدين فأمر بجمعها وترتيبها وترجمة الكثير منها من اللغات التركية والفرنسية والانجليزية والايطالية والألمانية والروسية وغيرها . وممن ندبهم لهذه الغاية السامية مسيو

هانوتو Hanoteaux المؤرخ الكبير ووزير خارجية فرنسا ومسيو جورج دوين G. Douin ومسيو فرانسوا شارل رو Charles-Roux ومسيو بينيس Bénis ومسيو ديني Deny ومسيو ادوار دريو Ed. Driault ومسيو بوليتس Politis ومسيو سامركو Sammarco والأب بوفيه لابيير P. Bovier Lapierre ومسيو جوتيه Gauthier ومسيو جوجيه Jouguet ومسيو هنري مونييه Henri Munier ومسيو فييت Wiet ومسيو كومب Combe ومسيو بانفيل Bainville والجنرال فيجان Général Weygand والفيس أميرال دوران فييل Durand-Viel

— وثانيهم سمو الامير الجليل عمر طوسون الذى له فى عالم التأليف القدح المعلى ومؤلفاته كثيرة جداً

— وثالثهم سمو الامير الجليل يوسف كمال وقد انفق من ماله الخاص ما لا يقل عن ٧٠,٠٠٠ جنيه لوضع موسوعة جمعت تاريخ وجغرافية مصر من قديم الزمان

ولا ننسي فضل سائر الكتاب من مصريين واجانب مثل على باشا مبارك واسماعيل باشا سرهنك ويعقوب أرتين باشا وأمين فكرى باشا ومحمود فهمى باشا واللواء محمد مختار باشا وميخائيل شاروبيم بك وأمين سامى باشا واحمد شفيق باشا واحمد باشا كمال الاثرى وعبد الرحمن بك الرافعى والدكتور محمد بك صبرى وعبد القادر حمزه باشا واحمد بك حافظ عوض وداود بركات وسليم بك حسن ومحمد بك رفعت ومحمد عبد الله عنان واحمد عمر الاسكندرى والدكتور شفيق غربال بك والدكتور سيد كامل والدكتور حسن بك كمال والصاغ عبد الرحمن زكى والصاغ حسين شفيق (حسام) والياس بك الايوبى وجورجى زيدان وسليم نقاش (صاحب مصر للمصريين) وفارس الشدياق ونعوم شقير واسعد رستم

ومن الاجانب الذين كان لهم الفضل أيضاً فى احياء تاريخ مصر جلياردو بك Gaillardot ومسيو مانجين Mangin ومسيو هامون Hamont ومسيو مريو Merruau وبول موريه Paul Mouriez وأباته باشا Abatte Pacha ومريت باشا Mariette وماسبيرو Maspéro

وان ننس فلا تنسى الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الذى له فضل كبير في تدوين تاريخ مصر فى أوائل القرن التاسع عشر رحمه الله رحمة واسعة . — فبراير سنة ١٩٤١

(١)

من مينا الأول الى فؤاد الأول

تاريخ ٥٣٣٠ سنة فى ٤٠٠ صحيفة . تاريخ ٤٥ اسرة مالكة حكمت مصر ٥٣ قرناً من مينا الأول اول ملوك مصر حتى فؤاد الأول ملك مصر الحالى [١] . هذا هو موضوع كتاب المؤرخ الكبير يوسف قطاوى باشا [٢]

أضف الى بلاغة الكتابة دقة الرسم . لان المؤلف طبع فى كتابه ٩ خرائط ملونة – من صنعه هو – تمثل تخطيط القطر المصرى فى مختلف العصور ذكر فيها اسماء البلاد والمدن فى عهد الفراعنة وفى عهد اليونان وفى عهدنا الحاضر . فجاء كتابه مهذباً مرشداً مطرباً probet, delectet, flectat على رأى « شيشرون » . جامعاً بين اللذة والفائدة على رأى « هوراس » . فنعم الكاتب ونعم الكتاب

اصدق وصف لهذا الكتاب هو : ايجاز واعجاز

من ٣٤٠٠ سنة قبل المسيح حتى سنة ١٦٣٢ بعده دالت مصر للفراعنة . وللرعاة الهكسوس . ولليبيين . وللاشوريين . وللفرس . ولليونان . وللرومان . وللعرب . وللترك . وللمماليك . وللفرنساويين . ثم لاسرة محمد على

غزاها قمبيز . وكسرى . واسكندر الاكبر . وقيصر الرومان . وعمرو بن العاص . والسلطان سليم . وبونابرت . وولد فيها سيدنا موسى . ووفد عليها سيدنا عيسى . وسيدنا يوسف . والسيدة مريم العذراء

بلغت مصر من الحضارة والمجد شأواً رفيعاً فى عهد الفراعنة والبطالسة والعرب وكان انحس عهد عهد الفرس وعهد الترك

---

(١) نشرت فى جريدة «الاهرام» فى عدد ٧ مارس سنة ١٩٣٢

(٢) Joseph Cattaui pacha : " Coup d'œil sur la chronologie de la nation égyptienne " (Paris, 1931).

قلّ من المصريين من يعرف ان مينا – اول ملوك مصر – كان مصريًا صميما من جرجا من بلدة اسمها « تينيس » هى الآن المنشاة ونجع « الطينه » بجوار جرجا . وهو أول من وحّد الوجهين القبلى والبحرى و بني بينهما مدينة « منفيس » . وقد تولى الحكم ٦٠ سنة . وعثر الحفارون على قبره فى « نقاده » . ومن خلفائه اتوبى الاول الذى الف كتابًا فى علم الطب

و بالنظر لكون اصل العائلة الاولى من نجع « الطينه » سميت بالعائلة « الطينية » وكذلك العائلة الثانية . ثم خلفتهما عائلة ثالثة « جيزاوية » من ميت رهينه بالجيزة . وكذلك العائلة الرابعة. وتلتها عائلة خامسة «اصوانية» من جزيرة اصوان . ثم عائلة سادسة «جيزاوية» . ومثلها عائلة سابعة وعائلة ثامنة . ثم عائلة تاسعة «سويفية» من (اهناس المدينة) ببنى سويف والعائلة العاشرة كذلك . ثم عائلة حادية عشرة « قناوية » من « طيبه » الاقصر والكرنك ومدينة ابو . والعائلة الثانية عشرة والثالثة عشرة قناوية كذلك من « طيبة » . ثم عائلة رابعة عشرة « سخاوية » من سخا بمديرية الغربية. ثم غزاها البدو الرعاة فكانوا ملوك العائلة الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة . ثم عاد الحكم الى ملوك من « طيبة » (قنا) فكانوا ملوك العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين . بعد ذلك تولت الملك عائلة من « صان » مركز فاقوس شرقية فكانت العائلة الحادية والعشرين . ثم اغارت على مصر قبائل من برقة احتلت الوجه البحرى فكانت العائلة الثانية والعشرين . ثم عاد الملك مرة ثانية الى ملوك من « صان » مركز فاقوس شرقية فكانت العائلة الثالثة والعشرين . اما العائلة الرابعة والعشرين فكانت من « بهبيت الحجر » اتخذوا « صا الحجر » بمديرية الغربيّة مقراً لهم . وبعدها استولت على عرش مصر العائلة الخامسة والعشرين «الاتيوبية» (بلاد النوبة) . ثم عاد الملك الى ملوك صا الحجر غربية فكانوا ملوك العائلة السادسة والعشرين . وفى عهدها اغار الفرس وعلى رأسهم قمبيز على مصر فكانوا العائلة السابعة والعشرين . ثم قامت العائلة الثامنة والعشرون من صا الحجر وطردت الفرس . وخلفتها عائلة من « تمى الاميد » مركز السنبلاوين فكانت العائلة التاسعة والعشرين. ثم خلفتها العائلة الثلاثون من « سمنود » وفى عهدها اغار على مصر اسكندر الاكبر

المقدونى وبنى مدينة الاسكندرية وفى مدة وجوده زار معبد « امون — رع » فى واحة سيوه . وكان الاسكندر الاكبر المقدونى رأس العائلة الاولى بعد الثلاثين المقدونية . ومن بعده تولى البطالسة فكانوا العائلة الثانية والثلاثين . ثم اغار على مصر الرومان فكانوا العائلة الثالثة والثلاثين . ثم اغار على مصر امبراطور بيزنطه وضمها الى امبراطوريته فكانت العائلة الرابعة والثلاثين « البيزنطية » . وفى عهدها زحف عمرو بن العاص على مصر وفتحها فى عهد خلافة عمر بن الخطاب فكانت العائلة الخامسة والثلاثين . ثم تولى الحكم بنو امية فكانوا العائلة السادسة والثلاثين . ثم العباسيون فكانوا العائلة السابعة والثلاثين . ثم الطولونيون فكانوا العائلة الثامنة والثلاثين . ثم الاخشيديون فكانوا العائلة التاسعة والثلاثين . ثم الفاطميون فكانوا العائلة الاربعين . ثم الايوبيون فكانوا العائلة الاولى بعد الاربعين . ثم المماليك التركمان فكانوا العائلة الثانية والاربعين . ثم المماليك الشراكسة فكانوا العائلة الثالثة والاربعين . ثم سلاطين آل عثمان فكانوا العائلة الرابعة والاربعين . ثم اسرة محمد على فكانت العائلة الخامسة والاربعين

ويتغلب هذه الدول كانت مصر تتبع فى شئونها الداخلية والخارجية اوامر ناباتا (بلاد النوبة) . او روما . او بيزنطه . او دمشق . او المدينة المنورة . او بغداد . او استانبول

قبل ان يوحّد مينا الأول الديار المصرية بضم الوجهين القبلى والبحرى كان للوجه البحرى عاصمة مستقلة اسمها « بوتو » واقعة جنوب بحيرة البرلس . وللوجه القبلى عاصمة اخرى اسمها « نخاب » واقعة شمال ادفو ولكن على البر الايمن من النيل — فلما وحّد « مينا » القطر المصرى بنى بين الوجهين القبلى والبحرى مدينة « منفيس » فصارت عاصمة القطر . ثم تغيرت عواصم القطر فكانت تارة الطينة (جرجا) . وتارة منفيس . واخرى ابيدوس (العرابة المدفونة) . وطوراً طيبة (الاقصر والكرنك ومدينة ابو) . وحينا اهناس المدينة (بنى سويف) . وآونة صان (مركز فاقوس) فى عهد الهكسوس . واخرى تل العمارنة فى عهد امينحوتب الرابع . وصا الحجر (غربية) . وتل بسطه (شرقية) . وتمى الاميد (مركز السنبلاوين) . وسمنود

(غربية) . وجزيرة الصاج (اصوان) . وسخا (غربية) . وعندما بنى الاسكندر الاكبر مدينة الاسكندرية نقل اليها مقر الملك وبقيت فى عهده ، وفى عهد البطالسة عاصمة الملك الى ان نقل العرب مقر الحكم الى الفسطاط والقطائع والعسكر ثم القاهرة فى أيام المعز لدين الله الفاطمى

ومن يستقرىء الفتوحات المصرية يجد مصر قد ضمت الى املاكها — فى ايام مجدها — فلسطين وسوريا والعراق والاناضول وارمنيا وبلاد العرب وبلاد النوبة والحبشة وكردفان وسنار ودارفور واوغندا وجزيرة قبرص وجزيرة كريت وجزيرة رودس وسواحل البحر الاحمر حتى هرر وزيلع . وعند ما غزا امينحتب بلاد اتيوبيا (التى اطلق عليها اسم بلاد الكوش) سمى ولى عهده « أمير كوش » كما يسمى الانجليز مثلاً ولى عهد انجلترا باسم « امير ولز » والايطاليون ولى عهد ايطاليا باسم « امير بيامونتى » وكما كان يسمى الاسبانيون ولى عهد اسبانيا « امير استوريا » وهكذا

وقد دام حكم الفراعنة ٢٨٧٥ سنة من مينا اول ملوك العائلة الاولى حتى غزو الفرس . ودام حكم الفرس ١٩٣ سنة . وحكم اليونان ٣٠٣ سنة . وحكم الرومان ٤٢٥ سنة . وحكم اباطرة بيزنطة (القسطنطينية) ٢٤٥ سنة . وحكم العرب ٨٧٧ سنة . وحكم الترك ابتداء من السلطان سليم ٢٨٨ سنة . ودامت ولاية محمد على وابنه ابراهيم وحفيده عباس وابنه سعيد وخديوية اسماعيل وتوفيق وعباس الثانى وسلطنة حسين الاول وملك جلالة فؤاد الاول ١٢٧ سنة . ودانت مصر لنباتا فى عهد الاتيوبيين . ولروما فى عهد الرومان . ولبيزنطة فى عهد الاغريق . وللمدينة المنورة فى عهد الخلفاء الراشدين . ولدمشق فى عهد الامويين . ولبغداد فى عهد العباسيين . ولاستانبول فى عهد العثمانيين

فى عهد الفراعنة كان فى البلاد دين واحد ولغة واحدة وقانون واحد . ولكن مع كر السنين دخلت لغة الفرس . ولغة اليونان . ولغة الرومان . ولغة العرب ثم لغة الترك

وعرفت مصر من الديانات المجوسية والمسيحية والاسرائيلية والاسلامية

وبعد ان كان القانون واحداً بالنسبة الى جميع المصريين اصبحت الشرائع عدة

والقوانين شتى . تكاد مصر تنفرد دون بلاد العالم بتعدد وتنوع شرائعها وقوانينها ومحاكمها

وكانت ولاية الحكم فى الزمن الاول للكهنة لهم الامر والنهى وليس لاحد عليهم سلطان . الا ان مينا الاول دك شوكتهم وقوض سلطانهم وساس البلاد واستبد بالسلطتين الدينية والزمنية . وبقيت الحال كذلك الى ان جاء العرب وحكموا البلاد باسم الخلفاء الذين كانت لهم السلطتان معاً . وعندما غزا السلطان سليم مصر انتزع من الخلفاء السلطة الدينية وسمى نفسه خليفة المسلمين

وحاكم مصر كان تارة كاهناً . واخرى فرعوناً . وآونة ملكا . واخرى امبراطوراً . وحينا سلطانا . وآخر خليفة . وزمناً مملوكا من المماليك . وطوراً والياً من قبل السلطان . وتارة خديويا الى ان قيض الله للمصريين سلطاناً ثم ملكاً .

obeikandl.com

(٢)

ذكرى مرور ١٠٠٠ سنة

على تأسيس مدينة القاهرة والجامع الأزهر

احتفالا بذكرى مرور مائة سنة على تأسيس مدينة شيكاجو اقام الأمريكيون فى هذه المدينة معرضاً كبيراً يمثل تقدم المدنية والحضارة فى مدة قرن

ومع أن شيكاجو لم يمض على تأسيسها سوى مائة سنة فان الامريكيين ارادوا أن يكون عيد مدينتهم المئوى بالفاً منتهى الأبهة ليكون فى الوقت نفسه أعظم دعاية لهم ولمدينتهم ولتجارتهم وزراعتهم وصناعتهم وعلومهم وفنونهم وآدابهم

شهد الناس الذين وفدوا على المعرض من جميع انحاء المعمورة أن معرض شيكاجو كان مظهراً من أكبر مظاهر تقدم العلوم والفنون فى العالم

واذا احتفل الامريكيون بذكرى مرور مائة سنة على تأسيس مدينة شيكاجو فجدير بالمصريين أن يحتفلوا بذكرى مرور الف سنة على تأسيس مدينة القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر . لأن جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى شرع فى جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هجرية فى بناء مدينة القاهرة وفى تأسيس الجامع الأزهر . وبين سنة ٣٥٩ الماضية وسنة ١٣٥٣ الحالية الف سنة الا ست

والقاهرة كما تعلم تاريخها حافل بالذكريات المجيدة وبالآثار الخالدة وبالأعمال الجليلة من عهد دولة الفاطميين ودولة الأكراد الأيوبية ودولة المماليك التركية ودولة الشراكسة والدولة العثمانية والحملة الفرنساوية وعهد العائلة المحمدية العلوية

حسبك أن تعرف أن القاهرة بدأت بمساحة ٥٠ فدانا وأصبحت الآن قائمة على ٣٨٠٠٠ فدان . وكان سكانها بضعة الاف فاصبح عددهم الآن يزيد على مليون [1].

---

(١) كتبنا هذه المقالة في «أهرام» ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٣ - وقد علق عليها المغفور له داود بركات بك رئيس تحرير جريدة «الاهرام» فى اليوم التالى (الجمعه ٢٣ يونيه سنة ١٩٣٣) فقال : « بعد ست سنين يتم الف سنة لتاسيس مدينة القاهرة قاهرة المعز والجامع الازهر اكبر جامعة اسلامية فى العالم

وبعد أن لم تكن شيئا مذكورا أصبحت الآن عاصمة مملكة كبيرة لها مفوضون

« وقد لفت الانظار إلى هذه الذكرى التاريخية الجليلة الاستاذ الجليل عزيز بك خانكى في مقاله التاريخى الشائق الذى نشرناه امس وطالعه القراء ووقفوا على أهمية هذه الذكرى التاريخية التى تعد ذكرى تاريخ مصر الحديثة . والقاهرة هى بآثارها وفنونها وعماراتها وما حوت من قديم رائع وحديث بديع اذا كانت دماغ البلاد المصرية أى دماغ مصر والسودان وما جاورهما من الاقطار والامصار فانها ايضا مفخرة مصر والمصريين وتاريخها تاريخ هذا العالم المحيط بها . وتاريخ الازهر هو تاريخ العلم الدينى واللغه العربية والفقه والشريعة . ومنذ الف سنة الى اليوم وكلاهما مرتبط بالآخر . فاذا ذكرت كلمة « الازهر » تبادر إلى الذهن اسم « القاهرة » واذا ذكرت كلمة القاهرة تبادر فى الحال إلى ذهن السامع اسم الازهر . فاذا جاء العالم الجليل والبحاثة الثقة الاستاذ عزيز بك خانكى يقترح اليوم على هذه الامة احياء ذكرى تاسيس القاهرة والازهر فلان احدهما ملازم للاخر ولان الاثنين اسسا معا ولان حياة كليهما وتاريخه وحدة لا تتجزأ ولا تنقسم ولا انفصال بينهما

« عندنا ذكريات كثيره جليلة وعندنا آثار كثيره ثمينة ولنا تاريخ حافل بالامور الخطيرة ولكن ذكرى تأسيس القاهره فوق ذلك كله وجامع لذلك كله . ونحن نخشى اذا تبسطنا فى هذا الموضوع وجلاله واظهار اهميته ان نكون بمثابة من يقول للشمس ياشمس وللقمر ياقمر فان اهمية القاهرة لاتخفى على احد وذكراها الجليلة لا تغيب عن احد واحياء ذكرى الف عام لتأسيس هذه العاصمة وازهرها الشريف تتفق مع آمال كل مصرى وامانيه ويرمى بها عن عقيدة كل مصرى وارادته

« فلننتقل اذن الى الكلام فى اقتراح الاستاذ الجليل عزيز بك خانكى فهو يتمنى على « الاهرام » لو دعت الى تاليف لجنة من كبار المفكرين لوضع برنامج الاحتفال واخرى من كبار المؤرخين الى كتابة تاريخ الالف سنة وتدعو رجال الصناعة الى كتابة تاريخ تطور الصناعة ورجال السياسة الى كتابة تاريخ التطورات السياسية ورجال التعليم الى تاريخ التعليم ورجال المال الى تاريخ المالية ورجال الفقه الى تطور الفقه ورجال الحرب الى تاريخ الحروب والفتوحات المصرية الخ الخ ذلك ما يقوله صاحب الاقتراح فهل هناك من زيادة لمستزيد ؟ ؟ ؟

« لا . انه ليس هناك زيادة لمستزيد الا من وجهة واحدة وهى وجود الهيئة التى تجمع هذه العناصر جميعاً وتدعوهم للقيام بهذا العمل الجليل الشأن

« فمن هذه الهيئة ؟ لان العمل فوق طاقة الافراد . ولان الافراد مهما عظم شأنهم لا يكونون الا حجارة فى هذا البناء . ومهمة كهذه ترجع فى نظرنا الى الهيئة الحاكمة قبل سواها تؤازرها جميع هيئات الامة بالعمل والمال

« واذا كان الاستاذ البحاثة عزيز بك خانكى قد جعل فى مقدمة مقترحاته تأليف لجنة من المفكرين فى مصر لوضع برنامج الاحتفال فان تأليف هذه اللجنة يجب ان يقدم على سواه فمتى وجدت ووضعت برنامج الاحتفال سهل البناء بعد ذلك على البرنامج الذى تضعه

سياسيون وقناصل فى لندن وباريس وروما وبرلين وواشنطن وبروكسل واثينا

«ولو انه كان لنا فى ذلك — اى في تأليف اللجنة الاولى لوضع البرنامج — رأى لكان رأينا ان تؤلف هذه اللجنة فى الحال — لان ست سنين ليست زمنا طويلا اذا اريد ان يتفق الاحتفال مع جلال الذكرى — من رؤساء الازهر الشريف ومن مديرى الآثار الفرعونية والقبطية والرومانية والعربية ومن رئيسى الجمعية الجغرافية والمعهد العلمى ومن مديرى المعاهد العلمية وعمداء الكليات ومن اليهم. فاذا تألفت هذه اللجنة تقسم نفسها إلى لجان فرعية تضع كل واحده منها برنامج النوع الذى تخصص به ثم تجتمع تلك اللجان فى لجنة عامة تحت رعاية الحكومة لتضع البرنامج الكامل بعد التوفيق بين جميع وجوهه واجزائه

« و بعد ذلك يأتى دور التنفيذ الذى يدعى جميع رجال الامة إلى التآزر والتعاون فيه

« ذلك هو رأينا الذى يريدنا صاحب الاقتراح على ان نعلنه وان ندعو الامة إليه ونحن ندعو الحكومة إلى التآزر مع الامة بشأنه لان العمل — كما قلنا — يجب ان يكون عظيما يتفق مع عظمة القاهرة وعظمة تاريخها ولا يكون عظيما الا اذا تآزرت الهيئات اما اذا انفردت احداها عن الاخرى أو انفردت احداهما دون الاولى فاننا لا نصل الى عظمة الذكرى لانحصارها فى هذه الحال فى بيئة واحدة ودائرة واحدة . والقاهرة عاصمة الدولة ومركز الحكم حتى نص بالدستور على ان يكون اجتماع البرلمان فيها ليكون اجتماعه صحيحاً وهى فى الوقت ذاته دماغ البلاد كلها ورأسها ومركز فكرها وعقلها فهى مجتمع كل شيء فالواجب ان يتعاون كل ما فى مصر من قوة على ذكرى تأسيسها

«وسوف لا نقفل باب البحث في ذلك بل نفتح بابه واسعاً ليقول كل مفكر كلمته و يبدى كل ذى شان رأيه وكل مصرى ذو شأن فى هذا الموضوع الجليل الشأن »

* * *

ثم جاء حضرة صاحب الفضيلة الشيخ احمد ابو رحاب من علماء الازهر وعقب على مقالنا ايضا فقال فى «اهرام» الاحد ٢٥ يونيه سنة ١٩٣٣ ما يأتى :

« قرأت بامعان زائد ، ما كتبه الاستاذ المحقق عزيز بك خانكى ، على اثر « الاهرام » تحت هذا العنوان وقرأت مقالكم الشائق تعليقا على هذا المقال ، ولكما فى عنق كل مخلص لبلاده واجب الشكر ، وجميل الثناء ، وملأ صدرى عزة وكرامة قولكم « وهذه الذكرى التاريخية التى تعد ذكرى تاريخ مصر الحديثة ، والقاهرة هى بآثارها وفنونها وعماراتها ، وما حوت من قديم رائع ، وحديث بديع » وقولكم ايضا « فانها مفخرة مصر والمصريين وتاريخها تاريخ هذا العالم المحيط بها وتاريخ الازهر هو تاريخ العلم الدينى ، واللغة العربية والفقه والشريعة »

«وان قولكم هذا لجدير بالبحث والعناية حتى تحقق اغراضه ، وتظهر مراميه لتكون مصر في الطليعة الاولى والمكان الاول كما هو شأنها فى كل شيء

« واقتراح الاستاذ البحاثة ، عزيز بك خانكى ، يحتاج لنعاية كثير من المحققين من علماء

وانقره وطهران ومدريد ولاهاى وفى بلغاريا و بولونيا والبرتغال ورومانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلافاكيا وفى الحبشة والنمسا وسوريا وفلسطين والعراق والحجاز واليابان وتركيا يمثلون مصر و يعقدون مع هذه البلاد المعاهدات السياسية والتجارية والمالية

ولا يخفى أن عاصمة الديار المصرية تغيرت غير مرة من الفتح الاسلامى حتى الآن . فقد كانت الاسكندرية عاصمة الديار المصرية قبل الفتح العربى ولما استولى عمرو بن العاص على حصن بابليون أنشأ مدينة الفسطاط بين قصر الشمع وجبل المقطم ونقل إليها مركز الحكومة . ولم يبق من هذه الحاضرة الآن سوى جامع عمرو

وحوالى سنة ١٣٣ الهجرية (٧٥٠ الميلادية) انشئت مدينة العسكر بجوى الفسطاط

التاريخ والآثار ، ورجال الاقتصاد والاصلاح ، والذى اقصر فيه القول من هذا البحث الطريف المتشعب الاطراف والنواحى ، نقطة واحدة من النقط الهامة التى اشتمل عليها بحثه الفياض

«وهى نقطة البحث عن تاريخ الازهر ، من حيث الادوار التى مرت به ، وكان فى الذورة تارة ، او مادانا ها تارة اخرى

«ولا يظن المؤرخ ان هذا البحث قريب الورود ، ولا فى متناول اليد ، سهل المأخذ . فقد كنت اظن ذلك ، فاذا انا فى الضلال اهيم ، وهذا البحث غير ميسور لعمل فرد ، بل يحتاج الى تكاتف القوى واتحاد الجهود

« وقد قمت بمجهودى الفردى ، وجمعت سبع مقالات من خطط المقريزى ، والخطط التوفيقية ، وكتاب ابن اياس وغير ذلك من الكتب الاخرى ، ونشرتها فى مجلة « الاسلام » تحت عنوان « العيد الالفى للجامعة الازهرية »

«واخيراً وقفت حائراً متردداً ، حتى فتحت جريدة «الاهرام» صدرها ، للباحثين والمؤرخين ، عسى ان يصل الجميع الى المقصد الاسمى الذى نرجوه لبلادنا فى مراسمها واعيادها المجيدة التاريخية

« ولسهولة البحث ، يجب ان تراعى هذه النقط ، ليظهر تاريخ الازهر وافيا . وها هى النقط :

اولا — بيان دراسة الفقه الفاطمى وتعاليم الشيعة فى الدين والفلسفة مع بيان ما كان يدرس فى ذلك الوقت فى جامع ابن طولون والجامع العتيق .

ثانيا — اخبرنا المقريزى ، ان اول من درس فى الازهر سنه ٣٦٥ هـ « ابو الحسن على بن محمد بن حيون » واملى مختصر ابيه فى الفقه على مذهب اهل البيت ويعرف هذا المختصر « بالاقتصار » وهل فقد هذا الكتاب ام لا يزال باقيا ؟ ؟

ثالثا — معرفة الذين تولوا مشيخة الازهر من ذلك الحين بالترتيب ، الى وقتنا الحالى ، وبيان عمل كل واحد منهم وهل كانت طريقة توليهم تلك المناصب الدينية بالانتخاب ام بالتعيين ؟

وفى سنة ٣٥٦ الهجرية (٨٧٠ الميلادية) بنى احمد بن طولون مدينة جديدة فى الجهة الشمالية من مدينة الفسطاط عرفت باسم القطائع نقل إليها مركز حاكم البلاد ولم يبق منها الا الجامع المشهور المعروف باسمه

وفى شعبان سنة ٣٥٨ الهجرية دخلت طلائع جيش المعز لدين الله الفاطمى الديار المصرية تحت امرة قائده جوهر الصقلى

وفى جمادى الاولى سنة ٣٥٩ الهجرية شرع جوهر فى بناء مدينة القاهرة وفى تأسيس الجامع الازهر . وقد شرع جوهر فى بناء الجامع الازهر لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ وتم بناؤه فى تسع من رمضان سنة ٣٦١ الهجرية فيكون قد مضى على هذا المعهد العلمى الكبير عشرة قرون . وقل أن تجد بين المعاهد العلمية فى العالم معهداً عمّر الف سنة مثل الجامع الازهر

رابعا — فى اى عصر درست المذاهب الاربعة فى الازهر ؟ ومن من الملوك قضى على مذاهب الشيعة في الازهر ؟

خامسا — بيان الازمان التى كان يتولى فيها القضاء علماء المذاهب الاربعة ، وكيف دخلت مصر ؟

سادسا — ذكر العلوم التى كانت تدرس فى الازهر ، وطريقة تدريسها ، وكيف كان الازهر يؤدى رسالته ، فى مختلف الازمان ، وفى ايام الخلفاء والمماليك ؟

سابعا — من انشأ اروقة الازهر ؟ ومن وقف لها الاوقاف ؟ ومن اسس لها دور الكتب ؟

ثامنا — البحث عن قيمة البناء الفنى في الازهر حديثا وقديما

تاسعا — ذكر اهل الخير الذين اكثروا من الاوقاف على الازهر وحصر ذلك بالدقة وعندما يتولى الباحثون البحث تظهر لهم اشياء جديدة ، ربما لا تدور بخلد احد

وقد سالت الاستاذ العلامة المحقق شيخ العروبة سعادة احمد باشا زكى فى هذا البحث فعلمت منه انه يعلم الكثير من خفايا تاريخ الازهر ، فنلتمس منه ان يقوم بتحقيق هذه الغاية السامية ، ويقيني ان هذا العمل لا يستوفى الكمال المرجو الا اذا ساعدته حكومتنا الجليلة وساهمت فيه مشيخة الازهر بقسط وافر ، والفت لجنة من كبار رجال التاريخ يضم اليها خيرة الشباب لجمع ما يحتاج للجمع من مختلف الابحاث العلمية ، ويدخل فيها بعض المستشرقين الذين لهم المام بتاريخ مصر للاستعانة بهم ، فى تعريب مايحتاج للتعريب واشكر محررى « الاهرام » على عنايتهم بهذا الموضوع الجليل

احمد ابو رحاب
من علماء الازهر

وللأزهر تاريخ مجيد وهو مناط آمال المسلمين كافةً فى مشارق الأرض ومغاربها لانه أكبر وأعظم كلية اسلامية فى العالم . حسبك أن تعرف أن عدد الاساتذة المدرسين به الآن (سنة ١٩٣٣) يبلغ ٣٦٢ وعدد الطلبة ٤٢٨١ من مصريين وسوريين وترك ومغاربة وأفغان وهنود وعجم ومنهم طلبة من العراق ومن سنار ومن بلاد الصومال ومن برنو ومن جاوه .

ولتدرك عظمة الجامع الأزهر يكفيك أن تعرف أن دار الكتب الأزهرية الكبرى تحتوى الآن على ٦٣٢٧٠ مجلدا بين مخطوط ومطبوع ومعظمها من أمهات الكتب ومن نادرها ولا يوجد لها نظير فى دار كتب أخرى . وتوجد فى أروقة الأزهر مكاتب أخرى عديدة مثل مكتبة المغاربة وفيها ٨١٨٣ مجلدا ومكتبة الترك وفيها ٧٣٨٣ مجلدا ومكتبة الشوام وفيها ٣٧٦٤ مجلدا ومكتبة الصعايدة وفيها ١٨٧٥ مجلدا ومكتبة رواق الحنفية وفيها ١٨٩٤ مجلدا ومكتبة رواق الشافعية وفيها ٧٣٠ مجلدا

وتزين القاهرة جوامع ومساجد عدة . ومن الجوامع التى كانت داخل سور القاهرة القديم علاوة على الجامع الأزهر الجامع الأقمر والجامع الحاكمى . أما خارج سور القاهرة فتوجد جوامع ومشاهد كثيرة أهمها جامع الصالح طلائع ومشهد السيدة رقية

وتطور طراز بناء مساجد وجوامع القاهرة بحسب العصور . ففى عهد السلطان قلاوون بدىء في بناء مساجد على الطراز المصرى البحت وهو طراز يختلف عن طراز المساجد الاسلامية الأخرى واستمر ذلك فى التوسع حتى القرن الثامن والقرن التاسع وهو عصر المماليك الشراكسة الذى بلغ فيه فن العمارة العربية شأواً بعيداً . وبعد الفتح العثمانى بدىء بتشييد بعض المساجد على شكل المساجد التركية البيزنطية الطراز . ونظرة فى أهم الآثار العربية الموجودة بالقاهرة تدلك على أهمية الآثار وعلى تطور فن العمارة

فمن أهم الآثار التى شيدت فى العصرين الثانى والثالث فى عهد الدولتين الفاطمية والطولونية الجامع الأزهر . وجامع احمد بن طولون . والجامع الحاكمى . والجامع الأقمر .

وباب النصر . وباب الفتوح . وباب زويلة . وجامع الجيوشى . ومشهد السيدة رقية . وجامع الصالح طلائع

ومن أهم الآثار التى شيدت فى العصر الرابع فى عهد سلاطين الدولة الأيوبية فى القرنين السادس والسابع القلعة وقد بناها السلطان صلاح الدين أول سلاطين الدولة الأيوبية لتكون حصنا له وقصرا . ثم تربة اسماعيل بن ثعلب (ضريح السادات الثعالبية) . وجامع وتربة الصالح نجم الدين ايوب . وتربة الملكة شجرة الدر

وفى عهد سلاطين دولة المماليك التركمان شيدت المدرسة الظاهرية (بيبرس) . وجامع الظاهر بيبرس . ومدرسة وقبة وبيمارستان السلطان قلاوون (جامع قلاوون) . وقبة الاشرف خليل . والمدرسة الناصرية (جامع الناصر) . وزاوية الامام زين الدين يوسف . وقبة الخلفاء العباسيين . والمدرسة الجاولية (جامع سنجر الجاولى) . وخانقاه بيبرس الجاشنكير (جامع) . والسبع سقايات (المجرى) والمدرسة السعيدية (قبة حسن صدقه) . وجامع الناصر محمد . وجامع المارس . وباب ومئذنة جامع بشتاك . وقصر بشتاك . وحمام بشتاك . وجامع المردانى . وجامع آق سنقر (ابراهيم أغا مستحفظان) . وجامع وخانقاه شيخو . وجامع السلطان حسن ويقول عنه علماء الافرنج أنه من أجمل ومن أبدع المساجد الموجودة فى العالم . والمدرسة الصرغتمشية (جامع صرغتمش) . ومدرسة الجاى اليوسفى (جامع الجاى اليوسفى) . ومسجد خشقدم الأحمدى

ومن أهم الآثار التى شيدت فى العصر السادس فى عهد دولة المماليك الشراكسة خانقاه الظاهر برقوق (جامع) . وجامع وتربة الظاهر برقوق (جامع) . ومدرسة جمال الدين الاستدار (جامع) . والجامع المؤيدى . والبيمارستان المؤيدى . وجامع الأشرف برسباى . وجامع حاتى بك . وخانقاه الاشرف برسباى (جامع) . وتربة السلطان اينال (جامع) . ورباط زوجة السلطان اينال . وآثار السلطان قلاوون . ومدرسة ابن برد بك (جامع محمد بن برد بك) . ومسجد السلطان قايتباى . ووكالة السلطان قايتباى . وسبيل وكتاب قايتباى . وقبة الفداوية . وبيت السلطان قايتباى . ومقعد غاماى (مقعد بيت القاضى) . وجامع وسراى خير بك . ومدرسة قايتباى امير

اخور (جامع) . ومدرسة قايتباى امير اخور (جامع) . ومدرسة وتربة وسبيل ومقعد السلطان الغورى . ووكالة السلطان الغورى . وأبواب خان الخليلى . وتربة قرقماس امير كبير

ومن اهم الآثار التى شيدت فى العصر السادس فى عهد العثمانيين جامع سنان باشا (سارية الجبل) . وتكية السليمانية . وجامع سنان باشا . ومسجد الملكة صفية . وبيت جمال الدين الذهبى . وبيت الشيخ عبدالوهاب الطلباوى (السحيمى) . وبيت وسبيل وكتاب أوده باشى . وسبيل وكتاب بشير اغا دار السعادة . وسبيل وتكية عبد الرحمن كتخدا . وتكية وسبيل السلطان محمود . وجامع محمد بك ابو الدهب . وسراى المسافرخانة (وهى التى ولد فيها المغفور له ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديوى) . وبيت ابراهيم كتخدا السنارى

وبجنب الآثار العربية الموجودة بالقاهرة توجد الآثار القبطية التى تعتبر حلقة اتصال بين الفنون المصرية فى العصرين الفرعونى والرومانى اليونانى من جهة والعصر الاسلامى من جهة أخرى . فمن الآثار القبطية الموجودة فى حارة زويلة بشارع بين السورين كنيسة العذراء التى تأسست فى القرن السادس للميلاد وكنيسة ابى سيفين وكنيسة مار جرجس وكانت هـذه الكنائس مركزاً للبطريركية . وفى حارة الروم بالغورية كنيسة العذراء وكنيسة مار جرجس وقد تأسستا فى القرن السادس وانتقل الكرسى البطريركى الى كنيسة العذراء من كنيسة حارة زويلة فى القرن السابع عشر وبقى بها الى ان نقل الى الازبكية . وبجنب كنيسة العذراء دير الأمير تادرس المشرقى للراهبات

وفى فم الخليج كنيسة مار مينا وقد كانت فى القرن السادس وتجددت فى القرن الحادى عشر مع باقى كنائس الفسطاط

وفى شارع جامع عمرو بمصر القديمة كنائس دير ابى سيفين منها كنيسة ابى سيفين التى تأسست فى القرن السادس وهى من اجمل الكنائس بمصر وكانت كنيسة ابى سيفين هذه مقرا للبطريركية فى القرن الرابع عشر والخامس عشر . ثم كنيسة

انبا شنوده وقد تأسست فى القرن السادس مع كنيسة العذراء المشهورة بالدمشيرية. ثم كنائس الحصن الرومانى المعروف بقصر الشمع بشارع مار جرجس بمصر القديمة ومنها كنيسة المعلقة التى تأسست فى القرن الخامس من الميلاد وهى معلقة باعلى الحصن الرومانى المعروف بقصر الشمع الذى استولى عليه عمرو بن العاص فى سنة ٦٤١ ميلادية. وتعتبر كنيسة المعلقه اجمل الكنائس القديمة وكانت مقرا للبطريركية فى القرن الحادى عشر ثم انتقل منها الكرسى البطريركى الى كنيسة ابى سيفين . ومن كنائس الحصن الرومانى كنيسة ابى سرجة وكنيسة الست برباره وكنيسة مار جرجس وكنيسة قصرية الريحان

ثم كنائس ساحل اثر النبى وهى كنيسة العذراء ببابليون الدرج . وكنيسة ابى قير ويوحنا وكنيسة الامير تادرس وكنيسة الملاك القبلى . هذا عدا الكنائس والاديرة القبطية المنتشرة فى الوجه القبلى وفى الوجه البحرى (١)

والمتحف القبطى الموجود بجوار كنيسة المعلقة – الذى هو وليد جهود مرقس باشا سميكة ويعد بحق فخرا له – حوى طائفة كبيرة من الآثار القبطية التى عاصرت مدينة الفسطاط والعسكر والقطائع بالقاهرة

وتوجد آثار كثيرة – غير الآثار العربية والآثار القبطية – تزين مدينة القاهرة شيدت فى عصر العائلة المحمدية العلوية ، نخص بالذكر منها الجامعة المصرية بكلياتها الاربع (٢) كلية الآداب وكلية العلوم وكلية الحقوق وكلية الطب والمدارس العديدة فى مختلف العلوم والفنون والصنائع مثل مدارس الزراعة والطب البيطرى والمحاسبة والتجارة والصناعات الميكانيكية والصناعات الزخرفية والفنون التطبيقية والمدارس الصناعية اميرية واهلية مصرية واجنبية

ومنها التليفونات والتلغرافات والراديوات والقطارات والطيارات والسيارات والتراموايات والمستشفيات والخزانات والمزارات والاصلاحيات والتكنات والمحطات والجمعيات العلمية والخيرية والادبية والصناعية والكبارى والمراصد والمعامل . ودار الكتب ودار الآثار ودار الطباعة ودار الصناعة ودار المحفوظات ودار التمثيل ودور

---

(١) اخذنا هذه البيانات من تقويم الحكومة سنة ١٩٣٣

(٢) كليات الجامعة الآن سبعة : كلية الآداب وكلية العلوم وكلية الحقوق وكلية الطب وكلية الهندسة وكلية التجارة وكلية الزراعة

المحاكم - اهلية وشرعية ومختلطة ومالية وحسبية وقنصلية - ومصارف مالية مصرية واجنبية - انجليزية وفرنساوية والمانية و بلجيكية وحجازية - ومجلس النواب ومجلس الشيوخ . وتحيط بالقاهرة من جهاتها الاربع ضواحي غناء كأنها جنات يجرى من تحتها النيل وتتخللها شوارع جميلة وميادين بديعة تتوسطها تماثيل العظماء وتحيط بها القصور والسرايات والعمارات والمحلات التجارية وغير التجارية

وعلى رأس هذه المآثر والآثار مفخرة القرن التاسع عشر وهي الصحافة : من جرائد سياسية ومجلات علمية وادبية وقانونية وسياسية وطبية وزراعية وهزلية ، عربية وفرنساوية وانجليزية وايطالية ويونانية وتركية وارمنية وعبرية

قلنا انه لم يبق على تمام الالف سنة على تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر سوى ست سنوات . وست سنوات تكاد تكفى لوضع اسس الاحتفال بمهرجان ذكرى مرور الف سنة

ومن فكرى أن يقام معرض بالقاهرة تعرض فيه اهم الآثار التاريخية والعلمية والفنية العربية والقبطية التى تمثل ادوار الحضارة فى خلال الف سنة

وحبذا لو تألفت لجنة من كبار المفكرين فى مصر لوضع برنامج الاحتفال تدعو كبار المؤرخين لكتابة تاريخ الالف سنة . كما تدعو رجال الصناعة لكتابة تاريخ تطور الصناعة فى مصر . ورجال التجارة لكتابة تاريخ تطور التجارة فى مصر . ورجال السياسة لكتابة تاريخ الحركة السياسية فى مصر . ورجال التعليم لكتابة تاريخ حركة التعليم فى مصر . ورجال المال لكتابة تاريخ الحركة المالية فى مصر . ورجال الفقه لكتابة تاريخ تطور الفقه فى مصر . ورجال الحرب لكتابة تاريخ الحروب والفتوحات المصرية فى فلسطين وسوريا وتركيا والحجاز واليمن وكريت ورودس و بلاد النوبه والسودان والموره (اليونان) والقرم (روسيا) و بلاد المكسيك وهكذا

واذا ارادت مصر ان تجعل المهرجان واسطة للدعاية لمصر فلتدع كبار رجال العلم فى اوروبا وفى امريكا ولا سيما علماء فلسطين وسوريا وتركيا وايران وافغانستان والهند والصين والحبشة وتونس ومراكش والجزائر وسائر البلاد التى تربطها باهلها روابط علمية او سياسية أو دينية ليكون المهرجان اعظم وافخم مهرجان رآه الشرق

(٣)

السلطان عبد العزيز

فى مصر

هو السلطان الوحيد الذى جاء مصر زائراً . لانه من يوم دخول السلطان سليم الأول الديار المصرية فى سنة ١٥١٧ غازياً لم يحضر الى مصر من سلاطين آل عثمان زائراً سوى السلطان عبد العزيز[١]

السلطان سليم هو الذى ضم مصر الى سلطنة آل عثمان – بعد ما هزم قانصوه الغورى ملك مصر فى مرج دابق على مقربة من حلب – ثم شنق ابن اخيه طومان باى – الذى تولى مصر باسم الملك الاشرف – فى ٢٤ يناير سنة ١٥١٧ فى باب زويله وترك جثته معلقة فى المشنقة مدة ثمانية ايام كاملة . وبعدما انتزع الخلافة من المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين واكرهه على امضاء اشهاد بتنازله عن الخلافة لسلاطين آل عثمان . ومن هذا التاريخ نودى بسلطان تركيا فى جميع مساجد المشرق والمغرب خليفة واميرا للمؤمنين

ومن سنة ١٥١٧ (تاريخ ضم مصر الى سلطنة آل عثمان) حتى سنة ١٩١٤ (تاريخ انفصال مصر عن تركيا) تولى سلطنة آل عثمان ٢٨ سلطاناً[٢] دام سلطانهم ٣٦٧ سنة . ومن تاريخ ما انتزع السلطان سليم الخلافة من الخليفة المتوكل على الله فى

---

(١) نشرت فى «الاهرام» عدد ٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥

(٢) هم : السلطان سليم الاول . والسلطان سليمان المشهور بالقانونى . والسلطان سليم الثانى . والسلطان مراد الثالث , والسلطان محمد الثالث . والسلطان احمد الاول . والسلطان مصطفى . والسلطان عثمان الثانى . والسلطان مراد الرابع . والسلطان ابراهيم الاول. والسلطان محمد الرابع . والسلطان سليمان الثالث . والسلطان احمد الثانى . والسلطان مصطفى الثانى . والسلطان احمد الثالث . والسلطان محمود الاول . والسلطان عثمان الثالث . والسلطان مصطفى الثالث . والسلطان عبد الحميد الاول . والسلطان سليم الثالث (الذى عاصر نابليون).والسلطان محمود الثانى (الذى حاربه محمد على وهزم جيوشه فى حمص وحماه وقونيه وبيلان ونزيب) . والسلطان عبد المجيد (ابن السلطان محمود) . والسلطان عبد العزيز (ابن السلطان محمود) .

سنة ١٥١٧ الى تاريخ صدور قرارات المجلس الوطنى الاكبر - الذى انعقد فى انقره وقرر فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٢ خلع السلطان وابطال السلطنة (مع بقائه خليفة) ثم اعلن فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٣ قيام الجمهورية التركية وسقوط الخلافة فى ٣ مارس سنة ١٩٢٤ وقرر طرد جميع افراد العائلة السلطانية من تركيا - مضت ٤٠٧ سنوات لم يحضر فى خلالها الى مصر الا السلطان عبد العزيز

واذا علمت أن السلطان عبد الحميد تولى عرش سلطنة آل عثمان ٣٢ سنة لم يخرج فى خلالها من الاستانه حتى انه ما كان يخرج من قصر يلدز الا مرة فى الاسبوع عند ما كان يتوجه إلى المسجد لتأدية صلاة الجمعة [1] يمكنك أن تدرك مبلغ تأثير الرأى العام - الاوروبى على وجه عام والشرقى على وجه خاص والتركى على وجه أخص والمصرى على اخص الاخص - عندما اتصل به عزم السلطان عبد العزيز على زيارة مصر

اعتبر خبر هذه الزيارة حادثا سياسيا عظيما حتى أن انجلترا نفسها حسبت لهذا السفر الف حساب وكلفت سفيرها بالاستانه بان يسعى لاقناع السلطان بالعدول عن السفر . ولوحت له باحتمال حدوث ثورة فى الاستانة . وفتنة فى بلغاريا . واضطرابات فى البلقان . وفشل مشروع القرض الذى كانت تركيا معتزمة عقده . وفراغ الخزانة

ثم السلطان مراد (ابن السلطان عبد المجيد) . ثم اخواه السلطان عبد الحميد المشهور بالسفاح (الذى عاصر الخديو عباس وخلعه رجال الاتحاد والترقى) . والسلطان رشاد . ثم السلطان وحيد الدين (الذى تولى السلطنة باسم السلطان محمد السادس) . وآخرهم السلطان عبد المجيد (ابن السلطان عبد العزيز) وهو المقيم الان فى نيس بفرنسا وخلعه الغازى مصطفى كمال باشا وامر بطرده من تركيا هو وجميع افراد العائلة السلطانية

(١) ومات فى حجرة صغيرة فى سراى بيكاربك وهى السراى التى بناها السلطان عبد العزيز فى سنة ١٨٦٥ على الضفه الاسيوية ونزلت فيها الامبراطورة اوجينى زوجة نابليون الثالث عندما زارت استانبول فى سنة ١٨٦٩ قبل ان تفد على مصر لترأس حفلة افتتاح قنال السويس . وكان السلطان عبد الحميد يخاف من رؤية البحر فلكى يمتع نفسه بالسفر على الماء انشأ فى يلدز قناة وضع فيها زورقا كان يركبه من وقت لآخر ترويحا لنفسه . ومن غريب امر هذه القناة انها حفرت على شكل امضاء السلطان عبد الحميد . فتأمل !

السلطان عبد العزيز

« العامرة » وعدم احتمالها النفقات الطائلة التى تقتضيها مثل هذه الزيارة . كما حرضت فؤاد باشا وعالى باشا على مناوأة مشروع السفر . وكان ساسة اوروبا يعتقدون أنهم سيفوزون باقناع السلطان بالعدول عن السفر الى مصر كما فازوا من قبل فى سنة ١٨٥٩ عقب امضاء معاهدة الصلح فى فيللا فرانكا Villa franca بين نابليون الثالث امبراطور فرنسا وفرنسوا جوزيف امبراطور النمسا

ولم يكن من بين رجال الدولة محبذا فكرة السلطان سوى الصدر الاعظم كامل باشا (زوج الاميرة زينب هانم بنت محمد على باشا الكبير) ومصطفى فاضل باشا وزير المالية (اخو اسماعيل باشا خديو مصر) ولكن تحبيذهما للمشروع ما كان عن نية حسنة بل كان بقصد معاكسة اسماعيل . لان نية السفر نبتت عند السلطان فجأة وكان اسماعيل فى بدء عهد ولايته غير مستعد لمثل هذه الزيارة . ومن ضمن الاسباب التى حملت انجلترا على مناوأة مشروع سفر السلطان عبد العزيز الى مصر خوفها من أن دلسبس الذى كان انتزع من سعيد باشا عقد امتياز حفر قناة السويس ولم يكن قد حصل على تصديق الباب العالى يتمكن — بما عرف عنه من الدهاء وقوة الحجة وذلاقة اللسان — من اقناع السلطان وهو فى مصر باعطائه هذه المصادقة . ولكن كل هذه العوامل لم تثن السلطان عبد العزيز عن عزمه وقال « إنى أريد أن أزور بلاداً هى جزء من سلطنتى واشاهد آثار رقيها الزراعى والصناعى والتجارى لان أعطى امتيازات للفرنساويين او لغير الفرنساويين »

أبحر السلطان عبد العزيز من الاستانة فى يوم الجمعة ٣ ابريل سنة ١٨٦٣ الساعة الثالثة بعد الظهر على ظهر اليخت الهمايونى « فيض جهاد » وهو اليخت البديع الذى أهداه إليه اسماعيل باشا عندما ذهب إلى الاستانة فى شهر فبراير سنة ١٨٦٣ ليتسلم فرمان تنصيبه والياً على مصر[1] وفى مقابله أهدى إليه السلطان حجراً من

---

(١) كان اسماعيل باشا كلف نوبار بك بان يهدى باسمه الى السلطان الباخرة « فيض جهاد » ولكن كامل باشا الصدر الاعظم ومصطفى فاضل باشا عارضا وقالا بان السلطان يسره اكثر ان يهدى اليه ٢٠٠٫٠٠٠ بندقية فامتعض اسماعيل . ثم انتهز فرصة مثوله بين يدى السلطان واعرب له عن رغبته فى اهدائه الباخرة فتقبلها منه السلطان شاكراً . وكان رجال المابين افهموا

البرلنتى وزنه ٤٦ قيراطا . وكان بمعية السلطان عبد العزيز فى اليخت ابنه الأمير يوسف عز الدين افندى وفؤاد باشا وزير الحربية ومحمد باشا وزير البحرية وماركو باشا طبيبه الخاص ثم رجال الياوران سعيد باشا وحسن باشا وبسيم باشا ومختار بك ورؤوف بك ثم رجال التشريفات ياور بك وحسن بك وخالد بك . وكانت سفينتان حربيتان تحرسان اليخت الشاهانى هما « مجيدية » و « الطائف » الاولى تقل الامراء مراد افندى وحميد افندى ورشاد افندى (الذين تولوا السلطنة من بعده باسم السلطان مراد والسلطان عبد الحميد والسلطان رشاد) . والثانية تقل الفريق سليم باشا والفريق اسماعيل باشا واللواء سامى باشا واللواء صالح باشا واللواء عصمت باشا ويوسف باشا وحسنى باشا والامناء شوكت بك وحليم بك ومختار افندى وابرو افندى سكرتير عام وزارة الخارجية [1]

وصول السلطان الى مصر

وصل السلطان عبد العزيز إلى مصر فى يوم الثلاثاء ٧ ابريل سنة ١٨٦٣ ونزل فى سراى رأس التين . وبمجرد ما وصل اليخت صعد اسماعيل باشا لتحية السلطان وبعد ما حياه باسم مصر قلده السلطان سيفاً مرصعاً بالجواهر الكريمة وقال له « أنا الان فى ضيافتك وفى حماك »

اسماعيل بان خير هدية تسر تركيا انما زيادة الويركو فراوغ فى الجواب . وليكسب عطف اهل الاستانة اغدق عليهم مالا كثيراً فتصدق على احد وزراء الدولة الفقراء بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه لترميم داره . وتبرع لمساجد استانبول وللطوائف غير الاسلامية بمبالغ طائلة . واعطى لسفير فرنسا ٤٠٠ جنيه ليوزعها على فقراء اللاتين و ٤٠٠ جنيه مثلها لسفير انجلترا ليوزعها على فقراء البروتستانت . وجاد لكل من بطاركة الروم والارمن الكاثوليك والارمن الارثوذكس بـ ٢٩٠ جنيه لاعمال البر والاحسان واعطى حاخام الطائفة الاسرائيلية مثلها

(١) راجع كتاب جارديه Gardey « سياحة السلطان عبد العزيز من استانبول الى مصر » طبع باريس سنة ١٨٦٥ . موجود بمكتبة الجامعة المصرية . وهو الكتاب الذى نقل عنه المرحوم الياس بك الايوبى معظم تفاصيل زيارة السلطان لمصر . وجارديه هذا كان مربى الامراء مراد افندى وحميد افندى ورشاد افندى وحضر معهم الى مصر و بعد رحلة السلطان الف كتابه ونشره فى باريس

وفى الساعة العاشرة نزل السلطان من اليخت وركب زورقاً فخما وركب معه اسماعيل باشا وفؤاد باشا . وكان اسماعيل قد نصب فيه مقعدا عاليا اشبه شيء « بعرش » جلس عليه السلطان . وكان من عادة سلاطين آل عثمان أن لا يسمحوا لأى شخص كان مهما عظم شأنه بالجلوس معهم جنباً لجنب . ولكن السلطان سمح بصفة استثنائية لاسماعيل باشا بان يركب معه فى الزورق . ولكى لا يظهر اسماعيل باشا وهو فى الزورق وطيء جداً عن السلطان امر السلطان الاميرين مراد افندى ورشاد افندى كما أمر فؤاد باشا وزير الحربية بان يركبوا معه ويجلسوا مع اسماعيل باشا لتستوى مراكزهم جميعاً امامه

وبمجرد ما وطئت قدما السلطان أرض مصر اطلقت جميع الطوابى وجميع السفن المصرية والاجنبية التى كانت راسية في ثغر الاسكندرية مدافعها وعلت اصوات الجنود والاهالى الذين حضروا الى ثغر الاسكندرية — من مصر ومن الارياف — ليشهدوا حفلة استقبال السلطان هاتفين « بادشاه مز جوق يشا »[1] وعزفت الموسيقى بالاناشيد التركية والمصرية فكان المنظر من اروع المناظر التى شهدتها مصر

وبعد ما استراح السلطان برهة من الزمان رافقه البرنس حليم باشا الى السلاملك الذى يشرف على ميناء الاسكندرية وقد خصص له وللامراء مراد افندى وحميد افندى ورشاد افندى والامير يوسف عز الدين والائمة والأمناء . اما الحرملك الذى يشرف على البحر فخصص لاقامة فؤاد باشا ومحمد باشا ومحمود باشا وسائر كبار الضباط ورجال الحاشية الهمايونية

قضى السلطان بقية النهار فى السلاملك يشاهد الميناء وحركة البواخر التجارية التى كانت تدخل وتخرج طول النهار . كما ابصر عن بعد ترعة « المحمودية » التى حفرها محمد على باشا وسماها باسم ابيه السلطان محمود وانفق فى سبيل حفرها ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنك وسخر لها ٢٥٫٠٩٠ فلاحاً . كما شاهد الترسانة التى انشأها محمد على باشا وبنى فيها الاسطول المصرى الذى أرسله محمد على الى بلاد الموره تحت

---

(١) أى « يعيش سلطاننا »

أمرة صهره الاميرال المصرى محرم بك - بأمر ابيه السلطان محمود ، ذلك الاسطول الذى دمرته سفن الحلفاء - انجلترا وفرنسا وروسيا - فى ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ فى خليج نافارين Navarin عقب الثورة اليونانية الكبرى

وفى المساء اقيمت الزينات ومعالم الافراح فى ثغر الاسكندرية كلها وعلى الخصوص بين سراى رأس التين والمنشية الكبيرة حيث توجد دور القنصليات الاجنبية ولا سيما دار القنصلية الفرنساوية والفنادق الكبيرة - مثل فندق اوروبا - والشركات والبنوك ودور اعيان الجاليات الاجنبية مثل دار مسيو دلسبس ودار زيزينيا ودار اوبنهايم البنكير الشهير وقد اضيئت كلها بالانوار ورفعت عليها الرايات وزينت بالزهور حتى تجلى ميدان المنشية كأنه قطعة من الجنة . وركب السلطان وحده فى مركبة اعدها له اسماعيل باشا تجرها اربعة جياد مطهمة . اما اسماعيل باشا فانه خرج مع بعض صحبه متنكراً وحدث أن رأى مركبة السلطان قادمة نحوه فوقف وادى التحية بصفته فرداً من الرعية الا ان السلطان مر بدون ان يراه

وفى اليوم الثانى - وهو يوم الاربعاء ٨ ابريل - خرج السلطان مبكراً وزار مدفن سعيد باشا ومدافن باقى اعضاء عائلة محمد على . ثم عاد الى سراى رأس التين حيث استقبل جميع قناصل الدول وكان لابساً طربوشه الاحمر « العزيزى » ومتقلداً سيفاً مرصعاً بالجواهر الكريمة وعلى صدره نيشان مرصع بالبرلنتى وفى خنصر يده خاتم فيه فص ياقوت كبير . ثم خرج من سراى رأس التين وزار الاحياء الوطنية والاحياء الافرنجية وشاهد ترعة المحمودية والسكة الحديد والمعامل والجنائن ثم قصد الى محرم بك حيث تناول الغداء فى حديقة حليم باشا بمحرم بك (المعروفة الآن بسراى نمرة ٣ وكانت ملكا للغازى مختار باشا ثم باعها للاميرة نعمت هانم مختار زوجة ابنه الجنرال محمود مختار باشا) وفى المساء عاد الى سراى رأس التين بعد ان طاف فى اهم شوارع الثغر

وفى اليوم الثالث - وهو يوم ٩ ابريل - خرج السلطان فى الساعة العاشرة من سراى رأس التين وقصد محطة السكة الحديد وقبل أن يركب القطار طلب ان يشرح له كيفية تسيير القطارات وتركيب القاطرة - لان تركيا وقتئذ ما كانت تعرف السكة الحديدية

وما كان السلطان قد ركب قطاراً من قبل [١] — وبعد ان شرحوا له كل شيء دخل الصالون الذى خصص له وركب اسماعيل باشا وحليم باشا وفؤاد باشا صالوناً آخر مجاوراً لصالون السلطان . لان الرسميات التركية تقضى كما قلنا بان لا يجلس مع السلطان احد [٢] اما الامراء مراد افندى وحميد افندى ورشاد افندى وسائر رجال الحاشية فاستقلوا قطاراً ثانيًا . وفى الساعة الحادية عشرة صباحاً تحرك القطار ومر بترعة المحمودية وبحيرة مريوط وبالبرارى التى تحاذيها — وهى البرارى التى غمرتها المياه عند ما قطع الانجليز السد واغرقوها لمضايقة الجيش الفرنساوى الذى كان مرابطاً فى الاسكندرية وفى ضواحيها عند ما جاء الانجليز والترك فى اوائل القرن التاسع عشر لاجلاء جيش بونابرت عن مصر

مر القطار بكفر الدوار ثم بدمنهور [٣] ثم سار الى ان وصل الى كفر الزيات وفيها ترجل السلطان والامراء لتناول بعض المرطبات ومشاهدة الكوبرى البديع الذى اقيم على النيل وبلغت تكاليفه ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه . وفى الاثناء قص الامير حليم باشا على السلطان وعلى الامراء اولاد اخيه تفصيل حادثة سقوط الكوبرى والقطار فى ١٥ مايو سنة ١٨٥٨ عند ما كان فيه هو — اى البرنس حليم باشا — مع اخيه البرنس احمد باشا ومات احمد باشا غريقًا ونجا هو باعجوبة . وبعد ثلاثة أرباع الساعة وصل القطار الى طنطا فنزل السلطان وقصد تواً مسجد البدوى حيث ادى صلاة

---

(١) لان السكك الحديدية انشئت فى مصر في عهد عباس الاول اذ منح استيفنسن الانجليزى (ابن استيفنس مخترع القاطرات البخارية) امتياز مد سكة حديد بين مصر والاسكندرية . وفى عهد سعيد باشا عهد الى المهندس المصرى فايد بك باتمام هذه السكة الحديدية كما عهد اليه انشاء سكك حديدية اخري مثل سكة حديد بنها والزقازيق ومصر والسويس

(٢) حدث أن السلطان تفضل ذات يوم ودعا اسماعيل ليركب معه فى مركبته عندما كان يطوف فى انحاء القاهرة الا ان اسماعيل اعتذر بكل لطف تأدبا منه ورعاية لمقام الذات السلطانية الشاهانية

(٣) وعلى مقربة من دمنهور هذه كان الجنرال بونابرت على وشك الوقوع اسيراً فى قبضة المماليك عندما تقدم الفرقة التى كان يقودها . وقد حصل له مثل ما حصل لعمرو بن العاص عند ما حاصر ثغر الاسكندرية وكاد يقع اسيراً فى قبضة الروم

الظهر ثم سار القطار مخترقاً اخصب اراضى مصر فى مديريات الغربية والمنوفية والقليوبية بين غيطان القطن والبرسيم والقمح . وفى اثناء سيره قابل قطارات اخرى كثيرة كانت تنقل بضائع وحاصلات الصعيد والسودان والهنـد الى ثغر الاسكندرية لتصدر منها الى اوربا . فتمنى الامراء ورجال الحاشية ان يروا مثل هـذه القطارات فى بلادهم . وفى الساعة الحادية عشرة مساء وصـل القطار الى القاهرة فدخلها السلطان على ضوء المشاعل ونزل بالطابق الاول من سراى القلعة ولما صـعد اسماعيل باشا لتحيته باسم مصر والمصريين انتزع السلطان من صدره النيشان المجيدى المرصع ووضعه على صدر اسماعيل اعلاناً لرضاه الشاهانى . و بعد المشاء اطلقت الالعاب النارية فى ميدان القلعة ابتهاجاً بوصول السلطان

وفى يوم ١٠ ابريل (وهو اليوم الثانى لوصوله القاهرة) خرج السلطان من سراى القلعة وقصد جامع القلعة حيث ادّى صلاة الجمعة وقـد جلس وحده فى الحجرة العليا التى خصصت له. اما الامراء فتخيروا مكاناً فى صحن الجامع وانضم اليهم اسماعيل باشا . اما فؤاد باشا ومحمـد باشا ومحمود باشا (صهر السلطان عبد المجيد) فجلسوا فى حجرة مجاورة . و بامر خاص من السلطان خطب الخطيب المصرى خطبة الجمعة وفيها قال بان السلطان يمثل الاسلام والعالم الاسلامى . وان شخصه مقدس . وان جميع رعاياه مدينون له بالطاعة والاحترام . وان كل الخير والهناء والسعادة انما تصدر منه . وان جميع رعايا السلطنة يتمتعون بخيراته واحساناته على السواء بدون تميز بينهم . وان الدين الحنيف كله سماحة . وان السـلطان ضرب للعالم باسره خير مثال للعدل بين رعاياها جميعاً . و بعد ان تمت الخطبة زار السلطان ضريح محمد على ووقف امامه برهة صامتاً . ثم قال « ان محمد على كان رجلا عظيما واسمه سيبقى خالداً ابداً » ثم وجهه شطر اسماعيل باشا وحليم باشا وقال لهما « اسأل الله أن تعمرا مثل ما عمر محمد على وأن تخدما السلطنة »

و بعد أن عاد السلطان إلى السراى استقبل رجال الدين جميعاً مسلمين ونصارى ثم خطب فيهم قائلا « ان العمل لسعادة الشعوب واجب مقدس . يجب علينا جميعا أن نبذل جهودنا كل بقدر قواه وفى حـدود واجباته للوصول الى هـذه الغاية » .

و بالنظر لوجود بعض المطارنة والقساوسة الروم نقل اليهم فؤاد باشا كلمات السلطان الى اللغة اليونانية

وفى يوم السبت ١١ ابريل اشرف السلطان من الكشك الذى شيده محمد على فى الجزء القبلى من القلعة على ركب المحمل المسافر الى مكة ثم انتهز الفرصة وزار المكان الذى حصلت فيه مذبحة المماليك فى أول مارس سنة ١٨١١ ودار الحديث على وجه الشبه بين مجزرة المماليك فى عهد محمد على [1] ومجزرة الانكشارية فى عهد ابيه السلطان محمود ومجزرة الستريلتز فى عهد بطرس الاكبر قيصر روسيا . والمجازر الثلاثة كانت لغاية واحدة هى استئصال شافة تلك العصابات العسكرية التى كان همهما سفك الدماء ونهب الاموال واثارة الفوضى وكانت عقبة كأداء فى سبيل رقى مصر وتركيا وروسيا . ثم طاف السلطان فى انحاء القاهرة وانتهى به المطاف الى سراى الجزيرة . وقد ابدى رغبته فى رؤية الانجال فارسل اليهم اسماعيل باشا رسولا احضرهم فى الحال من سراى المنيل بجزيرة الروضة حيث كانوا يقيمون و يتعلمون تحت اشراف مربيهم مسيو جاكليه M. Jacquelet فلما مثلوا امامه انعم السلطان على أولهم برتبة باشا (فريق) وكان عمره ١١ سنة الا ان اسماعيل طلب من السلطان أن يأذن لاولاده فى لبس ملابس المدرسة حيث تربوا مع زملاء آخرين على أن يتقلدوا ملابسهم الرسمية بعد انتهاء سنى الدراسة وقد انتهز اسماعيل هذه الفرصة السانحة وقال للسلطان « انى مدين لابيك السلطان المتوفى برتبة الباشوية ولكنى لا انسى الفرح الذى شعرت به عندما حصلت من المدرسة الحربية بفرنسا على أول رتبة عسكرية » وقد اعجب السلطان بتربية اولاد اسماعيل حتى انه التفت الى فؤاد باشا وقال له « أن أولاد السلاطين اقل علماً وتربية من أولاد اسماعيل باشا » وأمره بان يعد العدة ويخصص فى مدرسة الحربية مكاناً خاصاً لتربية ابنه الامير عز الدين تربية عسكرية

وفى يوم الاحد ١٢ ابريل نزل السلطان ضيفاً على الامير حليم باشا فى سراى

---

(١) وهى المجزرة التى انتهت بقتل ٤٠٠ من كبار مماليك مصر القاهرة و ١٠٠٠ من مماليك الارياف فى يوم واحد

شبرا . وهذه السراى كانت من أبدع سرايات القاهرة . انشأها محمد على باشا الكبير على شاطىء النيل واحاطها بحديقة غناء فيها من الاشجار والنباتات والزهور والطيور والاعمدة الرخامية والاكشاك مالم تر العين مثله . ولا يزال الكرسى الذى جلس عليه السلطان موجوداً حتى الآن فى هذه السراى . وهى الآن ملك ورثة المرحوم البرنس حسن باشا اخى جلالة الملك . وقد طاب للسلطان المقام فى هذه السراى بقية النهار وجزءا من الليل متحدثاً مع فؤاد باشا وحليم باشا . وفى هذه الاثناء ندب السلطان رامز اغا أحد رجال حاشيته ليطوف على دور العائلات المصرية الكبيرة ويحيى الحريمات باسمه وحرر له كشفاً باسماء ١٤ اسماً مثل زوجات المرحوم محمد على باشا وابراهيم باشا وعباس باشا وسعيد باشا وحريمات باقى أعضاء العائلة

وفى يوم الاثنين ١٣ ابريل زار السلطان متحف الآثار المصرية القديمة وكان يرافقه العلامة ماريت . ثم زار محالج ومغازل القطن والحرير فى بولاق ومسابك وورش الخراطين والخشابين والمبيضين . ومن بولاق ركب باخرة وقصد القناطر الخيرية ثم عاد وتناول العشاء فى قصر النيل

وفى يوم الثلاثاء ١٤ ابريل زار الاهرام ولم يكن هناك طريق يوصل بين القاهرة والاهرام . فكان طريق الوصول الى الاهرام وعراً حتى أن المركبة التى كان فيها اسماعيل باشا وفؤاد باشا غاصت فى الاراضى الزراعية فاضطر اسماعيل باشا وفؤاد باشا أن يتمما الطريق على ظهور الخيل . وقص ماريت (باشا) على السلطان تاريخ بناء الاهرام وابى الهول والمعبد وتاريخ حياة من بنوها . وقد دار السلطان حول الاهرامات الثلاثة ممتطياً جواداً كريماً ولما وصل الى المعبد ترجل وطاف فى جميع غرفه. ولم تمنعه شدة الحرارة وكثرة التجوال من اتمام زيارة جميع الآثار . وفى المساء عاد الى القاهرة فوجد شواطىء النيل كلها تتلألأ بالانوار وكان الهواء عليلاً بليلا فذكرته هذه الليلة البديعة باحدى ليالى البوسفور وبقى السلطان فى القاهرة الى آخر الليل

وفى يوم الاربعاء ١٥ ابريل هبت ريح الخماسين على القاهرة وكانت ريحاً حامية . فاستحسن السلطان أن يقضى نهار هذا اليوم فى سراى الجزيرة تحت ظلال اشجارها وبالقرب من جداولها . وفى صبيحة هذا اليوم زار السلطان المشهد الحسينى

ماراً بشارع الموسكى وشارع السكة الجديدة وكان اسماعيل باشا يسير على قدميه بجنب مركبة السلطان والناس واقفون خاشعون صامتون على جانبى الطريق كأن على رؤوسهم الطير . وفى مقدمة الموكب سار رجل يحمل عصا كبيرة يضرب بها الأرض بين الخطوة والخطوة ويقول بأعلى صوته « الملك لله الواحد القهار »

وفى يوم الخميس ١٦ ابريل عاد السلطان الى الاسكندرية

وفى يوم الجمعة ١٧ ابريل ابحر إلى الاستانة . وقبل أن يبارح الاسكندرية امتطى جواداً مطهماً ذيالا وكان على صدره النيشان العثمانى المرصع والسيف الهمايونى المحلى بالاحجار الكريمة يتدلى من جنبه وقصد الجامع لتأدية صلاة الجمعة يحوطه الأمراء والوزراء والكبراء والعلماء وكبار رجال الجيش وكثير من أعيان مصر والاسكندرية وكلهم بملابسهم الرسمية تحرسهم من الجانبين الجند من مشاة وخيالة . وكان اسماعيل باشا وحليم باشا واسماعيل بك (ابن محمد على باشا الذى توفى بعد ذلك فى الاستانة) وطوسون باشا (ابن سعيد باشا) ينتظرون السلطان على باب الجامع . وعندما التقى السلطان باسماعيل قال له « اتعشم أن ينال الشعب المصرى على يديك كل هناء وسعادة . وقد كسب الشعب المصرى عطفى الشاهانى وحنانى الابوى وإنى سأشمله هو وولى أمره بعنايتى ورعايتى »

و بعد تمام الصلاة أبحر السلطان إلى الاستانة وكانت سفينتان من السفن التركية التى أبحرت معه قد حملت هدايا كثيرة من أبقار وخرفان وماعز وغزلان وثعالب وقردة و ببغاء وزرافة و٨٠ « سايساً » بملابسهم المزركشة البديعة

ويقول قنصل فرنسا فى تقرير رفعه إلى حكومته أن السلطان وزع على جميع المعاهد الخيرية على اختلاف أجناسها وأديانها خمسة آلاف جنيه . وأهدى إلى والدة اسماعيل باشا وزوجاته الثلاثة جواهر كريمة قدرت بمبلغ ١٢٠٫٠٠٠ جنيه وأنعم على والدة اسماعيل بالنيشان العثمانى المرصع – ولم تحصل على هذا الامتياز العظيم من قبل سوى أم السلطان فقط – أما اسماعيل فأهدى إلى السلطان « طقم » سفرة من الذهب الخالص محلى بالزمرد – كان ملك سعيد باشا واشتراه اسماعيل من تركة سعيد – ثم وزع اسماعيل على حاشية السلطان ٢٢٫٠٠٠ جنيه (٥٤٠٫٠٠٠) فرنك

عدا ما وزعه على رجال الحاشية الذين حملوا إلى والدته وزوجاته هدايا السلطان فانه وزع عليهم مبالغ تتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ جنيه لكل واحد حسب درجته[1] ومن ضمن من نالوا عطف السلطان واعجابه نوبار بك فان السلطان قبل أن يبرح مصر أنعم عليه برتبة الباشوية الرفيعة فكان أول مسيحى فى مصر حصل على رتبة « الباشوية »

وفى التقرير الذى رفعه قنصل انجلترا العام إلى حكومته قال عن نوبار باشا بمناسبة الانعام عليه برتبة الباشوية أنه (رجل واسع الاطلاع طموح نحو أعلى المراتب فى مصر او الاستانة نفسها)

وقد علا شأن اسماعيل باشا وتوطد نفوذه فى مصر وفى اوروبا علواً كبيراً بعد أن زاره السلطان عبد العزيز

ولتخليد ذكرى هذه الزيارة سمى الشارع الواقع بين عابدين وميدان العتبة الخضراء باسم « شارع عبد العزيز » وكانت الترعة التى توصل النيل بالسويس قد انتهى حفرها فاقترح دلسبس افتتاحها رسمياً بحضور السلطان وتسميتها الترعة « العزيزية » تيمناً باسم السلطان ولكن لاسباب عدة ارجىء افتتاح الترعة ولما افتتحت بعد ذلك سميت الترعة « الاسماعيلية » باسم اسماعيل باشا

---

(١) تفاصيل زيارة السلطان عبد العزيز لمصر تجدها مفصلة تفصيلا وافيا فى كتاب ظهر حديثا للعالم الجليل مسيو دوين Douin وضعه عن تاريخ ولاية اسماعيل باشا وهو من اوفى الكتب التاريخية . وانى انصح لكل مصرى ان يقرأ هذا الكتاب لانه استقى معلوماته من محفوظات سراى عابدين ومن تقارير سفراء وقناصل الدول المحفوظة فى باريس ولندن واستانبول وروما وغيرها

ويلذ لى فى هذا المقام التنويه بكتاب الدكتور محمد صبرى بك خريج السوربون عن « الامبراطورية المصرية فى عهد اسماعيل » فانه هو ايضا كتاب جامع مانع يعد مفخرة للكتاب المصريين

(٤)

ولاية العهـــد

ولاية العهد ما كانت معروفة فى تركيا فى بداية عهـد الامراء والسلاطين . وما كانت معروفة فى مصر فى بداية عهد محمد على باشا الكبير

فى تركيا – وفى العصـور الاولى – كان لولى الامر أن يختار لولاية الحكم من بعده من يشاء من أولاده . قد يختار الاكبر وقد يختار الاوسط وقد يختار الاصغر . كذلك كان له أن يختار واحداً من اخوته أو من اعمامه أو من ابناء اعمامه أو من ابناء اخوته . قد يختار الاقرب وقد يختار الابعد

ما دام ولى الامر حيًا وقائمًا بالأمر فلا ولى عهد ولا ولاية عهد

والذي يزيد الامر تعقيداً ويزيد ولاية العهد جهالة أن تعيين الخلف كان يرجع فى بعض الأحيان الى هوى حرم السلطان أو ارادة والدة السلطان ، كما كان يرجع فى ظروف كثيرة الى هوى الانكشارية والسباهى والمماليك . وما دام السلطان الخلف لا يعرف بالتحقيق الا بعد وفاة السلطان السلف فلا ولاية عهد ولا ولى عهد فى حياته

لما مات ارتغرول أول الامراء الترك خلفه ابنه عثمان

ولما مات عثمان تولى ابنه اورخان

ولما مات اورخان خلفه ابنه مراد

فى حياة اورخان بدت لبعض رجال الدولة فكرة شيطانية خبيثة هى أن يقتـل الاب فى اخريات أيامه اولاده واخوته الذين لا يرغب فى ترشيحهم للملك من بعده حتى يضمن الملك من بعده لمن اختاره

كان لاورخان ولدان : سليمان ومراد . خاف رجال الدولة أن يتنافس الاخوان ويقتتلان بعد وفاة أبيهما فنصحوا للاب أن يقتل ابنه مراداً ليضمن لابنه سليمان الملك من بعده . ولكن اورخان عز عليه أن يقتل ابنه فرفض الاخـذ بهذه الفكرة

الشيطانية الخبيثة . وقد حدث أن مات سليمان فى حياة ابيه اورخان فتولى اخوه مراد الملك من بعد أبيه

عادت هذه الفكرة الخبيثة وظهرت مرة أخرى بعد وفاة مراد

كان لمراد ولدان بايزيد ويعقوب. كانا على أتم ما يكون من المحبة والوئام والوفاق وما كان يعقوب يفكر مطلقًا فى أن يناوىء اخاه بايزيد أو يزاحمه فى الملك . ومع ذلك جاء الصدر الاعظم على باشا وجمع في الليل ديوانًا ضم وزراء الدولة وكبار القواد وتشاور معهم فى الامر وقبل طلوع الفجر دخل الجلادون خيمة الامير يعقوب واعلنوه بقرار المجلس القاضى باعدامه فصلى الامير يعقوب صلاة الفجر ثم ضرب الجلادون عنقه وتركوا رأسه امام خيمته اعلانًا للناس بان البلاد ليس لهـا الا سيد واحد هو السلطان بايزيد . اتصل خبر اعدام يعقوب باخيه بايزيد فبكى وحزن

وقد بقى العمل بهذه الفكرة الخبيثة مئات السنين

بعد وفاة بايزيد تزاحم اولاده سليمان ومحمـد وعيسى وموسى على العرش . استقل كل واحد بجزء من بلاد السلطنة ثم تحاربوا وتقاتلوا وانتهى الامر باستواء محمد الاول على العرش

توفى محمد الاول فتولى ابنه مراد الثانى السلطنة بحكم ارشديته وبحكم صغر اخويه الرضيعين وبحكم سبق سجن عمه مصطفى فى جزيرة لمنوس تحت حراسـة ايمانويل الامبراطور اليونانى . ولما كبر اخواه الصغيران أعدم أحدهما شنقًا واعدم الثانى خنقًا

توفى مراد الثانى فتولى ابنه محمـد الثانى (الذى فتح القسطنطينية فى ٢٩ مايو سـنة ١٤٥٣) وكان لمحمد أخ لأب رضيع من أم مسلمة هى أميرة ترانسلفانيا Princesse de Transylvanie اسمها مارا Mara أما هو فكانت أمه مسيحية (اميرة سينوب Princesse de Synope) فخوفًا من أن الشعب يأتى فى المستقبل ويفضل ابن المسلمة على ابن النصرانية أمر بقتل اخيه لأبيه الرضيع . وللوصول إلى قتله احتال على الأم واستدعاها عنده فى السراى وبينما هى ماثلة أمامه كان رسوله قد انسـل داخل السراى وأخذ الرضيع وأغرقه فى حوض الحمام . ثم لنفى الشبهة عنه أمر بقتل رسوله حتى لا يذيع له سراً

وفى أثناء حكمه أصدر قانوناً أباح فيه لكل سلطان أن يقتل أخوته ليمنع كل منافسة - ولو محتملة - له فى الملك . وقال فى ديباجته أن سلامة الدولة تقتضيه وأن معظم الفقهاء أفتوه بأنه يحق لمن يتولى السلطنة من اولادى أو من اولاد اولادى أن يقتلوا أخوتهم لتطمئن قلوبهم على الملك وأنه يوصى اولاده واولاد اولاده بأن يعملوا بأحكام هذا القانون

وبعد وفاة محمد الثانى تنازع الملك ولداه بايزيد ابنه الكبير وجيم ابنه الصغير . بايزيد بويع فى استانبول وجيم بويع فى بورصه . عرض الأخ الصغير على الأخ الكبير أن يقتسما السلطنة على أن تكون أوروبا من نصيب بايزيد الأخ الكبير وآسيا من نصيب جيم الأخ الصغير . كانت الواسطة بين الأخوين عمة محمد الفاتح . فلما عرضت العمة على محمد أمر القسمة استبقاء لصلة الأخوة وحقنا للدماء أجابها بايزيد « ان السلاطين ليس لهم أهل » . تحارب الاخوان واقتتلا وانتهى الأمر بانكسار جيم فى « يكى شهر » واضطراره إلى الفرار . جاء إلى مصر ونزل ضيفاً على سلطان مصر . ثم زار القدس ومكة والمدينة وأقام فى رودس حيناً من الزمن ثم رحل منها إلى فرنسا - فى زمن شارل الثامن - ومنها سافر إلى روما ونزل ضيفاً على البابا Innocent ولبث فى ضيافته ثلاث سنوات . ثم استصحبه ملك فرنسا إلى نابولى وفيها مات فى ليلة ٢٤ فبراير سنة ١٤٩٥ ونقلت رفاته فيما بعد إلى بورصه حيث دفن فى مدفن ابائه وأجداده .

اما بايزيد فتولى السلطنة حينا من الزمن ثم اكره على التنازل عن العرش لابنه سليم وبعد تنازله مات مسموما واتهم المؤرخون ابنه بقتله ليستريح من احتمال رجوعه عن تنازله عن العرش

انتزع سليم السلطنة من ابيه كرها عنه وعلى كراهة من اخويه كركود واحمد وولدى اخيه احمد (عثمان وسليمان) وبعد فترة من الزمان بدأ الاخوة يقتتلون . كان لسليم اخوة ماتوا فى حال حياة ابيهم ولكنهم تركوا خمسة اولاد ففكر سليم فى التخلص منهم فامر بقتلهم جميعا . وليتأكد من قتلهم حضر بنفسه عملية القتل . بدأوا بخنق الاول ثم بخنق الثانى ثم بخنق الثالث ثم بخنق الرابع . ولما جاء دور الخامس

(ابن علم شاه) عصى واستل سيفه وقتل اربعة من الجلادين وقطع يد الخامس . ولما هم بالفرار جاء جلادون آخرون واجهزوا عليه . ولما خلص سليم من الخمسة نصب لاخيه كركود شركا اوقعه فيه ثم قتله . ثم قبض على اخيه احمد وخنقه . وسليم الاول هذا هو الذى غزا مصر وهزم قانصوه الغورى سلطان مصر فى مرج دابق . ولما مات وجد الاطباء فى جسمه سبعة علامات حمر بعدد الذين اراق دماءهم من اهله ليضمن لنفسه صولجان الملك

بعد وفاة سليم تولى السلطنة ابنه سليمان . وكان ابوه قد ابعده عمداً عن القسطنطينية خوفا من ان يتآمر على قتله . كان للسلطان سليمان زوجات عدة : زوجة شركسية رزقها الله ولدا اسمه مصطفى نفاه ابوه فى اماسيا ثم قتله قتلة سوء . وكان لمصطفى هذا ولد يقيم مع امه فى بورصه فامر بقتله ايضاً . وزوجة روسية Roxelane رزقها الله منه بولدين (سليم وبايزيد) . لما اطمأنت الزوجة الروسية على مستقبل ولديها (بقتل ابن ضرتها وابن ابنه) فكرت فى ضمان حياة ابنها بايزيد . فلتبعد خطر اعدامه فى سبيل ضمان العرش لاخيه الكبير سليم - الذى كان ابوه ينوى تنصيبه على العرش من بعده - دست دسائس شب بسببها قتال دار بين الاب والابن انتهى بفرار الابن بايزيد الى بلاد العجم وفيها زجوه هو واولاده الاربعة فى غياهب السجون ثم غدروا بهم وقتلوهم خنقاً

مات سليم وخلف ستة أولاد ذكور كان أسنهم مراد الثالث . فعملا بحكم السنة التى استنها محمد الفاتح أعدم اخوته الخمسة كى لا يزاحمه أحد منهم على عرش السلطنة

رزق مراد الثالث من زوجاته ومستولداته مائة واثنتين من الاولاد والبنات[1] كان منهم على قيد الحياة وقت وفاته ٣٠ ولداً و٢٧ بنتاً وبحسب قانون محمد الثانى تعين اعدام الأولاد الذكور وترك البنات - بشرط اعدام أولادهن الذكور - فبمجرد ما تولى محمد الثالث (ابن مراد الثالث) السلطنة أعدم اخوته التسعة عشر

---

(١) ولد رمسيس الثانى فرعون مصر ١٦٢ ولدا وبنتا منهم ١١١ ولدا ذكرا و٥١ بنتا وكان مزواجا فاحشا اذ تزوج بثلاثة من اخواته و بثلاثة من بناته

كان لمحمد الثالث ولد اسمه محمود شبّ على حب القتال واشتهر بالفروسية . أحبه الجند وعلقوا عليه آمالا كبارا الا ان والده محمد الثالث خشى أن يطمع الولد فى العرش ويصل إليه من طريق قتل اخوته فاعتزم السلطان التخلص منه فأمر بقتله هو وأمه

عند وفاة السلطان محمد الثالث كان له ولدان : احمد ومصطفى . نادى الجنود الانكشارية والسباهى باحمد سلطاناً ولما أوعزوا إليه بقتل أخيه مصطفى عملا بالقانون الذى وضعه محمد الفاتح أبى

توفى أحمد الأول وعمره ٢٨ سنة وله من الأولاد الذكور سبعة . ولكن أخاه مصطفى كان حياً لم يقتل عملا بالسنة التي استنها محمد الفاتح . فعملا بمبدأ الامراء التتر

وكان لهرون الرشيد من امهات الاولاد احدى وعشرون اشهرهن « مراجل » ام المأمون . و « ماردة » ام المعتصم . و « قصف » ام القاسم . وقد انجبن له جميعاً اثنى عشر ولدا واربع عشرة بنتا .

ورزق محمد على باشا الكبير من زوجاته وولائده (مستولداته) ثلاثين منهم سبعة عشر ولدا وثلاث عشرة بنتا

وعادة زواج الاخ باخته عادة قديمة كانت شائعة عند قدماء الفرس وقدماء اليونان . لان اهالي اتينا وما اليها واهالى سبارطة وما اليها كانوا يجيزون زواج الاخوة لاب من اخواتهم . ويحرمون زواج الاخوة بشقيقاتهم كما كانوا يحرمون زواج الاخوة لام من اخواتهم . وكان ملوك مقدونيا يجيزون تعدد الزوجات . وكاليجولا الامبراطور الرومانى الذى استولى على عرش الامبراطورية الرومانية فى القرن الاول من ميلاد المسيح اخذ بهذه العادة لنفسه .

وعند قدماء المصريين — فى عهد الفراعنة — كان زواج الاخوة بأخواتهم جائزا وكانوا يجيزون ايضا نكاح المتعة . ويقول المؤرخون ان الفراعنة كانوا يعتبرون انفسهم من نسل الآلهة والآلهة لا تتقيد باصول واحكام الزواج .

انتقلت هذه العادة من الفراعنة الى البطالسة الذين تولوا عرش مصر بعد ما غزاها اسكندر الاكبر . وبطليموس الخامس هو اول من ولد من زواج اخ باخته ومن الغريب انه ولد بدينا قويا على خلاف قواعد الفسيولوجيا .

والبطالسة اجازوا زواج المرأة بعمها كزواج كليوباترة الثالثة بعمها بطليموس افرجيت الثانى . وقد ساروا على مذهب الفراعنة فى اعتبار انفسهم من نسل الآلهة حتى ان بطليموس الثانى امر باقامة معابد لأبيه ولأمه وامر الشعب بعبادتهما . وليدخل فى روع الشعب انه من الآلهة عدل صيغة اليمين التى تؤدى امام القضاء فامر المتقاضين والشهود بان (يقسموا بالملك بطليموس الثانى ابن بطليموس الاول ابيه وبامه ارسينويه فيلادلف)

من وجوب مبايعة أكبر أفراد العائلة سناً بايعوا مصطفى عم الاولاد . الا أن مصطفى الأول كان رجلا أبله عاش ١٤ سنة فى حضن أمه وفى أحضان جواريه وهو لا يدرى من أمور الدنيا شيئاً ولا من أمور السلطنة شيئاً فخلع وبويع أخوه عثمان (أكبر أولاد أحمد الأول) سلطاناً

وجد عثمان الثانى فى أخيه محمد استعداداً كبيراً لأن يكون رجلا ذا شأن فأمر بخنقه وخنق بالفعل . الا أن سوء ادارته أبعدت عنه قلوب الناس فشبت ثورة خلعته وعاد عمه مصطفى (الابله) الى العرش . أما عثمان الثانى فقبضوا عليه وأودعوه السجن ثم خنقوه

عاد الشعب وخلع مصطفى و بايع مراداً بن احمد الاول واخا عثمان الثانى

تولى مراد الرابع السلطنة وفى اثناء حكمه شاعت اشاعة بانه قتل اخوته الاربعة ليمنع مزاحمتهم له فى الملك عملا بالسنة الفظيعة التى استنها محمد الثانى فثار الشعب عليه . ولتهدئة الخواطر احضر اخوته الاربعة — بايزيد وسليمان وكاظم وابراهيم — واظهرهم للشعب فسكن . ولكن نيته كانت مبيتة على قتلهم جميعاً اذ أنه بمجرد ان قويت شوكته وامن شر الثورة امر القائمقام بيرم بقتل اخويه بايزيد وسليمان وكافأ القاتل بان عينه صدراً اعظم . وقبل أن يزحف الى بلاد فارس قتل اخاه كاظم ليضمن السلطنة له وحده ولم يبق الا أخاه ابراهيم لمرضه وعدم احتمال تطلعه الى العرش . ولما شعر أن منيته دنت امر بقتل اخيه ابراهيم . ولكن ام ابراهيم هربته فنجا

مات مراد الرابع وترك ولداً رضيعاً اسمه محمد . بين محمد بن مراد الرابع وعمه ابراهيم وقع الاختيار على العم

تولى ابراهيم فعربد . قبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه ونصبوا من بعده محمداً بن مراد الرابع

محمد الرابع كان صغير السن . تولى السلطنة بالاسم وتولت امه السلطانة طرخان السلطنة بالفعل . الا أن السلطانة قسيم زوجة احمد الاول (وجدة محمد الرابع) غاظها خروج السلطنة من يديها فتآمرت على قتل السلطانة طرخان وعلى خلع محمد الرابع

ومبايعة سليمان أخيه من أبيه . الا ان المؤامرة فشلت وانتهت بقتل السلطانة قسيم . رزق محمد الرابع ولداً ذكراً ففكر فى الحال فى قتل أخويه . الا أن السلطانة الوالدة حالت دون تنفيذ أمر القتل . استفتى الديوان والمفتى فانكرا عليه حق قتل اخوته . وفى اخريات أيامه ثار الشعب عليه فلما اتصل به الخبر اتجه فكره فى الحال الى قتل اخوته واولاده حتى لا يجد الشعب أحداً غيره يولونه السلطنة . الا أن الصدر الاعظم فطن للامر فهرب أخوته واولاده . ثم بايعوا أخاه سليمان الثالث سلطاناً

وبعد سليمان الثالث نصب أخوه أحمد . أحمد الثانى كان أبله . فكروا فى خلعه وفى تنصيب مصطفى (ابن محمد الرابع) ولكن المنية عجلت فاختطفت روحه . وبموته تولى مصطفى الثانى . وعلى أثر ثورة أهلية خلع مصطفى . أشاروا على مصطفى بأن يعجل بقتل أخيه أحمد وقتل جميع الامراء الذكور . ولكن نفسه لم تطاوعه فذهب الى أخيه أحمد وأجلسه هو بنفسه على عرش السلطنة . وبعد ٢٧ سنة من توليه الحكم ثار الشعب عليه وخلعوه وولوا محموداً ابن أخيه مصطفى الثانى سلطاناً . أخرجوا محموداً من سجنه وأجلسوه على العرش . وكان عمه السلطان أحمد الثالث أول من قبل خديه كسلطان وقبل يديه كفرد من رعاياه

تولى محمود الأول السلطنة ولكونه لم يرزق ولداً تولى من بعده أخوه عثمان الثالث (ابن مصطفى الثانى) وفى مدة حكمه مات بالسم ثلاثة من أولاد أحمد الثالث واتهم السلطان بتسميمهم ليتخلص منهم

مات عثمان الثالث ولم يخلف أولاداً فانحصر العرش فى مصطفى وفى أخيه الصغير عبد الحميد . أخرجوا مصطفى من السجن وأجلسوه على العرش

توفى مصطفى الثالث وترك ولداً اسمه سليم وقبل أن تحضره المنية دعا مصطفى الثالث أخاه عبد الحميد وأوصاه بتقوى الله و بشؤون السلطنة و بابنه الصغير سليم ثم لفظ النفس الأخير

توفى عبد الحميد الأول (رابع أولاد السلطان أحمد الثالث) ولم يرزق من

الـ ٥٠٠ امرأة اللاتى اتخذهن زوجات ومستولدات إلا بولدين رضيعين . فتولى السلطنة من بعده سليم (ابن أخيه مصطفى الثالث)

سليم الثالث هذا هو الذى حضر فى زمنه نابليون بونابرت الى مصر . وفى أخريات أيامه أراد تنظيم الجيش على الطراز الاوروبى فثار عليه الجند وخلعوه وولوا مكانه ابن عمه مصطفى الرابع (ابن عبد الحميد الاول)

تولى مصطفى الرابع وفى أخريات أيامه ثار عليه الشعب وطلب اعادة السلطان سليم الى العرش . وبمجرد ما سمع السلطان مصطفى كلامهم هذا أسرع وأمر الجلادين بأن يأتوا له برأس ابن عمه سليم فنفذ الجلادون الأمر . خاف مصطفى أن يخلعوه ويولوا مكانه أخاه الصغير محموداً ففكر فى قتله أيضاً . ولكن الشعب سبقه فخلعه وسجنه وبعد حين قتله ونادى بأخيه محمود ابن السلطان عبد الحميد الاول سلطاناً[1]

توفى محمود فخلفه ابنه عبد المجيد

وبعد عبد المجيد تولى أخوه السلطان عبد العزيز الذى خلع وقتل بعد حين[2]

وتولى بعده السلطان مراد الخامس (ابن السلطان عبد المجيد)

خلع مراد وتولى من بعده السلطان عبد الحميد الثانى المشهور بالسفاح . وبعد ٣٣ سنة خلع

وتولى من بعده أخوه رشاد محمد السادس (ابن السلطان عبد المجيد)

ومن بعده تولى أخوه محمد السادس (ابن السلطان عبد المجيد) وفى زمنه أبطل الكماليون السلطنة وأبقوا الخلافة ثم خلعوه وولوا عبد المجيد (ابن السلطان عبد العزيز)

---

(١) السلطان محمود هذا هو الذى انتقم لابن عمه السلطان سليم من الانكشارية بأن ابادهم على بكرة ابيهم (كما فعل محمد على باشا بالمماليك) وهو الذى عاصر محمد على باشا الكبير وحاربه فانتصرت جيوش محمد على على جيوش السلطان محمود فى عكا وحمص وحماه وبيلان وقونيه ونزيب

(٢) السلطان عبد العزيز هو الذى حضر الى مصر فى بداية عهد اسماعيل باشا (فى ابريل سنة ١٨٦٣)

خليفـــة ثم ابطلوا الخلافة . و بابطال السلطنة والخلافة وقيـــام الجمهورية دالت دولة سلاطين آل عثمان [1]

فأنت ترى من هذا البيان التاريخى الوجيز أن نظام ولاية العهد ما كان معروفاً . السلطنة كانت تؤول تارة الى الابن (مع وجود العم والأخ) وتارة إلى العم (مع وجود الابن والأخ) وحيناً الى الأخ (مع وجود الابن والعم) وحيناً الى ابن الاخ (مع وجود الابن والعم والأخ)

---

(١) ما أشبه حوادث القتل والفتك والاغتيال فى عهد آل عثمان بحوادث القتل والفتك والاغتيال فى عهد البطالسة (فى مصر) وفى عهد اباطرة بيزنطة (القسطنطينية)

نجد بطليموس الرابع اغتـــال اباه بطليموس الثالث . وبطليموس الثالث اغتال اخاه واغتال عمه واغتال امه واغتال زوجته . وبطليموس الخامس اشتهر بقتـــل من حدثته نفسه بمناوأته من ذوى قرابته . وبطليموس افرجيت الثانى قتل ابنه ثم قطع جسمه اربا اربا وارسلها الى امه هدية في عيد ميلادها .وكليوباترة تيا Théa قتلت زوجها وقتلت احد اولاده ولما همت بقتل ولده الآخر فر . ومن غريب امرها انها تزوجت بالقاتل ولما استتب له الامر امر بقتلها واستبد بالحكم وحده .وبطليموس الثامن اغتال ابن اخيه وكان ولى عهده ثم تزوج امه ولما رزقت منه ولداً اعدمه وارسل جثته الى امه . واغتالت كليوباترة الثالثة كليوباترة الثانية واستأثرت بالحكم وحدها . حاولت قتـــل ابنها بطليموس الحادى عشر الا ان ابنها كشف المؤامرة فاعدم امـــه . وام بطليموس العاشر خلعت ابنها من العرش ونصبت مكانه بطليموس الحادى عشر فجازاها هذا جزاء سنمار بان امر باعدامها . ولما تزوج بطليموس الحادى عشر بحماته جاء بطليموس الثانى عشر واغتاله . وبعد ان اغتاله اوقعوه هو فى شرك واغتالوه . ولما تولى بطليموس الثالث عشر (وهو ابو كليوباترة الشهيرة) اعدم بنته برنيس لانها ناوأته ونازعته فى الحكم . وكليوباترة الشهيرة قتلت اخاها ثم قتلت اختها لتضمن لسيزاريون Césarion انها من يوليوس قيصر عرش مصر

وهكذا نجد تاريخ البطالسة عبارة عن سلسلة اغتيالات . الاب يقتل ابنه والابن يقتل اباه والاب يقتل بنته والاخت تقتل اخاها والاخ يقتل عمه والعم يقتل اولاد اخيه

وتاريخ اباطرة بيزنطة مثل تاريخ البطالسة كان سلســـلة قتل واغتيال من اشنع ماروا التاريخ . كانوا يفقأون العين ويجدعون الانف ويقطعون اللسان ويخلعون الاظافر ويضربون العنق ويعرضون رأس القتيل فى الميادين لتقذفها العامة بالحجارة او تضربها بالعصى او تشوهها بالسكاكين . كان الخنق والشنق والذبح والسلخ والخلع والطعن والسجن والتعذيب من الحوادث المألوفة . واذا عرفت أن الامبراطورية البيزنطية عمرت الف سنة امكنك ان تقدر عدد حوادث القتل والغدر والفتك التى ارتكبت فى هذه الفترة الطويلة من الزمان التى استبد بالسلطة فيها النساء من خليلات وحليلات (الفرق نقطة) والخصى والندمان وقواد الجيش واعضاء مجلس الشيوخ .

والاختيار كان تارة للسلطان . وتارة لحرم السلطان . وتارة لأم السلطان . وآونة للصدر الأعظم . وآونة أخرى للانكشارية . وحيناً للأغوات وحيناً لمن توليه الثورات . لا يدرى أحد من أولاد السلطان ولا من ذوى قرابة السلطان من سيتولى السلطنة . لتعدد زوجات السلاطين وتعدد أولادهن كانت كل سلطانة تسعى لإيثار أولادها على أولاد غيرها

ولاية العهد تقتضى بطبيعتها معرفة ولى العهد فى مدة ولاية العهد . ولكن تاريخ آل عثمان يدلك على انه الى أوائل القرن التاسع عشر ما كانت توجد ولاية عهد وما

والقتل كان يحدث عادة فى « آت ميدان » . فى عهد جوستنيان وحده اعدموا ٤٠٫٠٠٠ منهم الزعيم هيباتيوس واخوه . وفيه ايضا اركبوا الامبراطور اندرونيك كومين ناقة جرباء ثم جعلوا وجهه ميمما شطر ذيل الناقة واذنوا لاقارب ضحاياه فى سلخ جلده باظافرهم ثم فقأوا عينيه وبقروا بطنه بسكين ثم علقوه من رجليه . وفيتاليان قتله جوستنيان ليشق لنفسه طريقا الى العرش . والامبراطور موريس قتل . وقبل قتله احضروا اولاده الخمسة وقتلوهم امامه ثم القوا جثثهم فى البحر بعد ان قطعوا رؤوسهم وعرضوها فى احد ميادين بيزنطة ثم قبضوا على زوجته وبناته وسجنوهن فى دير وعثروا على احد اولاده فى بهو كنيسة فقبضوا عليه واعدموه ثم ارتابوا فى امر الزوجة والبنات فاعدموهن . وبومبيه الزعيم الرومانى المشهور الذى حارب يوليوس قيصر وانكسر فى واقعة فارسال لما حضر الى مصر ليستنجد ببطليموس الرابع عشر (اخى كليوباترة الشهيرة) استقبله وزراء بطليموس فى عرض البحر ولما وصلوا به الى البر طعنوه من الخلف فخر قتيلا مضرجا بدمائه . وقسطنطين ابن هرقل مات مسموما . وهيراكولانوس بن هرقل جدع انفه . وامه مارتين (زوجة هرقل) قطع لسانها . وكونستان الثامن ابن قسطنطين بن هرقل قتل اخاه ثم قتل هو غيلة . وجوستنيان الثانى كان يأدب المأدب لمن يريد الفتك بهم وبعد تناول الطعام كان يخنق من يريد خنقه ويقطع رأس من يريد قطع رأسه ويشنق من يريد شنقه ويسلخ جلد من يريد سلخه ويزج بالباقين فى الاكياس ويلقيهم فى البوسفور . ولما جاء دوره جدعوا انفه وقطعوا لسانه ونفوه ثم قتلوه كما ذبحوا ابنه الصغير فى صحن الكنيسة التى اختبأ فيها . وتيبير وليونتوس ضربت اعناقهما . والبطريرك جالينوس فقئت عيناه . والامبراطور فيليبكوس قادوه الى آت ميدان وفقأوا عينيه بعد ان كبلوه بسلاسل من حديد وضربوه بالبلط . والامبراطورة ايرين خلعت ابنها من عرش الامبراطورية ثم كبلته بالحديد وسجنته ثم فقأت عينيه . وليون الخامس قتل غيلة . وميشيل الثالث قتل غيلة ايضا .

ووالله لو حدثتك عن حوادث الاغتيال التى حصلت فى عهد الامبراطورية البيزنطية التى عمرت الف سنة ما استنفدتها .

كان يوجد ولى عهد . بدأت ولاية العهد تعرف من زمن السلطان أحمد الأول (سنة ١٦٠٣ – ١٦١٧) عندما قرروا أيلولة السلطنة لأكبر أعضاء العائلة السلطانيـة سنًا (séniorat, ordre d'ainesse) فحجب أخو السلطان ابن السلطان . وحجب أولاد عم السلطان أبناء السلطان . وهذه القاعدة (قاعدة تفضيل أكبر أعضـاء العائلة سنًا) أخذها الترك عن التتر . أما السنة الأخرى الخبيثة (سـنة قتل الأولاد والاخوة وأبناء العم لضمان استيلاء العضو المحظوظ على العرش) فسبق أن أشار اليهـا تاسيت Tacite المؤرخ اللاتينى المشهور الذى ولد وعاش فى القرن الأول من الميلاد حيث قال :

" *Au sortir du berceau, ils n'étaient plus des frères, c'étaient des compétiteurs.*"

هذا ما كان من امر سلاطين آل عثمان

اما فى مصر فانه لما حل الجفاء محـل الصفاء بين مصر وتركيا وتدخلت دول اوروبا بين السلطان ووالى مصر وحتمت وقف القتـال الذى انتهى بموقعة نزيب المشهورة صمم محمد على باشا على ان تكون ولايته على مصر وراثية محصورة فى اولاده . قبل الباب العالى ولـكنه حاول ان يجعل للسلطان حق اختيار الخلف من بين ذرية محمد على . رفض محمد على وايدته الدول فى رفضه وحتمت على السلطان ان يجعل الولاية على مصر وراثية فى ذرية محمد على على ان تكون الولاية لاكبر اولاده واولاد اولاده سنا . قبل السلطان على كراهة منه وصدر بذلك فرمان فى اول يونيه سنة ١٨٤١ ومن هذا التاريخ عرف ولى العهد بانه اكبر اولاد واولاد اولاد محمد على سنا . وبناء على هذه القاعدة تولى ابراهيم باشا (ابن محمـد على) ثم عباس باشا (ابن طوسون ابن محمد على) ثم سعيد باشا (ابن محمد على) فتقدم ابن الابن (عباس) على الابن (سعيد) لان ابن الابن كان اكبر سنا . وبعد سعيد تولى اسماعيل (ابن ابراهيم بن محمد على) مع وجود حليم باشا (ابن محمد على) فتقـدم ابن الابن (اسماعيل) على الابن (حليم)

اذن تعينت ولاية العهد وعرف ولى العهد فى حياة الوالى القائم بالامر

الا ان اشتراط ولاية العهد لاكبر اعضاء العائلة سنا ولدت احقادا ومخاوف .

فبدأ ابراهيم باشا بطلب تغيير هذا النظام وجعل الولاية محصورة فيه وفى اولاده الذكور على ان يتلقاها الابن عن ابيه ومنه تنتقل الى ابن الابن ثم الى ابن ابن الابن وهكذا بدون ان يكون للاخوة حق . ولكن مساعى ابراهيم فشلت

جدد عباس السعى واستعان بالانجليز فلم يفلح

عاد سعيد باشا وجدد السعى واستعان بفرنسا فلم يفلح

جاء اسماعيل باشا وسعى لدى الباب العالى رأسا فلم يوفق

جدد المسعى فى سنة ١٨٦٣ فلم يفلح لان اخاه مصطفى فاضل باشا كان فى ذلك الوقت وزيراً لمالية الدولة وله نفوذ كبير فى استانبول

عاد فى سنة ١٨٦٥ واوفد والدته الى الاستانة وزودها باموال وفيرة فسافرت فى خلال سنة ١٨٦٦ ومهدت له السبيل فسافر ولم يعد الا وفى يده فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ — ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ – وفيه حصر الوراثة فى اولاده الذكور على ان ينتقل العرش منه الى ابنه توفيق ومن ابنه توفيق الى عباس بن توفيق وهكذا . وليضمن اسماعيل باشا عدم تدخل الباب العالى فى امر ولاية العهد استصدر من السلطان بتاريخ ١٥ يونيه سنة ١٨٦٦ – ٢ صفر سنة ١٢٨٣ – فرمانا بتأليف مجلس وصاية عندما تؤول ولاية العهد الى قاصر . وفى مقابل هذين الفرمانين قبل اسماعيل باشا أن يرفع ويركو مصر من ٨٠٫٠٠٠ كيس (٤٠٠٫٠٠٠ جنيه) الى ١٥٠٫٠٠٠ كيس (٧٥٠٫٠٠٠ جنيه تركى أو ٦٧٥٫٠٠٠ جنيه انجليزى أو ٢٧٫٢٥٠٫٠٠٠ فرنك)

هذا وقد أشار عالى باشا الصدر الأعظم فى المنشور الذى أرسله الى الدول فى ٣٠ مايو سنة ١٨٦٦ وبه بلغها صدور فرمان ٢٧ مايو الى سبق سعى ابراهيم باشا وعباس باشا وسعيد باشا الى تغيير نظام وراثة العرش فقال « ان جميع الباشوات الذين حكموا مصر – ابراهيم باشا وعباس باشا وسعيد باشا – كانوا طلبوا – كما فعل اسماعيل باشا – تغيير نظام الوراثة وحصرها فى أولاد الوالى دون اخوته وارتكنوا الى اعتبارات متعلقة بالنظام العام وبحسن ادارة البلاد . وأضافوا الى ذلك بحق أن عيب نظام الوراثة القديم مستفاد من ان كل من يتولى الحكم يصرف همه إلى مصلحته الشخصية دون مصلحة البلاد ما دامت ولايته ولاية مؤقتة بحياته ولا تؤول من بعده إلى أولاده.

يضاف إلى هذا العيب عيب آخر هو أن الوالى يكون همه جمع أكبر ثروة ممكنة يخلفها لأولاده . و بوجود ثروات طائلة فى أيدى أولاده يعظم شأنهم وتكبر عصبيتهم و يكونون خطراً على البلاد كما حصل فى عهد المماليك »

بغض النظر عن الآلاف التى بذلتها الوالدة وعشرات الألوف التى بذلها اسماعيل لاستمالة السلطان عبد العزيز و بصرف النظر عن رفع الجزية من ٨٠ر٠٠٠ كيس الى ١٥٠ر٠٠٠ كيس فان مبدأ تغيير نظام الوراثة صادف هوى فى نفس السلطان عبد العزيز . لأنه هو نفسه كان يريد تغيير نظام الوراثة المعمول به فى تركيا ليحصر السلطنة فى أولاده وأولاد أولاده ولكنه لم يوفق . وعملاً بفرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ تولى توفيق باشا ابن اسماعيل باشا خديوية مصر و بعد وفاته تولى ابنه عباس الثانى

وفى ديسمبر سنة ١٩١٤ خلع عباس الثانى وانفصلت مصر عن تركيا واقيم الامير حسين كامل (أخو الخديو توفيق وعم الخديو عباس) سلطاناً على مصر . ولما توفى عرضت سلطنة مصر على ابنه الأكبر الأمير كمال الدين فرفض . فوقع الاختيار على الامير أحمد فؤاد (أخى الخديو توفيق وأخى السلطان حسين و عم الخديو عباس) ليكون سلطاناً على مصر . وفى عهد سلطنته لم تكن ولاية عهد ولم يكن ولى عهد

ولما تغير نظام الدولة واصبحت مصر مملكة مستقلة صدر أمر كريم بتاريخ ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢ بوضع نظام لتوارث عرش مصر فيه تقرر ان تنتقل ولاية الملك من صاحب العرش الى اكبر ابنائه ثم الى اكبر ابناء ذلك الابن الاكبر وهكذا طبقة بعد طبقة . على انه اذا توفى اكبر الابناء قبل ان ينتقل اليه الملك كانت الولاية الى اكبر ابنائه ولو كان للمتوفى اخوة . وعملا بهذا الامر الكريم تولى صاحب الجلالة فاروق الاول عرش المملكة المصرية بعد وفاة والده العظيم وصار ابن عمه صاحب السمو الملكى الامير محمد على باشا توفيق ولى عهد المملكة المصرية عملا بحكم المادة الثالثة

من ذلك الأمر التى تنص على انه اذا لم يكن لمن له ولاية الملك عقب ولا أخوة ولا ذرية أخوة كذلك كانت الولاية الى أعمامه وذراريهم (١)

هذا وقد نص الأمر الملكى الكريم الصادر فى ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢ على انه لا حق للنساء أيا كانت طبقاتهن فى ولاية الملك . وهذه القاعدة كان معمولاً بها فى تركيا فى عهد سلاطين آل عثمان وفى مصر فى عهد الأسرة المحمدية العلوية

على انه فى عهد الفراعنة وفى عهد البطالسة وفى عهد المماليك استوت على عرش مصر نساء مثل الملكة نيت والملكة حاتاسو بنت طوطميس الأول فرعون مصر . وفى عهد البطالسة تولت كليوباتره و بيرينيس . وفى عهد المماليك تولت شجرة الدر

أما النساء اللاتى جلسن على عروش اوروبا فكثيرات أشهرهن فكتوريا ملكة انجلترا وامبراطورة الهند . وماري تريز امبراطورة النمسا . وكاترين قيصرة روسيا . وماري اميلى ملكة البرتغال . وماري ستيوار ملكة اسكتلندا . ووهلمينا ملكة هولنده

لقب ولى العهد

عندما غزا امنحتب فرعون مصر بلاد اثيوبيا التى أطلق عليها اسم بلاد الكوش سمى ولى عهده (أمير الكوش) . والانجليز يسمون ولى العهد عندهم (أمير ويلز) . والايطاليون يسمون ولى العهد (امير بيمونت) . وكان الاسبان يسمون ولى العهد (أمير استوريا)

ولعل هذا هو الذى حدا المغفور له الملك فؤاد الأول على تسمية ابنه ولى العهد (أمير الصعيد) .

---

(١) آلت ولاية العهد الى حضرة صاحب السمو الملكى الامير محمد على باشا توفيق مع وجود اخيه الكبير الخديو عباس لان الخديو عباس لا تثبت له ولاية الملك بناء على انه استثنى من احكام امر ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢

(٥)

زوجات حكام مصر

من محمد على باشا الكبير الى جلالة الملك فاروق الاول

لمناسبة زواج حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بحضرة صاحبة الجلالة الملكة فريدة نورد هنا اسماء الأميرات اللاتى سبقن جلالة الملكة فريدة وكن زوجات حكام مصر أو مستولداتهم من محمد على باشا الى ابراهيم باشا إلى عباس باشا الأول إلى سعيد باشا - ولاة مصر - الى الخديو اسماعيل الى الخديو توفيق إلى الخديو عباس الثانى إلى السلطان حسين كامل إلى ساكن الجنان الملك فؤاد الاول (١)

فى خلال ١٣٢ سنة - بين ١٧ مايو سنه ١٨٠٥ بداية ولاية محمد على باشا الكبير و٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ نهاية عهد جلالة الملك فؤاد الأول - تطور نظام الحكم فى مصر من ولاية محمد على وابراهيم وعباس وسعيد إلى خديوية اسماعيل وتوفيق وعباس إلى سلطنة حسين إلى مملكة فؤاد

وكما تطور نظام الحكم فى مصر كذلك تطورت أصرة الاسرة فى مصر . وعم هذا التطور أسر الولاة والخديوين والسلاطين والملوك والامراء والعظماء وعامة أفراد الشعب عملا بسنة التطور الاجتماعى فى العالم شرقاً وغرباً . فما كان مشروعاً فى أوائل القرن التاسع عشر اصبح مندوباً فى اواسطه ، وجاء القرن العشرون فاذا ما كان حلالا أصبح حراماً وما كان مندوباً أصبح مكروهاً . الا ترى أنه فى أوائل القرن التاسع عشر كانت الأماء كثيرة فكان الرجل ينكح ماطاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع ويضيف اليمن ما ملكت ايمانه ، أما فى أواخر القرن التاسع عشر وفى القرن العشرين فقد تلاشى عهد الأموات والمستولدات بتلاشى عهد الجوارى والرقيقات

---

(١) نشرت فى مجلة « المصور » بعددها الخاص الصادر بمناسبة « الزواج الملكى »

احدى زوجات محمد علي باشا الكبير

محمد علي باشا الكبير

كانت له زوجتان :

الأولى – أمينة هانم .وهى بنت على باشا الشهير بمصرلى من أهالى قرية نصرتلى التابعة لدراما . حضرت الى مصر فى سنة ١٨٠٨ بعدما استتب الامر لزوجها . وفى رمضان سنة ١٢٢٩ هجرية – سنة ١٨١٤ ميلادية سافرت الى بلاد الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة الروضة النبوية المطهرة . نزلت فى جدة ومنها سارت إلى مكة المكرمة يتبعها ٥٠٠ جمل تحمل خدمها وحشمها ومتاعها . وفى منى التقت بزوجها . وبالنظر لجلال موكبها وعظمة الحرس الذى كان يحرسها وفخامة الخيمة التى نزلت فيها سماها أهل الحجاز « ملكة النيل » . وقد بلغ عدد حجاج ذلك العام ٨٠٠٠٠ حاج . ومما يروى عنها أنه لما أعتزم ابنها ابراهيم باشا السفر الى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين واخضاعهم ذهب إلى والدته ليودعها فعانقته ووضعت بيدها الكريمة فى عنقه عقداً من الجواهر الثمينة وقالت له « لا تنزع هذا العقد من عنقك لا فى الليل ولا فى النهار حتى تصل الى الحجاز وتضعه بيدك على ضريح رسول الله » ففعل . وقد توفيت بالقاهرة فى سنة ١٢٣٩ هجرية – ١٨٢٤ ميلادية ودفنت فى المدفن الكبير بالأمام .

رزق منها محمد على باشا الكبير خمسة أولاد ثلاثة اولاد ذكور وبنتين وهم :

– الأمير ابراهيم باشا . ولد فى سنة ١٢٠٤ هجرية — ١٧٨٩ ميلادية فى قرية نصرتلى التابعة لدراما . وولى على مصر فى ٣ شوال سنة ١٢٦٤ هجرية — ٢ سبتمبر سنة ١٨٤٨ وتوفى فى مصر فى ١٤ ذى الحجة سنة ١٢٦٤ — ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ودفن بالقاهرة بالمدفن الكبير بالامام

– الأمير احمد طوسون باشا . ولد في سنة ١٢٠٨ هجرية – ١٧٩٣ ميلادية فى قرية نصرتلى التابعة لدراما . وتوفى برشيد فى ٧ ذى القعدة سنة ١٢٣١ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٦ ودفن بالقاهرة بالمدفن الكبير بالأمام

– الأمير اسماعيل كامل باشا . ولد فى سنة ١٢١٠ هجرية – ١٧٩٥ ميلادية وتوفى فى شندى بالسودان فى سنة ١٢٣٨ هجرية – ١٨٢٢ ميلادية ودفن بالقاهرة بالمدفن الكبير بالامام

– الأميرة توحيدة هانم . وهى زوجة محرم بك الذى عينه محمد على باشا حاكما للجيزة ثم محافظاً للاسكندرية ثم أميرالا للاسطول المصرى . وباسمه سمى الحى المعروف بثغر الاسكندرية (حى محرم بك) . ولدت فى سنة ١٢١٢ هجرية – ١٧٩٧ ميلادية وتوفيت بثغر الاسكندرية فى سنه ١٢٦٤ هجرية – ١٨٤٧ ميلادية ودفنت بالنبى دانيال بالاسكندرية بالصالة الكبرى

– الاميرة نازلى هانم . ولدت فى سنة ١٢١٤ هجرية – ١٧٩٩ ميلادية . وهى زوجة محمد بك الدفتردار الذى انفذه محمد على باشا الى السودان لاخضاعه ثم الى شندى للانتقام من أمرائها ومن اهاليها الذين غدروا بابنه اسماعيل وقتلوه غيلة وحرقاً . توفيت باسكندرية فى شهر صفر سنة ١٢٧٧ – أغسطس سنة ١٨٦٠ ودفنت بالنبى دانيال بالاسكندرية بالصالة الكبرى

الثانية – ماه دوران هانم (اوقش قادن) . لم يرزق منها أولاداً . توفيت بالقاهرة فى ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٧ – ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٠ ودفنت بمدفن والدة الامير محمد على باشا بشارع ابن الفارض بالقاهرة . وهى وقف مساحته ١٣١٧ فدانا بمديريات الجيزة والمنيا والقليوبية والبحيرة

أما مستولداته فهن :

١ – أم نعمان بك . وقد رزق منها بالأمير نعمان بك . توفيت بالقاهرة فى سنة ١٢٣١ هجرية – ١٨١٦ ميلادية ودفنت بالمدفن الكبير بالأمام

٢ – عين حياة قادن . توفيت بالاسكندرية فى سنة ١٢٦٥ هجرية – ١٨٤٩ ميلادية ودفنت بالنبى دانيال بالاسكندرية . وقد رزق منها بمحمد سعيد باشا (والى مصر) الذى ولد بالقاهرة فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٧–١٧ مارس سنة١٨٣٢ وتولى على مصر فى ١٤ يوليه سنة ١٨٥٤ وتوفى بالاسكندرية فى ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ – ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ودفن بالنبى دانيال بالصالة الكبرى

٣ - ممتاز قادن . وقد رزق منها بالأمير حسين بك الذى ولد فى سنة ١٢٤١ هجرية - ١٨٢٥ ميلادية وتوفى بباريس فى سنة ١٢٦٣ هجرية - ١٨٤٧ ميلادية ودفن بالنبى دانيال بالاسكندرية بالصالة الكبرى . وقد توفيت بالقاهرة فى ١٥ شوال سنة ١٢٨٤ - ٩ فبراير سنة ١٨٦٨ ودفنت بالعفيفى بمصر . ولممتاز قادين وقف تاريخه ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٦٨ هجرية مساحته ٣٦٦٥ فدانًا بنواحى درين والمنشاة الكبرى وصرد بمديرية الغربية جعلت منها ريع ٢٤٩٠ فدانًا لعتقائها وريع ٤٠٠ فدان على مدفن ابنها حسين بك

٤ - ماهوش قادن . توفيت بالقاهرة فى سنة ١٢٨٢ هجرية - ١٨٥٦ ميلادية . ودفنت بمدفن الامير محمد عبد الحليم باشا بالامام . وقد رزق منها بالأمير على صديق بك الذى ولد فى ١٦ شعبان سنة ١٢٤٣ - ٣ مارس سنة ١٨٢٨ وتوفى فى سنة ١٢٥٣ هجرية - ١٨٣٦ ميلادية

٥ - نام شاز قادن . توفيت بالقاهرة سنة ١٢٨٦ هجرية - ١٨٦٩ ميلادية ودفنت بمدفن الامير محمد عبد الحليم باشا بالامام . وقد رزق منها بالامير محمد عبدالحليم باشا الذى ولد فى سنة ١٢٤٧ هجرية - ١٨٣١ ميلادية وتوفى بالاستانة فى ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣١٢ - ٤ يونيه سنة ١٨٩٤ ودفن بمدفن السلطان محمود

٦ - زيبه خديجة قادن . توفيت بالقاهرة سنة ١٢٩٥ هجرية - ١٨٧٨ ميلادية ودفنت بمدفنها بشارع ابن الفارض بالقاهرة . وقد رزق منها بالامير محمد على باشا الصغير الذى ولد فى سنة ١٢٤٨ هجرية - ١٨٣٣ ميلادية وتوفى بالاستانة فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ - ٢٧ يونيه سنة ١٨٦١ ودفن بها بجامع ابى ايوب الانصارى

٧ - شمس صفا قادن . توفيت بالقاهرة سنة ١٢٦٢ هجرية - ١٨٤٦ ميلادية ودفنت بالمدفن الكبير بالامام وقد رزق منها بنتين :

- الاميرة فاطمة هانم التى توفيت باسكندرية فى سنة ١٢٣٧ هجرية - ١٨٢٢ ميلادية ودفنت بالنبى دانيال بالاسكندرية

- الاميرة رقية هانم التى توفيت فى سنة ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية ودفنت بالمدفن الكبير بالامام

٨ – شمع نور قادن . وهى صاحبة وقف تفتيش صبيح المشهور ومساحته ٤٧٠٠ فدان . توفيت باسكودار فى سنة ١٢٨٠ هجرية – ١٨٦٣ ميلادية . وقد رزق منها بالاميرة زينب هانم التى ولدت فى ٩ صفر سنة ١٢٤١ – ١٢ اكتوبر سنة ١٨٢٥ وتوفيت بالاستانة فى ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ – ٩ ابريل سنة ١٨٨٤ وهى زوجة يوسف كامل باشا الصدر الاعظم وصاحبة وقف شاوه المشهور ومساحته ١٠٢٠٠ فدان وفندق شبرد وما حوله . وصاحبة تفتيش دنشال ٣٦٠٠ فدان الذى آل لاخيها الامير محمد عبد الحليم باشا ارثًا عنها ثم وقفه وقفًا اهليًا ووقفًا خيريًا

٩ – نايله قادن . لم يرزق منها اولاداً

١٠ – كلفدان قادن . لم يرزق منها اولاداً . توفيت بالقاهرة سنة ١٢٢٨ هجرية – ١٨١٣ ميلادية ودفنت بملحق المدفن الكبير بالامام

١١ – قمر قادن . لم يرزق منها اولاداً . توفيت بالقاهرة فى سنة ١٢٨٥ هجرية ١٨٦٨ ميلادية ودفنت بمدفن الامير محمد عبد الحليم باشا بالامام

وكان لمحمد على باشا – رحمه الله – مستولدات أخريات كثيرات لم تحفظ لنا الوثائق الرسمية اسماءهن وانما حفظت لنا اسماء اولادهن . مثل الامير جعفر بك . وأميرين باسم اسكندر بك . وأميرين باسم حليم بك . وأميرين باسم عبد الحليم بك . والامير محمود بك . وأميرتين باسم رقية هانم . والاميرة سلمى هانم . والاميرة عائشة هانم . والاميرة زليخا هانم . وثلاث أميرات باسم زينب هانم

فجملة ما كان لمحمد على باشا من زوجات ومستولدات واولاد : زوجتان و٢٧ مستولدة (واذا كان بعض الاولاد والبنات غير المعروفة اسماء أمهاتهم من أم واحدة فتكون جملة المستولدات أقل من ٢٧) و ٣٠ ولدا منهم ١٧ ذكراً و١٣ بنتًا

ابراهيم باشا

أما زوجات المغفور له ابراهيم باشا والى مصر ومستولداته فهن :

١ – خديجة (برنجى قادن) . توفيت بالقاهرة فى سنة ١٢٨٧ هجرية – ١٨٧٠ ميلادية . ودفنت بمدفنها بالعفيفى ورزق منها بالامير محمد بك الذى ولد فى

سنة ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية وتوفى فى ٧ ربيع الاول سنة ١٢٥٣ الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨١٩ ودفن بالامام

٢ — شيوه كار قادن . توفيت فى مصر سنة ١٢٨١ هجرية — ١٨٦٤ ميلادية ودفنت بالامام وقد رزق منها بالامير احمد رفعت باشا الذى ولد فى ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٤١ - ٨ ديسمبر سنة ١٨٢٥ وتوفى فى اول شوال سنة ١٢٧٤ — ١٥ مايو سنة ١٨٥٨ فى حادثة سقوط قطار سكة الحديد بكفر الزيات ودفن بالامام

٣ — خوشيار قادن . وقد وقفت اماكن عدة شرطت صرف ريعها على مسجد الرفاعى. توفيت فى مصر فى ٢١ يونيه سنة ١٨٨٦ ودفنت بمسجد الرفاعى وقد رزق منها بالخديو اسماعيل الذى ولد فى سراى المسافرخانة فى ليلة الاثنين ١٧ رجب سنة ١٢٤٥ — ١٢ يناير سنة ١٨٣٠ واستوى على الاريكة الخديوية يوم ٢٨ رجب سنه ١٢٧٩ — ١٩ يناير سنة ١٨٦٣ وتوفى فى سراى امرجيان باستانبول فى ٦ رمضان سنة ١٣١٢ - ٢ مارس سنة ١٨٩٥ ودفن بمسجد الرفاعى بمصر

٤ — الفت قادن . توفيت فى استانبول سنة ١٢٨٣ هجرية - ١٨٦٥ ميلادية ودفنت بالسلطان ايوب . وقد رزق منها بالامير مصطفى بهجت فاضل الذى ولد فى القاهرة فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٤٥ - ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٠ وتوفى فى استانبول فى ١٢ شوال سنة ١٢٩٢ — ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ثم نقلت رفاته الى مصر فى خلال سنة ١٣٤٥ هجرية - ١٩٢٦ ميلادية ودفن بالجامع المسمى باسمه بشارع درب الجماميز بالقاهرة

٥ — كازار قادن . توفيت فى مصر فى ١٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ — ١٩ اكتوبر سنة ١٨٦٥ ودفنت بالعفيفى ولم يرزق منها أولاداً

٦ — ساره قادن . توفيت فى مصر فى ١٤ شوال سنة ١٢٨٦ - ١٧ يناير سنة ١٨٧٠ ودفنت بالعفيفى ولم يرزق منها أولاداً

وكان للمغفور له ابراهيم باشا بنتان : الأميرة أمينة التى توفيت فى سنة ١٢٤٥ هجرية - ١٨٢٩ ميلادية . والاميرة فاطمة التى ولدت فى ٢ ربيع الاول سنة ١٢٣٩ - ٦ نوفمبر سنة ١٨٢٣ وتوفيت فى سنة ١٢٤٨ هجرية - ١٨٣٢ ميلادية . وكلتاهما

دفنت بالامام بالصالة الكبرى . ولهما رزقتا له من كلزار قادن وحدها أو من ساره قادن وحدها أو منهما معًا

عباس الأول

ام الحاج عباس الأول والى مصر اسمها « بمبا قادن » . أما زوجاته ومستولداته فهن :

١ — ماهوش قادن . توفيت فى مصر فى ١٣ نوفمبر سنة ١٨٨٩ ودفنت بمدفن الامير محمود باشا حمدى بالامام . وقد رزقت منه بالأمير ابراهيم الهامى باشا والد المغفور لها أم المحسنين

٢ — شازدل قادن الجركسية . لها وقف خيرى بمديرية البحيرة على مسجد الواقفة وعلى تسبيل ماء زمزم المبارك على الواردين والمترددين بالحرم المدنى الشريف . كما لها وقف اهلى مساحته ٢٥٠ فدانا على عتقائها . توفيت فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٧ وقد رزق منها بالامير مصطفى والاميرة حواء

٣ — هواية قادن . توفيت فى مصر فى سنة ١٢٩٣ هجرية — ١٨٧٦ ميلادية ودفنت بالعفيفى . وقد رزق منها بالامير محمد صديق الذى توفى فى الحجاز ، والاميرة عائشة صديقة التى توفيت فى سنة ١٢٧٠ هجرية — ١٨٥٤ ميلادية ودفنت بالامام

٤ — همدم قادن . توفيت بالقاهرة فى سنة ١٢٦٧ هجرية — ١٨٥١ ميلادية ودفنت بالامام

٥ — برلانته هانم . توفيت فى القاهرة فى أول نوفمبر سنة ١٨٩٢ ودفنت بالمغاورى

سعيد باشا

زوجة المغفور له محمد سعيد باشا والى مصر ومستولدته هما :

١ — انجى هانم . توفيت بثغر الاسكندرية فى ٥ سبتمبر سنة ١٨٩٠ ودفنت بالنبى دانيال وهى صاحبة وقف مشهور بابعادية دمنهور مساحته ٤٨٧٠ فدانًا شرطت صرف ريعه على عتقائها وخدمتها واغواتها وعتقاء زوجها

٣ – ملك بر هانم . لها وقف بمديرية البحيرة مساحته ٢٣٩٠ فدانًا . توفيت فى ثغر الاسكندرية فى أكتوبر سنة ١٨٩٠ ودفنت بالنبي دانيال . وقد رزق منها ولديه :

– الامير محمد طوسون باشا الذى ولد فى سنة ١٨٥٣ وتوفى فى ثغر الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٧٦ ودفن بالنبي دانيال

–الامير محمود الذى توفى فى ثغر الاسكندرية في سنة١٨٤٦ ودفن بالنبي دانيال

اسماعيل باشا

زوجات المغفور له الخديو اسماعيل ومستولداته هن :

١ – فريال هانم . وقد رزق منها فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤–٢٦ مارس سنة ١٨٦٨ بالمغفور له الملك فؤاد الأول.وفى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٠٥ وقفت ٨٢٦ فدانًا بمديرية الشرقية (مركز منيا القمح) على نفسها مدة حياتها ومن بعدها على ذريتها وقد توفيت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ودفنت بالرفاعى

٢ – شفق نورهانم . وقد رزق منها فى ١٠ رجب سنة ١٢٦٨ – ٣٠ ابريل سنة ١٨٥٢ بالخديو توفيق. وقد توفيت فى ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ – ١٧ مارس سنة ١٨٨٤ . ولها وقف على الحرمين الشريفين : حرم مكة المكرمة وحرم المدينة المنورة

٣ – نورفلك هانم . وقد رزق منها فى ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ – ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ بالسلطان حسين كامل الذى تولى السلطنة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ – ٢ صفر سنة ١٣٣٣ وتوفى فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ – ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ . وقد توفيت فى مصر فى ١٥ ابريل سنة ١٩١٦

٤ – مثل ملك هانم . وقد رزق منها فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٢٧١ – ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٥٤ بالامير حسن باشا . وقد توفيت فى مصر فى ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٦ – ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٩

٥ – جانيار هانم . وقد رزق منها بالامير ابراهيم حلمى فى خلال سنة ١٢٧٧ هجرية – ١٨٦٠ ميلادية . والاميرة زينب هانم فى خلال سنة ١٨٥٩ ميلادية .

(وللاميرة جنـانيار هانم والاميرة شهرت فزا هانم والاميرة جشم آفت هانم وقف مشهور بوقف اتياى البارود مساحته ٩٥٨٥ فداناً) وقد توفيت فى ٢ محرم سنة ١٣٣١ — ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٢ ودفنت بالرفاعى

٦ — جهان شاه قادن . وقد رزق منها بالامير محمود حمدى فى خلال سنة ١٢٨٠ هجرية — ١٨٦٣ ميلادية وقد توفيت فى ١٩ ذى القعدة سـنة ١٣٢٢ — ٢٥ يناير سنة ١٩٠٥

٧ — شهرت فزا هانم . وقد رزق منها بالاميرة توحيدة (أو تفيدة) فى ٢٣ رمضان سنة ١٢٦٦ — ٢ اغسطس سنة ١٨٥٠ . والاميرة فاطمة فى ٢٥ شعبان سـنة ١٢٦٩ — ٣ يونيه سنة ١٨٥٣ . وقد توفيت بالقاهرة فى سنة ١٣١٣ هجرية — ١٨٩٥ ميلادية

٨ — مثل جهان قادن . وقد رزق منها بالاميرة جميلة فاضلة فى خلال سنة ١٨٦٩ وقد توفيت فى دار السعادة

٩ — نشئه دل قادن . وقد رزق منها بالاميرة امينة فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٥ والاميرة نعمت (مختار) فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٦ . وللاميرة نشئةدل وقف مشهور باسمها فى مديرية الشرقية مساحته ٢٠٣٨ فداناً وقد توفيت فى مصر فى ٢٥ جمـادى الآخرة سنة ١٣٤٢ — ٣٠ يناير سنة ١٩٢٤

١٠ — بزم عالم . وقد توفيت فى مصر خلال سنة ١٢٨٩ — ١٨٧٢ — ميلادية

١١ — جشم افت هانم . وقد توفيت فى مصر فى ٢٦ رمضان سنة ١٣٢٥ — ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٧ ودفنت بالرفاعى

١٢ — حور جنان قادن . وقد رزق منها بالاميرة امينة فى خلال سـنة ١٢٨١ هجرية — ١٨٦٤ ميلادية . ولها أوقاف بمديرية الغربية منها وقف ١٠٥٠ فداناً ووقف ٢٤٩ فداناً ووقف مساحته ٤١٣ فداناً وتوفيت فى ١٤ رمضان سنة ١٣١٧ — ١٥ يناير سنة ١٩٠٠

١٣ — فلك ناز قادن . وقد رزق منها بالامير رشيد بك فى خلال سنة ١٨٦٩

١٤ — جمال نور قادن . وقد رزق منها بالامير على جمال باشا فى ابريل سـنة ١٨٧٥

توفيق باشا

للمغفور له محمد توفيق باشا خديو مصر زوجة واحدة هى سمو الاميرة امينة نجيبة الهامى كريمة ابراهيم الهامى باشا ابن عباس الاول ولدت فى ١٠ شوال سنة ١٢٧٤ — ٢٤ مايو سنة ١٨٥٨ وتوفيت فى استانبول فى ١٨ يونيه سنة ١٩٣١ ودفنت بالعفيفى . وهى صاحبة وقف تفاتيش ميت خلف و بلتاج ونبروه ومساحة هـذا الوقف العظيم ٨٧٢٠ فدانًا صدر به اشهاد شرعى تاريخه ٢٧ يناير سنة ١٩٢٣ وقد رزق منها أولاده :

١ — سمو الخديو عباس حلمى الثـانى الذى ولد بالقاهرة فى اول جمادى الآخرة سنة ١٢٩١ — ١٤ يوليه سنة ١٨٧٤

٢ — حضرة صاحب السمو الملكى الامير محمد على باشا توفيق الذي ولد بالقاهرة فى ١١ شوال سنة ١٢٩٢ — ٩ نوفمبر سنة ١٨٧٥

٣ — الاميرة نازلى هانم التى ولدت فى اول ربيع الاول سنه ١٢٩٤ — ٨ ابريل سنة ١٨٧٧ وتوفيت فى سنة ١٢٩٦ هجرية — ١٨٧٩ ميلادية ودفنت بالعفيفى بمصر

٤ — الاميرة خديجة هانم التى ولدت فى ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٦ — ٢مايو سنة ١٨٧٩ وتزوجت بسمو الامير محمد عباس باشا حليم فى ٣١ يناير سنة ١٨٩٥

٥ — الاميرة نعمة الله التى ولدت فى يوم١٢من ذى الحجة سنة ١٢٩٨ — ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ وتزوجت فى ٨ يناير سنة ١٨٩٦ بالامير محمد جميل طوسون و بعد أن طلقت منه فى سنة ١٩٠٣ تزوجت فى سنة ١٩٠٤ بالمغفور له الامير كمال الدين حسين ابن المغفور له السلطان حسين

عباس الثانى

للخديو عباس حلمى الثانى زوجتان :

الاولى — اقبال هانم . ولدت فى سنة ١٨٧٦ وتزوجت بالخديو عباس فى١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٥ ثم طلقها. وله منها ستة أولاد هم :

— سمو الامير محمد عبد المنعم.ولد فى ٩ شوال سنة ١٣١٦ — ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩

– الامير محمد عبد القادر . ولد فى ٢٥ شوال ١٣١٩ – ٤ فبراير سنة ١٩٠٢ وتوفى فى مدينة مونترو بسويسرا فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٩ ودفن بالمفيى بمصر

– الاميرة امينة هانم . ولدت فى ١٧ شعبان سنة ١٣١٢ – ١٢ فبراير سنة ١٨٩٥

–الاميرة عطية الله هانم ولدت فى ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣١٣ – ٩ يونيه سنة ١٨٩٦

– الاميرة فتحية . ولدت فى ٢ رجب سنة ١٣١٥ – ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٩٧ وتوفيت فى حلوان فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٣ ودفنت بالمفيى بمصر

– الاميرة لطفية هانم شوكت . ولدت فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٠

الثانية – جاويدان هانم . لم يرزق منها أولاداً . تزوجها فى ١٨ صفر سنة ١٣٢٢ – ٢٨ فبراير سنة ١٩١٠ بحضور احمد شوقى بك الشاعر وفضيلة المفتى . ثم طلقها فى ٥ رمضان سنة ١٣٣١ – ٧ اغسطس سنة ١٩١٣ باشهاد شرعى صدر منه أمام فضيلة الشيخ حسن البنا رئيس محكمة الاسكندرية الشرعية و بشهادة صاحب الفضيلة الشيخ بكرى الصدفى مفتى الديار المصرية . وهى مجرية الاصل شريفة النسب أصل اسمها الكونتيس مارى توروك وقبل أن يعقد عليها أسلمت وسميت جاويدان هانم « بنت عبد الله »

السلطان حسين

السلطان حسين كامل له زوجتان :

الاولى – عين الحياة احمد وهى كريمة الامير احمد رفعت باشا من زوجته الاميرة دلبرجهان قادن ولدت فى ٥ اكتوبر سنة ١٨٥٨ – ٢٥ من صفر سنة ١٢٧٥ . تزوجها السلطان حسين فى ١٥ يناير سنة ١٨٧٣ ثم طلقها فى خلال سنة ١٨٨٥ وقد توفيت فى ١٢ أغسطس سنة ١٩١٠ واولاده منها :

١ – المغفور له الامير كمال الدين . ولد فى ١١ من ذى القعدة سنة ١٢٩١ – ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٧٤

٢ – الاميرة كاظمة . ولدت فى ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ١٢٩٣ – ١٦ يوليه سنه ١٨٧٦

٣ – الاميرة كاملة . ولدت فى يوم ٤ من شوال سنة ١٢٩٤ – ١٢ اكتوبر سنة ١٨٧٧

٤ – الامير احمد كاظم . ولد فى ٢٨ من ربيع الآخر سنة ١٢٩٦ – ٢١ ابريل سنة ١٨٧٩

وحرف (الكاف) طبع اسماءهم بطابع خاص : الاب اسمه « كامل » وابناه « كمال الدين » و « كاظم » وبنتاه « كاظمة » و « كاملة »

الثانية – صاحبة العظمة السلطانة ملك جشم آفت.ولها وقف بمركز المحلة الكبرى مساحته ١٣١٤ فدانًا صدر منها بتاريخ ١٣ ابريل سنه ١٩١٦ وقد رزق منها :

١ – صاحبة السمو السلطانى الاميرة قدرية ولدت فى ١٠ يناير سنة ١٨٨٨

٢ – صاحبة السمو السلطانى الاميرة سميحة ولدت فى ١٧ يوليه سنة ١٨٨٩

٣ – صاحبة السمو الاميرة بديعة ولدت فى أول محرم سنة ١٣١٢ – ٤ يوليه ١٨٩٤ وهي التى كانت زوجة معالى محمود فخرى باشا وتوفيت فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٣١ – ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٣

الملك فؤاد الاول

ساكن الجنان الملك فؤاد تزوج مرتين :

الاولى – تزوج بسمو الاميرة شويكار هانم ثم طلقها فى سنة ١٨٩٨ عقب حادثة اعتداء اخيها الامير احمد سيف الدين عليه فى الكاوب الخديوى فى ٧ مايو سنة ١٨٩٨ وقد رزق منها :

١ – الامير اسماعيل الذى ولد فى مدينة نابولى بايطاليا فى سنة ١٨٩٦ وتوفى فى ثغر الاسكندرية فى ٦ من صفر سنة ١٣١٥–٦ يوليه سنة ١٨٩٧ ودفن فى النبى دانيال

٢ – صاحبة السمو الملكى الاميرة فوقية التى ولدت فى سراى الزعفران يوم الاربعاء ٩ من جمادى الاولى سنة ١٣١٥–٦ اكتوبر سنة ١٨٩٧ وتزوجها معالى محمود فخرى باشا فى ١٢ مايو سنة ١٩١٩

الثانية – حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى . وهى كريمة المغفور لها توفيقة هانم بنت المغفور لها نازلى هانم (كريمة سليمان باشا الفرنساوى) وزوجة المغفور له السيد محمد شريف باشا ابن المرحوم محمد سعيد قاضى مكة . والدها المغفور له محمد عبدالرحيم

صبرى باشا ابن المرحوم حسين صبرى باشا ابن المرحوم ابراهيم موره لى . وقد رزق منها ساكن الجنان المغفور له الملك فؤاد الاول :

١ – بحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول الذى ولد فى سراى عابدين فى يوم الاربعاء ٢١ من جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ – ١١ فبراير سنة ١٩٢٠

٢ – بصاحبة السمو الملكى الاميرة فوزية وقد ولدت فى سراى رأس التين فى يوم السبت ٥ من ربيع أول سنة ١٣٤٠ – ٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

٣ – بصاحبة السمو الملكى الاميرة فائزة وقد ولدت فى سراى عابدين فى يوم الخميس ٢٩ من ربيع أول سنة ١٣٤٢ – ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٣

٤ – بصاحبة السمو الملكى الاميرة فائقة وقد ولدت فى سراى رأس التين يوم الثلاثاء ٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٤٤ – ٨ يونيه سنة ١٩٢٦

٥ – بصاحبة السمو الملكى الاميرة فتحية وقد ولدت فى سراى القبة يوم الاربعاء ٢٦ من رجب سنة ١٣٤٩ – ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٠

الملك فاروق الأول

وفى ٢٠ يناير سنة ١٩٣٨ عقد حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر عقد زواجه على سليلة المجد والشرف حضرة الآنسة فريدة ذو الفقار التى ولدت فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٢١ وهى كريمة حضرة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا ابن حضرة صاحب السعادة على ذو الفقار باشا (من زوجته المرحومة عزيزة هانم كريمة المرحوم محمد مقبل باشا) ابن المغفور له يوسف بك رسمى . أما والدتها فهى حضرة صاحبة العصمة زينب هانم كريمة المغفور له محمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء سابقاً من زوجته حضرة صاحبة العصمة عديلة هانم مظلوم كريمة المغفور له مظلوم باشا . وقد رزقه الله منها بحضرة صاحبة السمو الملكى الاميرة فريال فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨ وبحضرة صاحبة السمو الملكى الاميرة فوزية فى ٧ ابريل سنة ١٩٤٠ .

obeikandl.com

(٦)

أبنـاء الملوك

سابقتان فى تاريخ مصر نرويهما هنا لمناسبة ولادة حضرة صاحبة السمو الملكى الاميرة فريال [1] . سابقتان عمل بهما فراعنة مصر كما عمل بهما المغفور له محمد على باشا الكبير وخلفاؤه من بعده :

الاولى - لما ولد سيزوستريس أمر والده سيتى الاول فرعون مصر أن يجمعوا الاولاد الذين ولدوا فى ذات يوم ولادة ابنه . جمعوهم من جميع طبقات الامة - رفيعة ووضيعة - واختار طائفة منهم رباهم وعلمهم سيتي الاول مع ابنه على نفقته الخاصة . لازموا ابنه من المهد الى اللحد . فى السلم وفى الحرب . كوّنوا له نواة لفرقة كانت عوناً كبيراً له فى غزواته وفتوحاته

حذا محمد على باشا حذو فرعون مصر وأمر بجمع أولاد من عمر ابنه سعيد . اختارهم هو أيضاً من جميع طبقات الامة . رباهم وعلمهم على حسابه الخاص . لازموا ابنه فكانوا أكبر عون له فى أعماله الحربية والادارية والسياسية

ولما أنشأ محمد على مدرسة الخانكه أدخل فيها أولاداً من الاهالى اختلطوا بأولاده وأحفاده . روى المؤرخ هامون فى كتابه عن « مصر فى عهد محمد على » انه رأى الامراء أولاد محمد على يتعلمون ويتدربون على الحركات العسكرية برياسة مصرى من أهل البلد

الثانية — استن امنمحت الاول فرعون مصر (رأس العائلة الثانية عشرة) فى مدة حكمه - وقبل ميلاد المسيح بالفى سنة - سنة حكيمة عمل بها خلفاؤه من بعده . وهى انه عندما بلغ ابنه سن الحلم أشركه معه تدريجياً فى ادارة شؤون البلاد حتى إذا ما آل اليه الملك كان محنكاً مدرباً عالماً بسنة سلفه فى ادارة شؤون الدولة

وعملاً بهذه السنة جاء امنحتب الاول (من العائلة الثامنة عشرة) وأشرك معه فى الحكم بنته وولية عهده حاتشو بسوت المشهورة باسم حاتاسو - قبل ميلاد المسيح

(١) نشرت فى جريدة « البلاغ » عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٨

بألف وخمسمائة سنة – فلما آل اليها الملك أظهرت براعة وكياسة فى الحكم استحقت من أجلها اسم (زيسر زيسرو) أى آية الآيات . وحاتاسو هذه هى صاحبة معبد شهير اندرس مع الزمن وشيد الاقباط مكانه فى خلال القرن السادس ديراً هو المعروف الآن بالدير البحرى (والدير البحرى هذا هو الذى وجدوا فيه مومياء فرعون مصر طوطموزيس الكبير)

وفعل مثلها أيضاً سيتى الاول فرعون مصر (ابن رمسيس الاول رأس العائلة التاسعة عشرة) إذ اشرك ابنه رمسيس الثانى فى الحكم – قبل ميلاد المسيح بألف وثلاثمائة وخمسين سنة – ثم ولاه قيادة جيوشه عندما غزا بلاد اثيوبيا

وقد حذا حذوهم المغفور له محمد على باشا الكبير وخلفاؤه من بعده . اذ انهم أشركوا أولادهم وأحفادهم وأصهارهم معهم فى جميع أعمالهم الحربية والادارية والسياسية

فمحمد على باشا عين ابنه ابراهيم باشا دفتردار لمصر فى سنة ١٨١٣ وأميراً للصعيد وولاه رياسة المجلس المخصوص فى سنة ١٢٦٣ ورياسة مجلس المشورة فى سنة ١٨٢٩ وولاه قيادة القوة المصرية التى غزت السودان والقوة المصرية التى أدبت الوهابيين فى الحجاز . كما ولاه قيادة الجيوش البرية والبحرية التى قهرت بلاد المورة واستولت على نافارين وتريبوليتسا وميسولونجى . وهو الذى قاد الجيش المصرى الذى زحف على فلسطين وسوريا والاناضول واستولى على يافا وعكا ودمشق وحمص وحلب وحماه وبيلان وكوتاهيه وهزم الجيش التركى فى واقعة نزيب المشهورة

وكان الامير طوسون بن محمد على قائداً لاول حملة أرسلها والده فى سنة ١٨١١ لتأديب الوهابيين فى بلاد العرب مع أن عمره وقتئذ ما كان يزيد على ١٨ سنة

وتولى اسماعيل بن محمد على قيادة الحملة التى أرسلها والده لغزو بلاد السودان

وتولى سعيد باشا ابن محمد على قيادة الاسطول المصرى فرفع علم أمير البحر المصرية على السفينة « بنى سويف »

وعُين عباس حفيد محمد على مديراً للغربية . وعين ايضاً كتخدا باشا . وتولى ادارة التسهيلات والتعيينات وتدبير المؤن والذخائر للجيش المصرى عندما غزا بلاد الشام

وولى محمد على باشا صهره محمد بك الدفتردار قيادة الحملة التى أرسلها لاخضاع بلاد كردفان

وفى عهد عباس الأول عين ابن عمه المغفور له اسماعيل باشا ابن ابراهيم عضواً فى مجلس أحكام الدولة العلية

وكان الهامى باشا ابن عباس الأول قائداً للطوبجية ثم ناظراً للجهادية

وفى عهد سعيد باشا كان الامير احمد باشا ناظراً للداخلية . والامير مصطفى بك ناظراً للمالية . والامير حليم باشا ناظراً للحربية . ولما تألفت شركة الملاحة المجيدية فى سنة ١٨٥٧ عين الامير مصطفى بك رئيساً لها . وكان اسماعيل باشا رئيساً للمجلس الخصوصى . وتولى مرة نظارة الحقانية . وعين سرداراً للجيش المصرى ، ورئيساً لمجلس الاحكام المصرية (فى عهد سعيد باشا) . ولما سافر سعيد باشا الى اوروبا عينه قائمقام الخديوية المصرية

وفى عهد اسماعيل باشا تولى توفيق باشا مناصب عدة . فكان وكيلا لنظارة المالية وناظراً للداخلية فى سنة ١٨٧٤ — وحضر حفلة افتتاح المحاكم المختلطة بصفته وزيراً للداخلية فى سنة ١٨٧٦ — وكان رئيساً لمجلس النظار فى سنة ١٨٧٩

وكان الامير حسين باشا ناظراً للمالية فى نوفمبر سنة ١٨٧٦ . وناظراً للجهادية والبحرية . وتقلد نظارة الاشغال ونظارة الاوقاف

وكان الامير حسن باشا حاكما للسودان . كما كان من قواد الجيش المصرى الذى حارب بلاد الحبشة . وتولى أيضاً قيادة القوة العسكرية التى أرسلها والده اسماعيل باشا الى تركيا لمعاونتها فى حرب روسيا . واشترك مع الغازى عثمان باشا فى الدفاع عن حصن بلفنا . وكان ناظراً للحربية المصرية

وكان الامير مصطفى فاضل وزيراً لمالية الدولة العلية ثم وزيراً للعدلية فيها

وفى عهد توفيق باشا كان الامير احمد فؤاد (المغفور له الملك فؤاد الاول) ملحقاً عسكرياً فى سفارة تركيا بفيينا سنة ١٨٩٠ . وكان داود باشا يكن صهر العائلة الخديوية ناظراً للحربية (خلفا لسامى باشا البارودى)

وفى عهد عباس الثانى كان الامير حسين كامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين

والجمعية التشريعية فى سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٠ . وكان الامير جميل طوسون مستشاراً فى سفارة تركيا فى فيينا . وكان الامير عزيز حسن قائداً لفيلق تركى فى حرب تركيا واليونان سنة ١٩١٣ . وكان الامير احمد فؤاد (جلالة الملك فؤاد الأول) كبيراً لياوران الخديوى ورئيساً للجامعة المصرية ورئيساً لجمعية الاسعاف

وتدل الدلائل على أن المغفور له الملك فؤاد الأول كان ينوى أن يتبع سنة اسلافه واجداده اذ ندب ابنه وولى عهده الامير فاروق لرياسة كثير من المؤتمرات والحفلات تمهيداً لاشراكه معه تدريجياً فى بعض شؤون الحكم

فنعمت هذه السنة سنة اشراك الابن مع الاب فى تسيير دفة الحكم ليأتى الخلف عالماً باساليب السلف فى الشؤون السياسية والشؤون الحربية والشؤون الادارية[1] .

---

(١) وقد عمل بهذه السنة الرشيدة من قبل فيليب ملك مقدونيا ابو اسكندر الاكبر اذ أنه لما اعتزم فتح بزنطه (القسطنطينية) فى عام ٣٤٠ قبل ميلاد المسيح نصب ابنه الاسكندر قائمقام المملكة ليدير شؤونها طول مدة غيابه مع أن عمره وقتئذ ماكان يزيد على ١٦ سنة. وحدث أنه فى أثناء ولايته أن شقت احدى قبائل تراقيه عصا الطاعة فهب الاسكندر وقاتلها واستولى على عاصمتها ثم سماها باسمه Alexandropolis أى مدينة الاسكندر وهى أول مدينة سماها باسمه. وقد اقتدى فى ذلك بأبيه الذى سمى احدى المدن التى غزاها باسم Philippopolis أى مدينة فيليب. وبعد ذلك بسنتين — أى فى خلال شهر أغسطس سنة ٣٣٨ قبل الميلاد — ولاه ابوه وهو فى سن الثمانى عشرة سنة قيادة فرقة من فرق الخيالة عند محاربة اليونانيين (اثينا واسبارطة) وبفضل بسالة الاسكندر انتصر عليهم في وقعة كيرونى Chéronée

ومحمد على فعل مع ابنه ابراهيم مثل مافعل من قبل فيليب مع ابنه الاسكندر. ولاغرو في ذلك فمحمد على مقدونى مثل سلفه فيليب. والمقدونيون مشهورون بالبسالة واصالة الرأى والاقدام .

(٧)

شهر نوفمبر

واسرة محمد على (١)

الامراء والنبلاء من أسرة محمد على الكبير الذين ولدوا فى شهر نوفمبر هم :

– الاميرة فاطمة بنت ابراهيم باشا ابن محمد على وقد ولدت فى ٦ نوفمبر سنة ١٨٢٣

– المغفور له السلطان حسين كامل ولد فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣

– الامير احمد رشدى ابن الامير مصطفى بهجت فاضل ولد فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥

– حضرة صاحب السمو الملكى الامير محمد على توفيق ولد فى ٩ نوفمبر سنة ١٨٧٥

– الاميرة الفت خديجة كريمة الامير عثمان فؤاد ابن الامير مصطفى بهجت فاضل ولدت فى ٩ نوفمبر سنة ١٨٧٥

– الاميرة نعمت هانم توفيق ولدت فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١

– النبيلة أميرة هانم سرى ولدت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٤

– النبيلة زبيدة هانم كريمة الامير حسين بك كامل ولدت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٩٣

– الاميرة فتحية كريمة الخديو عباس حلمى الثانى ولدت فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٩٧

– النبيلة أمينة رقية حليم ولدت فى نوفمبر سنة ١٨٩٩

– النبيل سليمان داود ابن الاميرة سنية هانم منصور ولد فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠١

– حضرة صاحبة السمو الملكى الاميرة فوزية ولدت فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

– حضرة صاحبة السمو الملكى الاميرة فائزة ولدت فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٣

– حضرة صاحبة السمو الملكى الاميرة فريال ولدت فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨.

---

(١) نشرت فى جريدة «المقطم» عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٨

obeikandl.com

(٨)

اسم ولى العهـــد

اختاروا لأولياء العهد أسماء ممالك وأسماء أمم وأسماء ولايات وأسماء مدن [1]

– فى زمن قيام الامبراطورية الرومانية الكبيرة كانوا يطلقون على ولى العهد لقب « ملك الرومان »

– ولما رزق نابليون ولداً من زوجته الامبراطورة مارى لويز بنت امبراطور النمسا سماه « ملك روما »

– والانكليز يسمون ولى العهد عندهم « امير ويلز »

– وفى عهد ملوك فرنسا كان يلقبون ولى العهد لقب «دوفان» Dauphin . ولقب دوفان هو لقب قديم مثل « كونت » و « مركيز » ثم خصصوه لولى العهد

– ولقب ولى العهد عند الايطاليين « امير بيمونت »

– وكان ولى عهد فى اسبانيا سمو امير استوريا

– ولما غزا أمنحتب فرعون مصر بلاد النوبة التى اطلق عليها قديماً اسم بلاد الكوش سمى ولى عهده « أمير الكوش »

– وحذا المغفور له الملك فؤاد الاول حذو هؤلاء الملوك فسمى الامير فاروق ابنه وولى عهده « أمير الصعيد » .

---

(١) نشرت فى جريدة « المقطم » عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٨

obeikandl.com

(٩)

ختان ابن السلطان

في شهر يونيه سنة ١٨٧٠ احتفل فى استانبول بختان ابن السلطان عبد العزيز [١]. وكان الخاتن الطبيب قدرى باشا . وفى اثناء عملية الختان بكى الولد وصاح صياحاً عالياً واراد أن يتملص من الاطباء ومساعديهم ولم يستطع الحاضرون كبح جماح ثورته الا بعد جهد عنيف وخاف قدرى باشا على حياته من غضب السلطان . ومن ضمن الذين ختنوا فى اليوم نفسه أخوه الصغير ابن السلطان عبد العزيز وولدان من أولاد المرحوم السلطان عبد المجيد

أراد السلطان أن يدخل السرور الى قلوب أهالى استانبول وأن تعم بركة هذا اليوم السعيد عليهم جميعاً فامر بان يجمعوا جميع الاولاد الصغار الذين لم يختنوا فجمعوا له ١٦٫٠٠٠ ولد من جميع طبقات الشعب . فامر السلطان بختنهم كلهم مجاناً ابتغاء مرضاة الله ثم جعلهم ثلاثة أقسام نفح كل واحد من أفراد القسم الأول عشرة جنيهات ، وكل واحد من أفراد القسم الثانى خمسة جنيهات ، وكل واحد من أفراد القسم الثالث جنيهين ونصف

وقد شهدت الاميرات المصريات اللاتى اصطفن فى الاستانة فى تلك السنة جميع الحفلات التى اقامها السلطان عبد العزيز وكن موضع عطفه وعطف السلطانة والدته كما كن موضع حفاوة سيدات استانبول . وحيال هذا العطف الشاهانى الهمايونى ارسلن الى اسماعيل باشا تلغرافاً دعونه فيه الى الحضور الى استانبول فاجاب اسماعيل طلبهن وابحر بالفعل فى ٤ يوليه سنة ١٨٧٠ وقبل ابحاره دعا ابنه وولى عهده الامير محمد توفيق باشا الذى كان يتعلم فى ذلك الوقت فى فيينا عاصمة النمسا الى العودة الى مصر ليكون قائمقاماً طول مدة غياب والده العظيم.

---

(١) نشرت فى جريدة « المقطم » عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٨

(١٠)

خديو مصر وعزيز مصر

« ١ »

رد على كتاب القاضى كرابيتس [1]

قرأت ما كتبه جناب القاضى الامريكى كرابيتس فى الكتاب الذى الفه عن المغفور له اسماعيل باشا وفيه قال – كما قال غيره من الكتاب والمؤرخين – ان المغفور له اسماعيل باشا حصل من السلطان فى ٨ يونيه ١٨٦٧ على لقب « خديوى » وان هذا اللقب ما كان لأحد غيره من قبل

ومن يراجع كتب التاريخ يجد :

– ان محمد على باشا كان شكل فى سنة ١٢٢٠ ديوانًا سماه (ديوان الوالى) وبعد بضع سنين سماه (الديوان الخديوى)

– ووصفت السياسة نامه الصادرة فى شهر ربيع أول سنة ١٢٥٣ محمد على باشا والى مصر بأنه (حضرة افندينا ولى النعم الداورى الافخم والخديوى الأعظم)

– وقيل فى الباب الحادى والعشرين من السياسة نامه (وأما من يسلك طريق الرشاد ويجرى حقوق واجبات عبودية النعمة الجليلة المستغرق فيها من فيضات بحر كرم الخديوى الأعظم)

– وورد فى قانون السياسة الملكية الذى طبع ونشر فى ربيع آخر سنة ١٢٥٣ فى المادة ٧٣ ما يأتى (ومن يتعين لذلك من الذوات المندوبين من طرف سعادة افندينا ولى النعم الداورى الأفخم والخديوى الأعظم)

– وورد فى لائحة ترتيب الجمعية الحقانية فى البند الثانى (اذا كان أحد يقدم عرضحال للاعتاب الخديوية) وفى البند الرابع (ان مأمورى الادارة اذا تشكو

---

(١) نشر فى جريدة « المقطم » عدد ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٣

للاعتاب الخديوية) وفى بيان اعمال الجمعية الحقانية قيل (و بعد التمهير يصير تقديمها من طرف حضرة الريس الى الأعتاب الخديوية)

— وفى المادة التى نشرت من الجمعية الحقانية فى شهر ربيع آخر سنة ١٢٥٩ قيل (ومن يتجاسر على تصديع حضرة الخديوى الأعظم بالعرض له)

— وفى المادة التى عملت بجمعية ديوان المالية قيل (ومن يكون من ذوات الحائزين رتبة اللواء فما فوقها لحد أكبر حضرات أنجال الخديوى)

— وعندما صدر أمر سعيد باشا فى ١٨ ربيع سنة ١٢٧٤ بترتيب مجلس الاحكام وقع على الامر رقم ٩ الصادر من القلمة السعيدية هكذا (محمد سعيد خديو مصر المعظم)

من كل هذا يتضح أن لقب « خديوى » ورد مراراً في الأوامر والقوانين التى صدرت فى عهد محمد على باشا وفى عهد عباس باشا الاول وفى عهد سعيد باشا قبل أن يوجه السلطان لقب « خديوى » الى المغفور له اسماعيل باشا

فما حكمة ومزية استصدار فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ بمنح اسماعيل باشا لقب « خديوى » مع ان جده ساكن الجنان محمد على باشا وعمه سعيد باشا رحمه الله كانا يلقبان بلقب خديوى من قبل ؟

« ٣ »

رد على مقال لسعادة حايم ناحوم افندى[1]

طالعت ما كتبه حضرة صاحب السعادة حايم افندى ناحوم الحاخام الأكبر فى المقطم الأغر عن « لقب الخديو وأول من لقب به » وانى أشكر لسعادته شكراً جزيلا بحثه التاريخى الطريف لأنى وكثير غيرى نعتقد أن سعادة الحاخام الأكبر من أساطين العلم فى الشرق

هذا ولى على مقالته من حيث هى بعض ملاحظات :

١ — وافقنا سعادته على ان كلمة « الخديو » استعملها ساكن الجنان محمد على باشا

---

(١) نشر فى جريدة « المقطم » عدد ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٣

وابنه المغفور له سعيد باشا من قبل صدور فرمان ٨ يونيو سنة ١٨٦٧ وهو الفرمان الذى استصدره المغفور له اسماعيل باشا من السلطان . وفى هذا المقام استسمح أمير العلماء سمو الامير عمر طوسون بأن الاحظ ان الفرمان تاريخه ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ الموافق ٥ صفر سنة ١٢٨٤ - لا ٧ يوليه سنة ١٨٦٧ الموافق ٥ ربيع اول سنة ١٢٨٤ كما ورد فى كلمته المنشورة فى اهرام امس (راجع فهرست الجدول التاريخى للقاموس العام للادارة والقضاء جمع المرحوم فيليب جلاد صحيفة ١٠٠ وصحيفة ١٦١ من المجلد الخامس من قاموس الادارة والقضاء الخاص بالفرمانات والمعاهـدات وراجع فرمان ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٣ وقد ورد فيه اشارة صريحة الى فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ وقيل فيه ان تاريخه الهجرى ٥ صفر سنة ١٢٨٤ لا ٥ ربيع أول سنة ١٢٨٤.وراجع كتاب المرحوم اليـاس بك الايوبى فى تاريخ مصر فى عهـد الخديو اسماعيل باشا - صحيفة ٣٨٧)

٢ - لست من رأى سعادة الكاتب فى بعض ملاحظـات و بعض استنتاجات ذكرها :

- قال حفظه الله (ان كلمة « خديوى » الواردة فى جل هذه الوثائق واقعة فى موضع الوصف لا فى مقام (اللقب) وهذا القول يتفق مع الواقع فى بعض الوثائق ولا يتفق مع الواقع فى البعض الآخر . فالامر العالى الصادر من سعيـد باشا بتاريخ ١٨ ربيع سنة ١٢٧٤ بترتيب مجلس الاحكام موقع عليه هكذا (محمد سعيـد - خديوى مصر المعظم) فكلمة « خديوى مصر » واقعة هنا فى مقـام اللقب لا فى موضع الصفة

- قال أيضاً انه بفوز المغفور له اسماعيل باشا بلقب خديوى فى سنة ١٨٦٧ (تمت على يد هذا العاهل الكبير تلك الرسالة التى بدأ تحقيقها جده العظيم محمد على باشا ألا وهى استقلال مصر وجعلها دولة ذات سيادة داخلية تامة) وضرب لذلك مثلاً فقال (لقد وجه الخديو اسماعيل مباشرة الدعوة الى ملوك الدول وامرائها الى حفلة افتتـاح قنال السويس وأمضاها باسم ولقب « خديو » المترجم Vice-roi باللغات الاجنبية)

وعندى ان المثل الذى ضربه لتأييد قوله مثل غير موفق بأدلة كثيرة نذكر هنا طائفة منها :

الاول – انه فى أثر توجيه الخديو اسماعيل الدعوة باسمه الى ملوك الدول وامرائها لحضور حفلة افتتاح قنال السويس فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٦٩ أسرع السلطان واعترض على توجيه الدعوة من اسماعيل باشا باسمه الى ملوك اوروبا قائلاً ان خديوية مصر جزء من السلطنة. وخديو مصر تابع له. فلا يحق له أن يدعو ملوك اوروبا باسمه والدعوة يجب أن توجه من السلطان نفسه الى نظرائه ملوك اوروبا

الثانى – انه لما تولى نوبار باشا مفاوضة دول اوروبا باسم اسماعيل باشا خديو مصر تمهيداً لانشاء المحاكم المختلطة وتعديل الامتيازات الاجنبية – فى الفترة التى تلت صدور فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ – احتج السلطان وكلف عالى باشا الصدر الأعظم ارسال الاحتجاج . فأرسل عالى باشا تلغرافاً الى حكومة فرنسا تاريخه ١٥ ابريل سنة ١٨٦٩ قال فيه (مراعاة الامتيازات الاجنبية واجبة فى جميع الولايات التابعة لسلطنة آل عثمان ولا سيما مصر. فكل مفاوضه تحصل رأساً مع الولايات التابعة للسلطنة بدون وساطة السلطان صاحب السيادة عليها تقع مخالفة لمعاهدة باريس وفى هذه الحالة لا يسعنا إلا الاحتجاج عليها . فاذا أرادت الدول أن تتفاوض مع السلطان لتعديل الامتيازات فان الولايات العثمانية ومنها مصر تستفيد طبعاً من نتيجة المفاوضة التى تعم فائدتها السلطنة بأسرها دون أن تنحصر فائدتها فى ولاية دون أخرى) . وبعد بضعة أيام أعاد عالى باشا احتجاجه بصورة أوضح بالنسبة الى موقفه حيال مصر فقال (ان من واجبنا أن نحتفظ من الآن بما لنا من الحقوق وأن نعلن بأن كل معاهدة أو اتفاق أو قرار من شأنه تغيير مركز مصر كما هو محدد بالفرمانات الممنوحة يكون بطبيعة الحال محل احتجاجنا . وانا واثقون بأن الدول لا تعقد مع الخديوى أى اتفاق بدون وساطة ومصادقة الباب العالى) . وفى أثر احتجاج عالى باشا أرسل لورد كلارندون الى موزورو ريس باشا سفير تركيا فى لندن جواباً يؤكد فيه انه « ليس فى نية حكومة جلالة الملكة أن تعمل عملاً يمس سيادة الدولة العلية على مصر » وانه «اذا انتهت المفاوضات مع مصر فان الحكومة البريطانية لا تعقد مع مصر أى اتفاق قبل عرضه على السلطان»

وكتب بالمعنى نفسه المسيو لاتور دوفرن (de la Tour d'Auvergne) وزير خارجية فرنسا الى عالى باشا الصدر الأعظم كتاباً جاء فيه انه « ليس فى نية حكومة فرنسا أن تشترك فى أى عمل يمس بمصالح أو بحقوق السلطان »

الثالث – ان الخديو اسماعيل لما بارح القطر المصرى الى اوروبا فى ٨ مايو سنة ١٨٦٩ لدعوة ملوك اوروبا وامرائها لحضور حفلة افتتاح قنال السويس أناب ابنه توفيق باشا – تغمده الله بواسع رحمته – مكانه فى ادارة شؤون البلاد وتمت هذه الانابة بمصادقة السلطان ولولا هذه المصادقة ما ملك توفيق باشا حق امضاء الاوامر والقرارات التى لها مساس بالمصالح العامة وحق العفو وحق اعطاء الرتب والنياشين

الرابع – وصف السلطان مصر فى فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ (أى بعد فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ بسنتين ونصف سنة تقريباً) بأنها « ولاية » حيث قال (انه لا لزوم لذكر عظيم عنايتى الخاقانية فى سبيل سعادة ولاية مصر المهمة وراحة أهليها وأمنهم...) الى أن قال (فارادتى الشاهانية هى أن لا يعقد قرض فى أى زمن كان إلا بعد أن تثبت الحاجة الكلية اليه فتصدر به رخصة من سدتنا الملوكية . على انه من المقتضى أن تكون أعمالك واجراءاتك من الآن فصاعداً موافقة لأحكام فرمانى هذا الشاهانى)

الخامس – وفى فرمان ٧ رجب سنة ١٢٨٩ – ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢ وجه السلطان فرمانه الى اسماعيل باشا وسماه (المشير الافخم ... خديو مصر الحائز رتبة الصدارة الجليلة ... ووزيرى اسماعيل باشا ...)

اذن استدلال سعادة العلامة الحاخام الاكبر (بالدعوة التى وجهها اسماعيل باشا مباشرة الى ملوك الدول وامرائها الى حفلة افتتاح قنال السويس وأمضاها باسمه ولقب خديو ...) تمهيداً للقول بأنه بصدور فرمان ٨ يونيو سنة ١٨٦٧ تمت على يد اسماعيل باشا (الرسالة التى بدأ تحقيقها محمد على باشا ألا وهى استقلال مصر وجعلها دولة ذات سيادة داخلية تامة) استدلال غير موفق لا تتفق مقدمته ونتيجته مع الواقع

ويحسن بنا أن نورد هنا ما كتبه المرحوم الياس الايوبى بك فى كتابه « تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا » حكاية عن لقب « العزيز » ومن سعى

للحصول عليه ولقب « الخديو » وكيف كان يستعمله محمد على باشا وعباس باشا وسعيد باشا من قبل وكيف حصل عليه اسماعيل باشا من السلطان بصفة رسمية ليكون لقبه الرسمى امام جميع الدول :

« لرغبة اسماعيل فى الظهور امام الملاء الأوربى - ليسهل عليه نجاح مقاصده - فى مظهر رسمى منيف يستوقف الأنظار و يوجب الاحترام لشخصه أكثر مما لو كان مرتديًا لباس وال لا تميزه عن باقى ولاة السلطنة العثمانية الا بعض مميزات خصيصة به طفق يعمل على نيل لقب يشعر بأن صاحبه إن لم يكن فى مصاف الامبراطرة والسلاطين والملوك فلا يقل عنهم كثيراً على أن يكون نيله اياه مصحوبًا بحصوله على امتيازات تجعل حقيقة المنصب على نسبة سمو تسميته المبتغاة

« فشرع يخابر الاستانة بوسائله المعتادة فى أمر منحه ذلك اللقب وأقبل ينفق المال عن سعة و يكثر من الجود والهدايا النفيسة السنية إلى السلطان ووزرائه والمقربين لديه مجتهداً فى استصدار فرمان يخوله التلقب بلقب « العزيز » وهو المطلق فى القرآن الشريف على وزير فرعون على مصر راغبًا جداً فيه وشيقا إلى احرازه فدارت المخابرات بشأنه طويلة متعبة بين البلاطين واستمرت مدة بين أخذ ورد ولكنها لاقت فى سبيلها عقبتين لم يمكن التغلب عليهما مطلقاً

« (الأولى) ان لقب « العزيز » خص به (يوسف بن اسرائيل) دون غيره من وزراء الفراعنة وان ما خص به نبى لا يصلح اطلاقه البتة على فرد من الأفراد مهما كانت درجته رفيعة

« (والثانية) ان اسم السلطان المالك (عبدالعزيز) فلو دعى اسماعيل « العزيز» لكان السلطان اذن عبده أو لتبادر الى اذهان السذج انه عبده أو أمكن على الأقل فتح باب لمنكت ينال الحضرة السلطانية مما ينقص من جلال قدرها

« فاستبعد اذن لقب « العزيز » لا سيما وانه اسم من أسماء الله الحسنى وشرع فى البحث عن غيره

« وكانت قد جرت العادة منذ أيام (محمد على) بتسمية الديوان المصرى الأعلى

أى الديوان المحيط بشخص الوالى مباشرة « بالديوان الخديوى » كما أن الولاة أنفسهم بحكم تلك العادة كانوا يدعون أحياناً « خديويين »

« فبعد مناقشات ومباحثات كتابية وشفهية كثيرة اتفقت الآراء نهائياً على أن تعطى صيغة رسمية لتلك العادة وأن يكون لقب « خديو » خصيصاً من ذلك الحين فصاعدا (باسماعيل) وخلفائه على العرش المصرى اشعاراً باعلاء مرتبتهم إلى درجة العواهل

« فصدر بذلك فى ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ فرمان تلى بمصر بابهة واحتفال عظيمين حضره كل ذى حيثية فى البلاد واتفق الكل ولا سيما الشرقيون على ان (اسماعيل) فاز فوزاً مبيناً وأصبح حقيقة فى مصاف الملوك

« ولم يكن اعتقادهم فى غير محله (أولا) بالنسبة لفخامة اللقب الجديد (وثانياً) بالنسبة للامتيازات الجديدة السنية التى أوجبها

« فخديو كلة فارسية بمعنى « الاله » و « الرب » فهى تشعر إذاً بعظمة وجلالة لا تشعر بهما لفظة « العزيز » العربية وتلبس صاحبها رداء استقلال فى المركز والعمل أكثر مما تلبسه اياه اية كلة أخرى »

هذا ما قاله المرحوم الياس بك الأيوبى . وقد وافقنا - كما ترى - بأن الولاة الذين سبقوا اسماعيل كانوا يدعون « خديويين » وان فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ انما لقب اسماعيل بلقب « خديو » بصفة رسمية دولية . أما دعواه بأن لقب خديو رفع اسماعيل باشا الى (مصاف الملوك) فدعوى لا تتفق وفرمانات السلطان وتصريحات الباب العالى وتصرفات اسماعيل باشا نفسه

هذا وفكرة إعلان استقلال مصر عن تركيا فكرة قديمة نبتت أولا عند على بك الكبير الذى حكم مصر قبل حملة بونابرت وأعلن استقلال مصر . ثم فكر فيها ساكن الجنان محمد على باشا الكبير . وفكر فيها أيضاً حفيده المغفور له عباس باشا الأول عند ما طلب من السلطان منحه لقب « عزيز مصر » . ولما نشبت الحرب بين روسيا وتركيا انتهز عباس باشا فرصة اشتباك تركيا فى الحرب مع روسيا وطلب من السلطان أن يتنازل له عن ولاية بغداد وعن الجبال الواقعة بين بلاد العراق و بلاد العرب تمهيداً

لانشاء مملكة مصرية تكون مستقلة عن تركيا . إلا ان السلطان رفض طلبه ولم يفز عباس بتحقيق أمنيته . وخطرت فكرة الاستقلال أيضاً بخاطر سعيد باشا وأعلنها جهاراً فى الخطبة التى ألقاها فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٩ فى أثناء نشوب الحرب بين فرنسا والنمسا لأن سعيد باشا كان قد جهز جيشاً مؤلفاً من ٣٥ ألف عسكرى وكان ينوى اعلان استقلال مصر إذا ما اشتبكت دول أوربا فى حرب عامة بسبب قيام الحرب بين فرنسا والنمسا فى ذلك العهد. على أن أكثر الولاة اقداماً على طلب استقلال مصر كان ابراهيم باشا ابن محمد على باشا إذ كثيراً ما ألح على والده فى اعلان استقلال مصر ولكن حكمة والده حالت دون هذا الاعلان فى ذلك الوقت منعاً من وقوع مصر فى مشكلات مع تركيا وانكلترا . وكذلك اسماعيل باشا كانت عنده فكرة اعلان استقلال مصر . فكر فيها مراراً ولكنه رحمه الله لم يوفق لتحقيقها . ومن يراجع كتاب العالم الجليل الدكتور محمد صبرى بك عن « الامبراطورية المصرية فى عهد اسماعيل » يجد فكرة الاستقلال التام قد قامت عند محمد على وابراهيم وعباس وسعيد واسماعيل — راجع صحيفة ٢٥ وصحيفة ٣٥ وما بعدهما

وقد شاء الله أن تتم لمصر نعمة الاستقلال فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول . ليس فقط تم استقلال مصر فى عهده بل كان لجلالته فضل تحقيقه فحقت فى جلالته الكلمة التى قالها فولتير (Voltaire) فى جلائل الاعمال التى قام بها لويس الرابع عشر ملك فرنسا :

"Non seulement il s'est fait de grandes choses sous son règne, mais c'est lui qui les faisait.,,

(١١)

الأمراء والوظائف العامة

جاء فى الصحف بمناسبة الكلام على لقب « أمير الصعيد » ان « اسماعيل الكبير أنشأ صلة جديدة بين أنجاله والأمة بتقليد بعض منهم مناصب يتصلون منها بالشعب و يطلعون على حالاته . وان هذا كان من سر ما امتاز به السلطان حسين من الاحاطة بشؤون الجماعات والافراد . . . . . »

والحقيقة التى يرويها التاريخ أن صاحب الفضل الأول فى هذه الفكرة هو سا كن الجنان المغفور له محمد على باشا وورثها عنه أولاده وأحفاده ومنهم اسماعيل باشا فكان محمد على يولى أبناءه وأحفاده وأصهاره المناصب العامة فى مصر أو يأذن لهم فى تولى المناصب العامة فى بلاد الدولة العلية

فى عهد محمد على باشا

– كان المغفور له ابراهيم باشا دفتردارا لمصر فى ١٨ مارس سنة ١٨١٣ . وتولى قيادة الجيوش المصرية التى حاربت فى بلاد العرب وفى سوريا وفى الأناضول وفى بلاد الموره . وتولى رئاسة المجلس المخصوص فى سنة ١٢٦٢ . ورئاسة مجلس المشورة فى سنة ١٨٢٩

– وتولى الامير طوسون بن محمد على قيادة الحملة التى أرسلها والده لتأديب الوهابيين فى بلاد العرب – مع ان عمره وقتئذ ما كان يزيد على ١٨ سنة

– وتولى اسماعيل بن محمد على باشا قيادة الحملة التى أرسلها والده لغزو بلاد السودان . ولما زحفت الجيوش المصرية على سوريا عين حاكما على حلب

– وتولى سعيد باشا ابن محمد على قيادة الاسطول المصرى وكان حائزاً لرتبة اميرال . قال عنه أحد كتاب الافرنج وقد زار مصر فى سنة ١٨٣٨ ما يأتى :

"Son éducation s'est faite en mer, destiné qu'il est depuis l'origine "au commandement naval. Ce jeune homme a développé de bonne heure

"une aptitude singulière. Entouré à son bord d'enfants de son âge, tous "pris dans la classe du peuple, nourri et élevé comme eux, il rappelle "sous un rapport le jeune Sésostris, à qui son père avait donné pour "condisciples des Egyptiens de tout rang, nés le même jour que lui, et "qui furent pendant toutes ses expéditions des compagnons vaillants "et fidèles".

– وعين عباس حفيد محمد على مديراً للغربية . وعين كتخدا باشا . وكان قائداً تحت امرة ابراهيم باشا عندما غزا بلاد الشام

– ولّى محمد على باشا صهره محمد بك الدفتردار قيادة الحملة التى أرسلها لاخضاع بلاد كردفان

– كان احمد باشا حاكما لمكة

وعندما كان محمد على يخاطب ابناً من أبنائه فى أثناء توليه منصبه كان يخاطبه هكذا (حكمدار اقليم الغربية حضرة صاحب السعادة والنجابة ابنى الأعز الباشا المحترم)

وكان محمد على باشا يكل تنفيذ الاعمال العامة الى أولاده وأحفاده وأصهاره . ألا ترى انه عندما شرع فى حفر ترعة المحمودية استخدم فيها ١٠٠٫٠٠٠ فلاح مصرى عين عليهم أحد أولاده ليكفل سير الاعمال بسرعة ويكفل للعمال جودة الزاد وحسن المعاملة

وكان محمد على يربى أولاده تربية بدنية وعقلية ونفسية ليؤهلهم لتولى الوظائف العامة وكان يدربهم على النظام وعلى الامتزاج بالشعب . وكان يعلمهم اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنساوية كما كان يعلمهم التاريخ والرياضيات.وعند ما أنشأ مدرسة الخانكة أدخل فيها أولاداً من الأهالى ليختلطوا بأولاده واحفاده . وقد روى المؤرخ هامون فى كتابه عن « مصر فى عهد محمد على » أنه رأى الأمراء أولاد محمد على يتدربون على الحركات العسكرية تحت رئاسة رئيس مصرى من أهل البلد

يعمل محمد على كل هذا وكأن لسان حاله يقول :

"Il faut que tout souverain connaisse son pays, en possède le sens, en devine l'âme".

واذا ما شغل أبناءه واحفاده وأصهاره فلحكمة بالغة هى تعويدهم على العمل حتى لا يقال أنهم عالة على الأمة يأكلون ولا يعملون. قال ارسين هوسيه Arséne Houssaye المؤرخ الفرنساوى الشهير :

"La plus belle louange qu'on puisse donner à un Souverain, c'est de dire qu'il a gagné son pain".

فى عهد عباس الأول

- كان المغفور له اسماعيل باشا ابن ابراهيم عضواً فى مجلس أحكام الدولة العلية

فى عهد سعيد باشا

- كان الأمير احمد باشا ناظراً للداخلية
- والأمير مصطفى بك ناظراً المالية
- والأمير حليم باشا ناظراً للحربية
- ولما تألفت شركة الملاحة المجيدية فى سنة ١٨٥٧ عين الامير مصطفى بك رئيساً لها
- وكان اسماعيل باشا رئيساً للمجلس الخصوصى. وتولى مرة نظارة الحقانية. وعين سرداراً للجيش المصرى. ورئيساً لمجلس الأحكام المصرية. ولما سافر سعيد باشا إلى أوروبا فى سنة ١٨٦٢ عينه قائمقام الخديوية المصرية

فى عهد اسماعيل باشا

- تولى توفيق باشا مناصب عدة فكان وكيلا لنظارة المالية. وناظراً للداخلية فى سنة ١٨٧٤ وقد حضر حفلة افتتاح المحاكم المختلطة (فى سنة ١٨٧٦) بصفة وزيراً للداخلية. وكان رئيساً لمجلس النظار فى ١٠ مارس سنة ١٨٧٩
- وكان الامير حسين باشا ناظراً المالية فى نوفمبر سنة ١٨٧٦. وكان ناظراً للجهادية والبحرية. وتقلد نظارة الأشغال. ونظارة الأوقاف
- وكان الامير حسن باشا حاكما للسودان كما كان من قواد الجيش المصرى الذى حارب بلاد الحبشة. وتولى أيضاً قيادة القوة العسكرية المؤلفة من ٦٠٠٠ عسكرى

التى أرسلها اسماعيل باشا الى تركيا لمعاونتها فى حرب روسيا . واشترك مع الغازى عثمان باشا فى الدفاع عن حصن بلفنا . وكان ناظراً للحربية المصرية

– وكان الامير مصطفى فاضل وزيراً لمالية الدولة العلية . ثم وزيراً للعدلية فيها

فى عهد توفيق باشا

– كان الأمير احمد فؤاد (المغفور له الملك فؤاد) ملحقاً عسكرياً فى سفارة تركيا بفيينا سنة ١٨٩٠

– وكان داود باشا يكن صهر العائلة الخديوية ناظراً للحربية (خلفا لسامى باشا البارودى)

فى عهد عباس حلمى الثانى

– كان الامير حسين باشا كامل رئيساً لمجلس شورى القوانين والجمعية التشريعية فى سنتى ١٩٠٩ و١٩١٠

– وكان الامير جميل طوسون مستشاراً فى سفارة تركيا فى فيينا

– وكان الامير عزيز حسن قائد لفيلق تركى فى حرب تركيا واليونان سنة ١٩١٣

– وكان الامير حسين رئيساً للجمعية الزراعية الخديوية

– وكان الامير احمد فؤاد (المغفور له الملك فؤاد) كبيراً لياوران الخديوى ورئيساً للجامعة المصرية وجمعية الأسعاف

فى عهد المغفور له الملك فؤاد

وسرت فكرة تولى الامراء الشؤون العامة فى عهد المغفور له الملك فؤاد :

— ألا ترى حضرة صاحب السمو الملكى الامير فاروق انتخب كشاف مصر الاعظم ؟

— وخلف الامير كمال الدين حسين أباه فى رياسة الجمعية الزراعية الملكية

— وخلف سمو الامير عمر طوسون الامير كمال الدين فى رياسة الجمعية الزراعية

— وكان سمو الامير يوسف كمال رئيساً للنقابة الزراعية المصرية العامة

— وتولى النبيل عباس حليم رياسة نقابة العمال

— وتولى محمد شريف صبرى باشا (شقيق جلالة الملكة نازلى) وكالة وزارة الخارجية ورئاسة نادى سليمان باشا

— وتولى حسين صبرى باشا (شقيق جلالة الملكة نازلى)محافظة الاسكندرية

— وتولى محمود فخرى باشا (زوج سمو الاميرة فوقية) وزارة المالية ومفوضية مصر فى باريس

— وتولى محمد طاهر باشا نجل المغفور لها الاميرة امينة هانم (أخت المغفور له الملك فؤاد) رياسة النقابة الزراعية المصرية العامة

فى عهد جلالة الملك فاروق

- انتخبت حضرة صاحبة الجلالة الملكة فريدة كبرى مرشدات مصر

- وعين سمو الأمير اسماعيل داود قائمقام فى الجيش المصرى

- وتولى النبيل سليمان داود رياسة نادى الصيد الملكى

- وتولى النبيل عمرو ابراهيم رياسة نادى الفروسية الملكى وانخرط فى سلك البوليس الخاص

-وتولى حضرة صاحب المقام الرفيع محمد شريف صبرى باشا (خال جلالة الملك) رياسة نادى التجديف الملكى وعضوية مجلس الوصاية على العرش وعضوية شركة قنال السويس

- وتولى يوسف ذو الفقار باشا (والد جلالة الملكة فريدة) وكالة محكمة الاستئناف المختلطة ثم سفارة مصر فى ايران

- وتولى محمد طاهر باشا رياسة نادى الطيران الملكى ونادى السيارات الملكى ونادى السلاح الملكى واللجنة الاهلية للرياضة البدنية ونادى محمد على والقيادة العامة للبوليس الخاص

هذا ما رأيت بيانه اظهاراً لفضل ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير وفضل خلفائه من بعده واثباتاً للحقيقة والتاريخ .

(١٢)

الأمير ابراهيم حلمى

الأمير ابراهيم حلمى هو رابع أنجال المغفور له الخديو اسماعيل . أولهم الخديو توفيق . و يليه السلطان حسين كامل . ثم الامير حسن باشا . ثم الامير ابراهيم حلمى . ثم الامير محمود حمدى . ثم سا كن الجنان الملك فؤاد الاول . ثم الامير رشيد . ثم الامير على جمال باشا

ولد الامير ابراهيم حلمى فى سنة ١٨٦٠ ميلادية وتوفى فى مدينة نيس بفرنسا فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٧ ودفن فى ميت جابر بمديرية الشرقية ثم نقلت رفاته الى مدافن الرفاعى بمصر يوم ٩ فبراير سنة ١٩٣٧

أما والدته فهى المغفور لها الاميرة جنانيار هانم التى توفيت فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٢ ودفنت بمسجد الرفاعى . وقد رزقت من الخديو اسماعيل :

ببنت هى الاميرة زينب هانم التى ولدت فى سنة ١٨٥٩ وتزوجت فى سنة ١٨٧٣ بالامير ابراهيم باشا احمد الذى توفى فى ٩ اغسطس سنة ١٨٧٥ ودفن فى مسجد الرفاعى أيضاً

و بولد هو الامير ابراهيم حلمى

وقد تزوج الامير ابراهيم حلمى ثلاث مرات :

المرة الاولى بالاميرة نظيمة هانم التى توفيت فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٠٩ ودفنت بمدافن الامام الشافعى فى مدفن الامير محمود حمدى . وقد رزق منها بالاميرة نعيمة التى ولدت فى استانبول فى ٢٣ يوليه سنة ١٨٨٦ وتزوجت بمصطفى ثريا بك . و بالاميرة خوشيار هانم التى ولدت فى سنة ١٨٨٨ وتزوجت فى سنة ١٩٠٦ بأنور بك حقى الذى توفى باستانبول فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٨ ورزقت منه بينتين : نظيمة

هانم وقد توفيت ، ونرمين هانم التى ولدت فى سنة ١٩١٣ ولا تزال على قيد الحياة فى حضانة خالتها الاميرة نعيمة هانم . و بالامير محمد حلمى الذى ولد فى سنة ١٨٩٠ وتوفى فى باريس فى سنة ١٩١٩ و بالاميرة زينب هانم التى ولدت فى استانبول فى ٩ يونيه سنة ١٨٩٧ وتزوجت فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٦ بسعادة سيف الله يسرى باشا الذى رزق منها ببنتين : نعيمة هانم وقد ولدت فى سنة ١٩١٨ ونيفين هانم وقد ولدت فى سنة ١٩٢٤

والمرة الثانية بالاميرة قمر قادن افندى التى توفيت فى ابريل سنة ١٩١٠ ودفنت فى مدافن الامام الشافعى وقد رزقت منه بالاميرة صالحة هانم التى ولدت فى سنة ١٨٧٨ وتزوجت أولاً بالامير محمد ابراهيم وحيد الدين ثم تزوجت ثانيًا فى سنة ١٩١٣ بروسى اسمه دى يوركوفتش أسلم وتسمى باسم محمد دى يوركوفتش وقد رزق منها بولدين اسماعيل وابراهيم

والمرة الثالثة بالاميرة وجدان هانم وقد تزوجها فى سنة ١٩١٧ ولم يرزق منها بولد وهى آخر زوجة كانت فى عصمته وقت الوفاة

و بعد وفاة الامير ابراهيم حلمى قام نزاع بين زوجته الاميرة وجدان هانم و بناته الثلاث اللاتى كن على قيد الحياة وقت وفاته ،وهن الاميرات نعيمة هانم وزينب هانم وصالحة هانم . تناول النزاع الوقف الذى وقفه فى ميت جابر ومساحته ٢٠٠٠ فدان فادعت البنات الثلاث أن أباهن وقف أطيانه وقفًا أولا على نفسه ما دام حيًا ومن بعده عليهن.وادعت الزوجة انه وقف الأطيان نفسها وقفًا ثانيًا على نفسه مادام حيًا ومن بعده عليها هى . فحكمت المحكمة الشرعية ابتدائيًا واستئنافيًا بان الوقف الأول هو الوقف الصحيح . وتناول النزاع أيضًا اقرارات وسندات وهبات وتنازلات لمصلحة الزوجة دون البنات شملت جميع ما يملك من عقار ومنقول فى فرنسا والاستانة ولندن ومصر . وقد حكمت محكمة مصر المختلطة ومحكمة الاستئناف المختلطة ببطلان هذه التصرفات بالنسبة الى الاطيان والاعيان الموجودة فى مصر. أما أملاكه فى نيس وهى عبارة عن قصر فخم فبقى للزوجة كما بقى لها قصر الاستانة

وكانت للامير مكتبة شهيرة فى قصر شيرين بنيس تحوى نحو ١٦٠٠٠ مجلد من أنفس الكتب عن مصر والشرق أهداها الورثة (زوجته وكريماته الثلاث والمغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول) الى الجامعة المصرية وسافر من أجلها سعادة احمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية إلى نيس مع حضرة صاحب العزة محمد محمود خليل بك ونقلاها إلى مصر . وقد حدث أن الحكومة الفرنساوية أرادت أن تقتضى رسومًا كبيرة على انتقال الملكية ولكن مسيو بوانكاريه الذى كان وزيراً لمالية فرنسا فى ذلك الوقت أمر بتخفيض رسم الايلولة إلى مبلغ ضئيل جداً تلبية لرغبة المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول

ومن اراد المزيد من البيان عن اعضاء العائلة المالكة فليرجع الى كتابنا « محمد على باشا الكبير وذريته . »

(١٣)
تمثال محمد على

سيكون للمغفور له محمد على باشا تمثالان :

– الاول هو القائم الآن فى ميدان محمد على بثغر الاسكندرية

– والثانى هو الذى سيصنعه مسيو كوستا ديمتريادس المثال اليونانى المشهور لينصب فى مدينة قوله مسقط رأس محمد على باشا

أما التمثال الأول فقد أمر بصنعه ساكن الجنان الخديو اسماعيل باشا . والتمثال الثانى أمرت بصنعه حكومة دولة اليونان ليرفع جلالة ملك مصر الستار عنه عندما يزور قوله فى السنة التى يحددها

وللتمثال الاول قصة :

ذلك انه لما كان نوبار باشا فى باريس يفاوض الحكومة الفرنساوية فى مشروع إبطال المحاكم القنصلية وانشاء المحاكم المختلطة لقى معارضة شديدة من مركيز دى موستييه Marquis de Moustier وزير خارجية فرنسا. فاستعان نوبار بالامبراطور نابليون الثالث وبزوجته الامبراطورة اوجينى وبالجنرال فلوريه Général Fleury كبير ياوران الامبراطور كما استعان بمسيو دى لسبس de Lesseps منشىء قنال السويس وبغيره من عظماء فرنسا . وظل نوبار يشن الغارة على وزير خارجية فرنسا حتى نفر الامبراطور منه فاضطر الى الاستقالة . وبمجرد ما وصل خبر الاستقالة إلى اسماعيل باشا أراد أن يظهر رضاءه وارتياحه فأرسل إلى نوبار باشا تلغرافاً يكلفه فيه بأن يطلب من الحكومة الفرنساوية أن تكلف المثال الفرنساوى الشهير جاكمار Jacquemart بأن يصنع تمثالاً لجده محمد على باشا فارتاح نابليون الثالث إلى اختيار مثال فرنساوى لصنع تمثال محمد على وبالفعل كلف المثال جاكمار صنع التمثال فصنعه وهو التمثال المنصوب الآن فى ثغر الاسكندرية

وفى المخابرات التى دارت بين اسماعيل باشا ونوبار باشا نجدهما مختلفين فى كيفية تمثيل زى محمد على . هل يمثل بزيه التركى أو بزيه المصرى أو بزى المماليك .

بعض كبار الارمن فى مصر

١ – اولهم بوغوص بك يوسف الذى كان ترجمان محمد على وانتهى بأن تولى شؤون الخارجية والتجارة و بقى ٣٠ سنة أمين سر محمد على ومستودع أسراره ومنفذ رغباته وساعده الأيمن ومستشاره الأمين . أروى لك حادثتين تدلانك على مبلغ ثقة المغفور له محمد على باشا الكبير به :

– عندما سافر محمد على باشا إلى السودان استدعى بوغوص بك يوسف وسلم اليه أوراقاً وقع عليها على بياض وأذن له فى ان يكتب فيها الاوامر التى يرى من المصلحة العامة إصدارها في مدة غيابه ليعتبرها الحكام كأنها صادرة من محمد على باشا شخصياً . و بعدما عاد محمد على باشا من رحلته إلى السودان رد اليه بوغوص بك يوسف الأوراق كما تسلمها . فدهش محمد على من أمانة الرجل وتعجب كيف انه لم ينتهز فرصة غياب مولاه ليكتب فى الأوراق البيضاء ما يشاء ليجر لنفسه مغنماً . وإذا لاحظت أن سلطان محمد على كان يشمل مصر والنو بة ودارفور وكردفان وسنار والحجاز واليمن ونجد وفلسطين وسوريا وولاية أضنة وجزيرة كريت والموره وان هذه الامبراطورية الضخمة كانت تأتمر بأوامر بوغوص بك يوسف عملاً بارادة مولاه محمد على أدركت مبلغ سلطة هذا الرجل ومبلغ أمانته ونزاهته

– ومع سعة سلطة بوغوص بك يوسف وثقة محمد على باشا به فانه مات فقيراً لا يملك شيئاً . وكان هذا موضع دهشة جميع رجال مصر من امراء وكبراء وموضع دهشة واعجاب المصريين والاجانب معاً . ولما مات بوغوص فى سنة ١٨٤٣ لم يحضر محافظ الاسكندرية الجنازة فلما بلغ محمد على باشا خبر تقصير المحافظ عنفه ووبخه . و بعد أسبوع أقيم قداس فى كنيسة الارمن عن روح بوغوص بك حضره محمد على باشا ليبرهن للناس كافة على شدة تعلقه بهذا الرجل الذى خدمه ٣٠ سنة متوالية بكل

نزاهة واخلاص . قال أحد كتاب الافرنج انه «لو أراد بوغوص يوسف أن يستفيد من مركزه ومن حظوته عند محمد على لكان أغنى أغنياء مصر ولعله هو الشخص الوحيد فى الشرق الذى بلغت نزاهته حداً لم تبلغه من قبل ولن تبلغه من بعد»

٢ - أرتين بك (والد يعقوب باشا أرتين) . خدم أرتين بك محمد على باشا وابراهيم باشا وعباس باشا وسعيد باشا . وقد تولى ادارة الشؤون الخارجية بعد وفاة بوغوص بك يوسف . وكان أرتين بك همزة وصل بين محمد على باشا ودول اوروبا وتركيا. وكان يجيد اللغات التركية والفرنسوية والايطالية والانجليزية . وقد أرسله محمد على باشا الى أوروبا فى سنة ١٨٤١ لمفاوضة حكومة فرنسا وحكومة انجلترا فى أثناء اشتداد الازمة السياسية التى نشأت بعد ماغزا محمد على فلسطين وسوريا والاناضول وشتت جيوش السلطان محمود فى حمص وحماه وبيلان ونزيب وقونيه .فاتصل أرتين بك بلورد والنجتون ولورد بالمرستون من وزراء انجلترا ومسيو تيير ومسيو جيزو من وزراء فرنسا . وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين رشيد باشا سفير تركيا فى باريس وكان لصداقتهما أثر كبير فى تحسين العلاقات بين مصر وتركيا . انعم عليه محمد على باشا برتبة فريق وأنعم عليه السلطان برتبة « بالا » . ولما مرض محمد على باشا فى يوليه سنة ١٨٤٨ وأشار عليه الاطباء بالسفر إلى أوروبا للاستشفاء استصحب معه أرتين بك. وبعد وفاة محمد على بقى أرتين بك صاحب حظوة كبيرة فى عهد عباس باشا وسعيد باشا. ومن مميزات أرتين بك انه كان من أكبر أعداء مشروع حفر قنال السويس وانحاز اليه في هذا مصطفى فاضل باشا إلا أن دلسبس تغلب عليهما لأن نابليون الثالث كان يعضده بسبب صلة القرابة التى كانت بين دلسبس والامبراطورة اوجينى زوجة نابليون الثالث

٣ - ومنهم خسرو بك شقيق ارتين بك الذى كان يعاون أخاه أرتين بك فى جميع أعماله واتخذه ولاة مصر مترجماً ثم أميناً ثم رئيساً لادارة الديوان الخديوى

٤ - نوبار باشا . كان نوبار نابغة . وكانت له كلمة نافذة وشخصية محترمة فى الشرق وفى الغرب. لان نوبار خدم محمد على وابراهيم وعباس الاول وسعيد واسماعيل وتوفيق وعباس الثانى . ولا يوجد وزير - على ما نعلم - خدم عدداً من حكام مصر

ارتین بك

obeikandl.com

بمقدار ماخدم نوبار . هو أول من الف وزارة مصرية فى عهد الخديو اسماعيل . الفها فى ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ وبقى رئيساً لمجلس النظار إلى ١٠ مارس سنة ١٨٧٩ . ثم الفها مرة ثانية فى سنة ١٨٨٤ ولبث رئيساً إلى٩ يونية سنة ١٨٨٨ . ثم الفها للمرة الثالثة فى ١٥ ابريل سنة ١٨٩٤ وبقى رئيساً إلى ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥

والده – ماجرديتش – كان وكيل اشغال محمد على باشا فى أزمير ثم فى باريس وقد توفى فى سنة ١٨٤٣ واخوه الكبير – جرابيت بك نوبار – كان سكرتير محمد على باشا ثم ترجمانه ثم رئيس ديوانه – من سنة ١٨٣١ حتى وفاته فى سنة ١٨٣٥

واخوه الصغير – اراكيل بك نوبار – كان حاكم السودان العام وقد توفى فى عهد ولاية سعيد باشا فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٥٨

وكان بوغوص بك يوسف – خال نوبار باشا – وزير خارجية محمد على وقد لبث فى خدمته ٣٠ عاماً كان فيها ساعده الاكبر وامينه الاوحد كما اسلفنا

وكان بين افراد العائلة شخص اسمه اراكيل بك . كان حاكم مصوع فى عهد اسماعيل واشترك فى حرب الحبشة وقتل فى سنة ١٨٧٥ بعد أن قاتل الاحباش قتال الاسود. اطلقوا عليه لقب نوبار ولكنه ما كان من عائلة نوبار بل كان ينتمى الى نوبار من جهة امه بنت ابرو الذى كان يمت الى عائلة نوبار من جهة النساء

فنوبار وابو نوبار واخو نوبار وخال نوبار وابن خال نوبار كتبوا بآثارهم وبدمائهم صحيفة مجد خالدة فى تاريخ مصر وتاريخ اسرة محمد على

كان نوبار يجيد اللغة التركية والفرنساوية والانجليزية والالمانية والايطالية واليونانية والارمنية وتعلم ايضاً اللغة الفارسية . وكان يتكلم اللغة العربية العامية . كان يجيد التركية لانها كانت لغة البلاد الرسمية فى عهد محمد على وابراهيم وعباس ولم تقرر اللغة العربية لغة البلاد الرسمية الا فى عهد سعيد

وكانت زوجة نوبار بنت كيورك بك اراميان من كبار ارمن الاستانة . وكان لها ضلع كبير فى تسيير شؤون زوجها لانها كانت نسيبة ابرام الذى حاز ثقة السلطان عبد العزيز . وكانت هى أيضاً تجيد اللغة الارمنية والتركية والفرنسية والانجليزية

والايطالية واليونانية . وقد تربت تربية عالية تليق بالمقام الذى حازه زوجها فى مصر وفى الاستانة وفى اوروبا

كل هذا سهل لنوبار المهمات الخطيرة التى كلفه بها اسماعيل فى الاستانة وفى اوروبا ولا سيما مهمة اقناع ١٧ دولة بوجوب ابطال المحاكم القنصلية التى كانت قائمة فى مصر - كحكومات مستقلة داخل الحكومة المصرية - تطبق ١٧ قانوناً مختلفة على المصريين وعلى الاجانب، واعترافاً بفضله وبالخدمات الجليلة التى اداها لمصر اقامت له الحكومة المصرية تمثالا فى الاسكندرية واطلقت اسمه على أحد شوارع القاهرة - ومن اراد المزيد فليراجع كتابنا تاريخ «المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية» من صحيفة ٥١ إلى صحيفة ١٦٥

٥ - اراكيل بك نوبار (أخو نوبار باشا الكبير) وقد أشترك فى الحملة التى سيرها اسماعيل باشا الخديوى ضد بلاد الحبشة وفيها خر صريعاً فى ساحة الوغى بعدما قاتل قتال الابطال. واليك ما قاله عنه المرحوم الياس بك الايوبى فى كتابه « واراكيل بك نوبار جرح جرحاً خطيراً فى مبدأ التلاحم فلم يثبط الدم السائل منه بغزارة همته وما أنفك يقاتل كأسد حتى أيقن أن الآمال كلها ضاعت فتسلق صخرة عالية وشرب جرعة ثم اطلق مسدسه على نفسه وخر قتيلا »

وقد دفن فى كنيسة الارمن الارثودكس باسكندرية ومقبرته منقوش عليها الجملة الاتية :

اراكيل بك نوبار

حاكم الخرطوم وسنار

ولد فى ازمير يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٢٦

وتوفى فى الخرطوم سنة ١٨٥٨

جدهما الاعلى اسمه نوبار . خلف ثلاثة أولاد ذكور بلطازار وسالومون وداود. وسالومون خلف اربعة أولاد ذكور داود واراكيل ومجرديتش ونوبار . ومجرديتش خلف نوبار باشا الكبير الذى توفى فى باريس فى ١٢ يناير سنة ١٨٩٩ عن ٨٠ عاماً ودفن فى ثغر الاسكندرية . واخاه اراكيل حاكم السودان وقد توفى فى الخرطوم

نوبار باشا

obeikandl.com

ودفن فى سبتمبر سنة ١٨٥٨ فى ثغر الاسكندرية . وسالومون شلبى وقد توفى فى أزمير ودفن فى مدفن والده مجرديتش ووالدته جول هانم . وشارلو او كارلو وقد توفى فى أزمير أيضاً ودفن مع والده ووالدته واخيه سالومون

٦ – تيجران باشا . تولى نظارة الخارجية أربع مرات ، تولاها فى سنة ١٨٩١ فى نظارة مصطفى باشا فهمى الاولى . وفى سنة ١٨٩٢ فى نظارة مصطفى باشا فهمى الثانية . وفى سنة ١٨٩٣ فى نظارة فخرى باشا . وفى سنة ١٨٩٣ فى نظارة مصطفى فهمى باشا الثالثة

٧ – يعقوب ارتين باشا ولد فى القاهرة فى ١٥ ابريل سنة ١٨٤٢ وفى خلال سنة ١٨٥٣ سافر مع أبيه ارتين بك الى الاستانة ومنها الى باريس حيث تلقى علومه بها . وبعد وفاة ابيه فى فبراير سنة ١٨٥٩ عاد إلى مصر . وفى سنة ١٨٦٦ سافر إلى اوروبا وزار ايطاليا والنمسا والمانيا وفرنسا وانجلترا وفى هذه البلاد عكف على دراسة اللغات الاجنبية وآدابها كما درس تاريخ هذه البلاد ونظمها السياسية والادارية والقضائية وبقى فى اوروبا إلى أن شبت الحرب بين فرنسا والمانيا فى سنة ١٨٧٠ فعاد إلى مصر وعهد اليه المغفور له الخديو اسماعيل امر تربية ولديه الامير ابراهيم حلمى والامير فؤاد وتربية ولدى أخيه الامير مصطفى فاضل باشا . وهما ابراهيم فاضل وحسام الدين . بعد ذلك عينه الخديو اسماعيل سكرتيراً له للشؤون الاوروباوية . وبعد اعتزال اسماعيل باشا الحكم عين فى أول ابريل سنة ١٨٨٤ وكيلا لنظارة المعارف وبقى فيها إلى أن قدم استقالته منها فى أول نوفمبر سنة ١٩٠٦ بعد أن خدم مصر وخدم العائلة المحمدية العلوية ربع قرن كان فيه مثال الجد والنشاط والنزاهة

ولارتين باشا فضل صيانة المساجد والآثار الاسلامية فى مدينة القاهرة لانه كان مولعاً بالآثار . واليه يرجع الفضل الاكبر فى انشاء متحف الآثار العربية وقد اهدى اليه مجموعات نفيسة جداً من العملة القديمة قضى حياته فى اقتنائها . كما أهدت كريمته إلى المتحف القبطى بالمعلقة مجموعة أخرى من الاقمشة المصرية القديمة

وقد اختير أرتين باشا رئيساً للمجمع العلمى وعضواً فى الجمعية الجغرافية وفى شركة قنال السويس ومديراً لشركة المياه وعضواً فى مجلس ادارة السكة الحديد وعضواً فى مجلس ادارة الجامعة المصرية فى بدء انشائها وغير ذلك من الجمعيات العلمية

ولارتين باشا مؤلفات كثيرة فى التعليم وفى التاريخ وفى الادب وفى العملة وفى الاحصائيات وفى الزراعة وفى الملكية العقارية وفى الآثار وفى علم طبقات الارض وفى كثير من الشؤون الصحية والاجتماعية وقد توفى الى رحمة الله فى ٣١ يناير سنة ١٩١٩

٨ – ومنهم زهراب باشا الذى كان وكيلا للحربية فى عهد الخديو عباس . وتيتو باشا. واجوبيان باشا. وابراهام بك الذى كان وكيل الخديو اسماعيل فى دار السعادة فى عهد السلطان عبد العزيز . وبوغوص باشا نوبار (ابن نوبار باشا الكبير) وكان عضواً فى مجلس ادارة السكه الحديد وعضواً فى الجمعية الزراعية واليه يرجع الفضل فى انشاء مدينة هليوبوليس وخط المترو بالاشتراك مع البارون امبان Baron Empain

٩ – ويوجد كثيرون غيرهم :

– من رجال الحكم : بدر الدين الجمالى الذى حكم مصر من سنة ١٠٧٤ إلى سنة ١٠٩٤ وكان الخليفة المستنصر قد استنجد به من ظلم وزيره الدجوز (والد زوجته) فلما حضر من سوريا ومعه جيش من الارمن استوزره الخليفة ثم عينه اميراً للجيوش فلم يجد بدر الدين الجمالى وسيلة للتخلص من الدجوز ومن انصاره الترك الا الفتك بهم فدعاهم إلى وليمة وبينما هم مجتمعون انقض عليهم الجند وفتكوا بهم . ولعل محمد على باشا الكبير أخذ عن بدر الدين هذه الوسيلة عندما فتك بالمماليك فى القلعة فى ١٠ مارس سنة ١٨١١ بعد أن دعاهم لحضور حفلة سفر ابنه طوسون باشا الى بلاد الحجاز لقمع فتنة الوهابيين . وبدر الدين الجمالى هو الذى أعاد إلى الكعبة كسوة الفاطميين البيضاء بدل كسوة العباسيين السوداء . ومن محاسن حكمه أنه رفع الضرائب عن الاطيان الزراعية ثلاث سنوات لييسر على الفلاح المصرى أموره . وهو الذى بنى اسوار القاهرة وجعل لها ٦٠ باباً لا تزال أثار ثلاثة منها قائمة حتى الان وهى باب زويلة و باب النصر و باب الفتوح . وقد توفى وعمره ٨٠ سنة بعد أن حكم مصر ٢٠ سنة . وفى زمنه طار صيت الامام الغزالى صاحب « احياء العلوم» وغيره من الكتب الدينية النفيسة

وامير الجيوش محمد كتخدا المسلمانى . أصله أرمنى واسلم وترقى فى زمن المماليك

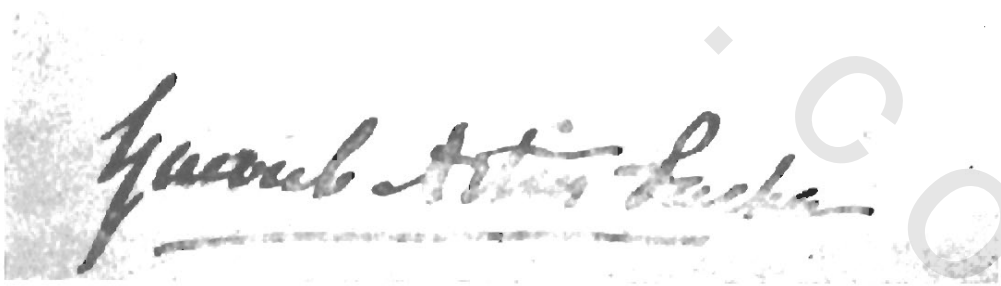

یعقوب ارتین باشا

obeikandl.com

الى أن صار كتخدا ابراهيم بك الصغير الذى غرق فى النيل يوم واقعة أمبابه . وقد جعله بونابرت اغا الانكشارية

- ومن رجال القضاء الشرعى : القاضى يحيى صاحب مسجد القاضى يحيى الاثرى المشهور بشارع بين النهدين . والقاضى يحيى هو الامير ابو زكريا زين الدين يحيى ابن عبد الرازق الارمنى وقد كان استادارا (ناظر الخاصة) فى عهد الملك الظاهر جقمك وفى عهد السلطان اينال . وقد توفى فى سنة ٨٧٤ من الهجرة بالغاً من العمر ٧٥ عاماً وكان عالماً واديباً ومحققاً اقام العدل بين الناس

- ومن رجال الادب : اديب اسحق المشهور وهو ارمنى كاثوليكى ولد فى دمشق الشام فى خلال سنة ١٨٥٦ ثم انتقل إلى مصر وانشأ جريدة « مصر » وجريدة « التجارة » ولما اضطر إلى مبارحة مصر انشأ فى باريس جريدة « القاهرة » ولما عاد إلى مصر عين ناظراً لقلم الانشاء والترجمة فى نظارة المعارف وكاتب اسرار مجلس النواب . وهو من تلاميذ جمال الدين الافغانى ولما توفى وعمره ٢٩ سنة رثاه كاتب من كبار الكتاب فقال أنه كان « راية فى علم اللسان ، آية فى صناعة البيان ، وغاية فى حب الانسان » . ولتخليد ذكراه سمى شارع فى الاسكندرية باسمه .

(١٥)

سليمان باشا الفرنساوى

نشرت «الاهرام» الغراء رسالة لأحد الافاضل تحت عنوان « ذكرى سليمان باشا الفرنساوى » تضمنت وقائع بعيدة عن الحقيقة فرأيت من الواجب أن أردها إلى أصلها خدمة للحقيقة والتاريخ :

١ - قال الكاتب أن سليمان باشا الفرنساوى - دخل خدمة إيطاليا - والحقيقة أن سليمان باشا لم يدخل خدمة إيطاليا مطلقاً. وانما كان ضابطاً فى الجيش الفرنساوى الذى اشترك فى المعارك التى دارت رحاها فى إيطاليا . والمؤرخون يطلقون على الجيوش الفرنساوية التى غزت إيطاليا « جيوش إيطاليا» فالتبس الأمر على قراء كتب التاريخ وظنوا أن جيوش إيطاليا هى جيوش إيطالية مع انها جيوش فرنساوية محضة حاربت فى ايطاليا

والجنرال بونابرت لما غزا مصر فى آخر القرن الثامن عشر كان جيشه مكوّناً من بعض جنود وقواد الفيالق التى حاربت معه فى إيطاليا وسميت « جيوش إيطاليا » ومن بعض جنود وقواد الفيالق التى حاربت معه على نهر الرين وسميت « جيوش الرين » وكان بين الفريقين تنافر ظهرت آثاره بعد سفر بونابرت من القطر المصرى

٢ - قال الكاتب ان سليمان باشا « وقع أسيراً فى أيدى الروس ولما رأى القيصر شجاعته استخدمه عنده ». والحقيقة أن سليمان باشا لم يقع أسيراً فى أيدى الروس ولم يستخدمه قيصر الروس . هو وقع أسيراً فى أيدى النمسويين و بقى فى السجن ثم استخدمه أحد أشراف المجر و بقى فى خدمته إلى أن عاد إلى فرنسا

٣ - قال الكاتب ان سليمان باشا « تمكن ببسالته من الاستيلاء على جزيرة ميسولونجى » عندما غزا ابراهيم باشا بلاد المورة بأمر السلطان محمود . والحقيقة أن ميسولونجى ليست جزيرة بل هى مدينة حصينة كانت فيها قلعة أمنع من عقاب الجو ، وكان يحاصرها رشيد باشا قائد الجيوش التركية ولكنه عجز عن الاستيلاء عليها على الرغم من

سليمان باشا الفرنساوى

بسالة الجيش التركى وهلاك الالوف من رجاله.راع السلطان محمود الخسائر الفادحة التى أصابت الجيش التركى وعيل صبره من طول الحصار فأرسل إلى رشيد باشا يقول له : « أما ميسولونجى أو رأسك » فخاف رشيد باشا عاقبة فشله واستنجد بابراهيم باشا . فخف ابراهيم باشا فى الحال إلى نجدته وشدد الحصار على ميسولونجى ثم قذف بالجيش المصرى على حصونها بعد أن أمطرها وابلاً من قنابل مدافعه فسقطت فى أيدى المصريين . ولم يكن سليمان باشا مع ابراهيم باشا فى هذا الهجوم بل كان وقتئذ حاكماً على تريبولتزا

٤ – يقول الكاتب ان سليمان باشا « اشترك مع ابراهيم باشا فى واقعة قونيه إذ كان فى هذه الواقعة سيفه القاطع وعضده اليمين » ولكن سليمان باشا لم يشترك مع ابراهيم باشا فى واقعة قونيه وحدها بل اشترك فى جميع المعارك التى اشتبك فيها الجيش المصرى «بقيادة ابراهيم باشا» مع الجيش التركى فى عكا ،وفى حمص ، وفى حماه ، وفى بيلان ، وفى اسكندرونة ،وفى قونيه ، وفى نزيب . وواقعة نزيب كانت أهم واقعة حربية التحم فيها الجيش المصرى مع الجيش التركى وانتصر فيها الجيش المصرى انتصاراً باهراً . إذ أسر المصريون فى هذه المعركة حافظ باشا قائد الجيوش التركية . وأسروا معه ١٥ الف جندى وغنموا ١٧٩ مدفعاً و ١٨ الف بندقية . كما غنموا جميع ذخائر الترك ومهماتهم حتى خيمة حافظ باشا وكانت فيها خرائطه وعدده وأوراقه وأمواله ومجوهراته . ويقول البارون مولتكى فى مذكراته الحربية ان الجيش التركى خسر خمسة أسداس عدده . فقصر الكلام على واقعة قونيه وحدها دون ذكر الوقائع الأخرى ولا سيما واقعة نزيب يجعل الكلام أبتر .

وواقعة نزيب هذه لها أهمية خاصة إذ شهدها البارون مولتكى وكان رئيس أركان حرب جيش حافظ باشا . والبارون مولتكى هذا هو الذى اشتهر فى الحرب الهائلة التى نشبت بين المانيا وفرنسا فى سنة ١٨٧٠ وكان فيها رئيس أركان حرب الجيش الالمانى وفى أثرها طار صيته وصيت زميله بسمارك فى مشارق الأرض ومغاربها . ومن اراد المزيد فليراجع كتابنا « الذكرى المئوية لواقعة نزيب »

(١٦)

سليمان الحلبى

أضيف إلى البيـان التاريخى القيم الذى كتبه فى « الاهرام » صديقى الفاضل الاستاذ محمد بك مسعود بعض كلمات :

١ — ان جسم سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر شطر شطرين . وضع هيكل جسمه العظمى فى متحف حديقة الحيوانات والنباتات فى باريس . وحفظ عظم رأسه (الجمجمة) فى غرفة التشريح بمدرسة الطب بباريس

٢ — الخنجر الذى استعمله سليمان الحلبى لقتل الجنرال كليبر محفوظ فى مدينـة كاركاسون Carcassonne بفرنسا . أودعه هنالك سكرتير الجنرال كليبر بعد عودته إلى فرنسا . اختار مدينة كاركاسون لأنها مسقط رأسه . أهداها الخنجر على اعتبار انه أثر من الآثار التاريخية التى لها علاقة بحملة بونابرت على مصر

٣ — وما دمنا فى معرض الكلام على مقتل الجنرال كليبر فى يوم ١٤ يونيـه سنة ١٨٠٠ نقول ان فى هذا اليوم نفسه قتل الجنرال ديسيه Desaix فى واقعـة مارنجو Marengo التى انتصر فيها نابليون على النمساويين . كان الجنرال كليبر والجنرال ديسيه ساعدى الجنرال بونابرت فى مصر . ولما عاد بونابرت إلى فرنسا استصحب معه الجنرال ديسيه وترك الجنرال كليبر قائداً للقوات الفرنساوية فى مصر . فمن المصادفات الغريبة أن يقتل الاثنان فى يوم واحد — وهو يوم ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ — الجنرال ديسيه فى ايطاليا والجنرال كليبر فى مصر

٤ - واقعـة قتل الجنرال كليبر تتلخص فى أن تركيا — بتحريض الانجليز — جردت جيشاً عرمرما لطرد الفرنساويين من مصر . كان الجيش التركى تحت قيادة يوسف باشا الصدر الاعظم والجيش الفرنسـاوى تحت قيادة الجنرال كليبر . تلاحم الجيشان فى هليوبوليس وعلى الرغم من تفوق الجيش التركى عَدداً وعُدداً — اذ كان

سليمان الحلبى

obeikandl.com

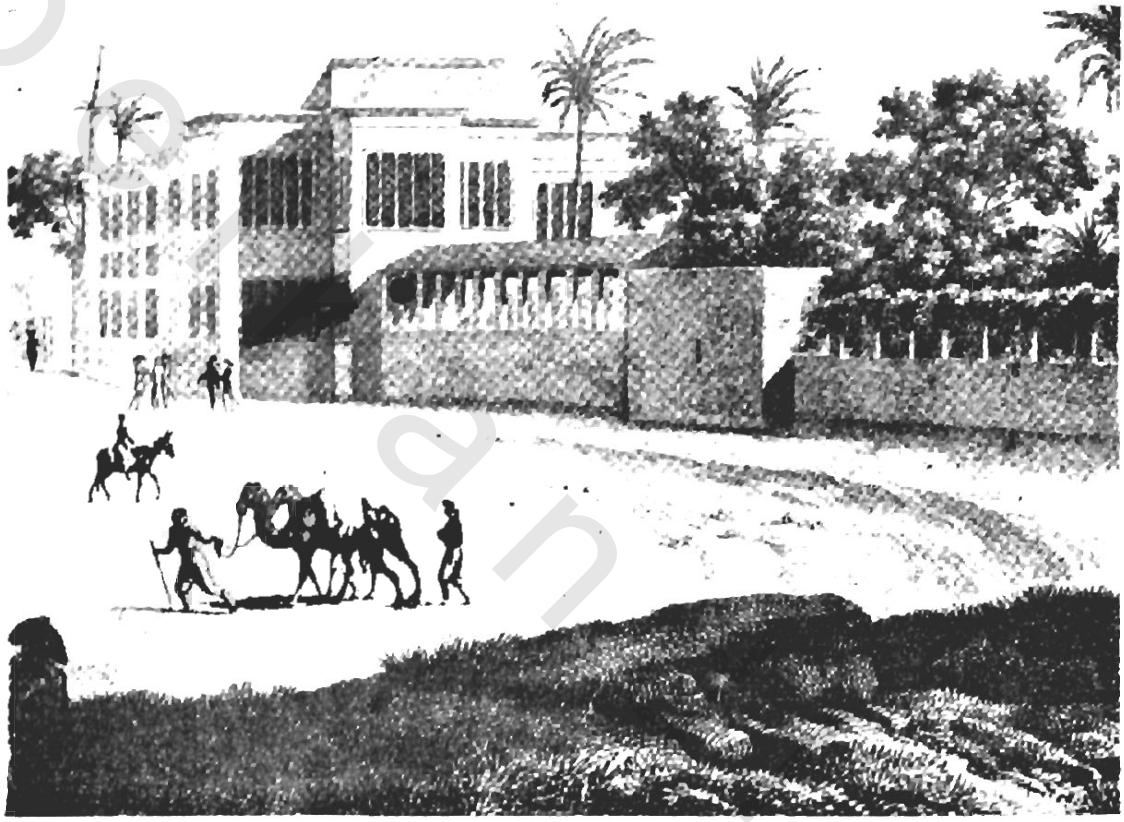

المنزل الذى قتل فيه الجنرال كليبر

(فندق شبرد الآن)

obeikan.com

الجيش التركى يزيد أربع مرات على عدد الجيش الفرنساوى - فان كليبر هزم يوسف باشا شر هزيمة. فر الصدر الاعظم إلى العريش ومنها إلى فلسطين ثم إلى سوريا وهنالك أعلن الجهاد على الفرنساويين . فكر يوسف باشا فى وسيلة ينتقم بها من الفرنساويين فاستدعى ضابطاً اسمه أحمد أغا كان قد غضب عليه وأبعده إلى القدس (أورشليم) وعده بالعفو عنه اذا ما دبر مكيدة ينتقم له بها من كليبر . أحمد أغا كان داهية فى الذكاء وكان على شىء من الحول والطول . استدعى فى الحال شابا عمره ٢٤ سنة اسمه سليمان كان حضر من بلده حلب بقصد الحج الى بيت المقدس ثم انتهز فرصة وجوده فى القدس وطلب شفاعة أحمد أغا ليرفع عن أبيه ظلم ابراهيم باشا والى حلب . قبل أحمد أغا أن يشفع لأبيه على شرط أن يقبل سليمان الحلبى أن يجعل نفسه فداء للسلطان وفداء للسلطنة ويذهب إلى مصر ويقتل الجنرال كليبر . ولما تمت الصفقة نفحه أحمد أغا بمبلغ من المال واشترى له ناقة وزوده بتوصية إلى بعض العلماء والوجهاء فى مصر . سافر سليمان الحلبى من القدس ومر بغزة . ولما وصل إلى مصر عكف مدة شهر تقريباً وهو يفكر فى الوسيلة التى بها يقتل كليبر . كان كليبر يقيم فى سراى مراد بك بالجيزة بصفة مؤقتة إلى أن تتم مرمة سراى محمد بك الالفى التى كانت مقر القيادة العامة فى القاهرة (محل فندق شبرد الآن) . ترك كليبر بندر الجيزة فى يوم ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ ومر بجزيرة الروضة حيث استعرض بعض فصائل جديدة للجيش ثم قصد منزل الجنرال داما رئيس هيئة أركان حرب وفيه تناول الغداء مع بعض كبار الضباط وبعض اعضاء المجمع العلمى وبعض رؤساء الادارة . كانت دار الجنرال داما تناظر وتجاور دار الالفى . فبعد الانتهاء من الغداء خرج كليبر ومعه المهندس بروتين ليتداول معه فى المرمات الواجب عملها فى سراى الالفى . وبينما كان كليبر والمهندس يسيران فى الدهليز الفاصل بين الدارين وإذا بشخص برز وخر ساجدا أمام الجنرال كليبر فظن كليبر أن الرجل يسأله احساناً فقال له « مافيش » فمد الرجل يده اليسرى كأنه يريد تقبيل يد كليبر فمد اليه كليبر يده فقبض عليها الرجل بقوة وشد كليبر نحوه ثم انقض عليه وطعنه بخنجره أربع طعنات شقت بطنه فخر كليبر على الارض مضرجاً بدمائه . ولما هم المهندس بروتين بالقبض على القاتل طعنه سليمان ست طعنات والقاه على الارض

ثم التفت الى كليبر وكان الدم يسيل من بطنه فانقض عليه ثانية وطعنه ثلاث طعنات اخرى اجهزت عليه

وبعد ساعة من القتل عثروا على القاتل مختفياً فى الحديقة الملاصقة لدار الفى بك وراء جدار مهدوم . ثم عثروا على الخنجر مدفوناً فى المكان الذى قبض عليه فيه . وجدوه ملوثًا بالدم كما وجدوا ملابس القاتل ملوثة بالدم

انكر سليمان الحلبي القتل ولكن المهندس بروتين استعرف عليه كما استعرف عليه أشخاص كثيرون رأوه يحوم حول دار الجنرال كليبر اياما عدة . بقى سليمان منكراً جريمة القتل ومنكراً أسماء من حرضوه ومن اشتركوا معه فاضطر المحقق الى تعذيبه . وأخيراً أعترف سليمان بان يوسف باشا الصدر الاعظم واحمد أغا هما اللذان حرضاه على القتل وامداه بالمال واعطياه الناقة التى حضر بها الى مصر . وقد سجل الجنرال مينو اشتراك الصدر الاعظم فى القتل فى البلاغ الرسمى الذى اذاعه وفيه رثا زميله ورئيسه الجنرال كليبر

٥ - وعلى ذكر يوم ١٤ يونيه نقول أن حوادث كثيرة مهمة وقعت فى مثل هذا اليوم منها :

- فى ١٤ يونيه سنة ١٨٣٢ استولى الجيش المصرى بقيادة البطل ابراهيم باشا على دمشق

- وفى ١٤ يونيه سنة ١٨٨٣ تأسست المحاكم الاهلية

- وفى ١٤ يونيه سنة ١٨٨٥ توفى محمد احمد (مهدى السودان) وخلفه عبد الله التعايشى

ومن يراجع تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر يجد حوادث كثيرة مهمة وقعت فى ١٤ يونيه ربما احصيناها فى مقام آخر .

الجنرال كليبر

obeikandl.com

(١٧)
نابليون الاول وفاروق الاول

لمناسبة الكلام على جهاز جلالة الملكة فريدة والهدايا التى قدمها أصحاب الجلالة ملك مصر وغيره من الملوك والامراء والعظماء أقول انه لما تزوج نابليون الأول امبراطور فرنسا فى سنة ١٨١٠ بمارى لويز بنت فرانسوا الثانى امبراطور النمسا كانت قيمة الجهاز والهدايا كالآتى :

١٢٠ر٠٠٠	فرنك ذهب لملابس العروس
١٠٠ر٠٠٠	فرنك ذهب قيمة الشبكة
٨٠ر٠٠٠	فرنك ذهب ثمن شيلان حرير
١١٢ر٠٠٠	فرنك ذهب ثمن أشياء منوعة
٤ر٦٣٣ر٣٤٥	فرنك ذهب ثمن مجوهرات ومصوغات

فتكون الجملة ٥ر٠٤٥٠٨١ فرنكاً (ذهب) تساوى ٣٠ مليوناً من الفرنكات الحالية و ٣٠٠ر٠٠٠ جنيه ذهباً .

(١٨)
ابن الملك فؤاد الأول

كتب كاتب فى إحدى المجلات أن ساكن الجنان الملك فؤاد الاول لم يرزق من الأولاد الذكور غير جلالة الملك فاروق الاول

والحقيقة ان المغفور له الملك فؤاد الاول رزق خلال سنة ١٨٩٦ ولداً ذكراً سماه «اسماعيل» تيمناً باسم أبيه . وفى ٦ اكتوبر سنة ١٨٩٧ رزقه الله سمو الاميرة فوقية

أما الأمير اسماعيل الصغير فتوفاه الله فى ثغر الاسكندرية فى يوم ٦ يوليه سنة ١٨٩٧ ولو عاش لكان تولى الملك باسم « اسماعيل الثانى » ولكن أراد الله أن يلحق اسماعيل الصغير باسماعيل الكبير بعد وفاة جده بسنتين وأربعة أشهر وأربعة أيام .

(١٩)

كاهن فرعون

تحقق نبوءة

التاريخ كله عبر . يعيد نفسه من آن الى آن :

فى سنة ١٣٠٠ قبل ميلاد المسيح امر فرعون مصر سيتى الاول (ابو رمسيس الثانى) بحفر ترعة توصل النيل بالبحيرات المرة والبحر الاحمر

وفى حدود سنة ٦٠٠ قبل الميلاد شرع نيخاو الثانى فرعون مصر - ابن ابسماتيك - فى إعادة حفر الترعة التى كان أنشأها سيتى الأول بقصد توصيل البحر الابيض بالبحر الاحمر من طريق النيل والبحيرات المرة (وكانت قد ردمت فى عهد الاسرة العشرين) الا أن الكهنة حذروه من حفرها وقالوا له « انك تعمل للاجنبى لا للمصرى » فلم يبال . نصحوه فلم ينتصح . وفى اثناء العمل هلك من عماله ١٢٠٫٠٠٠ نفس فاضطر الى وقف العمل

وفى حدود سنة ٥٠٠ قبل الميلاد غزا الفرس ديار مصر وأراد دارا ملك الفرس اتمام حفر الترعة فبدأها ولم يتمها . ولما خلفه ابنه اكسرسيس اتمها . وفى زمنه زار مصر هيرودوت المؤرخ اليونانى الشهير (ابو التاريخ) وعاين الترعة ووصفها فى كتابه بانها تبدأ من تل بسطه (بجوار الزقازيق) وتنتهى الى البحر الاحمر

وفى حدود سنة ٣٠٠ قبل الميلاد كان البطالسة يحكمون مصر . وجد بطليموس الثانى الترعة مردومة فامر باعادة حفرها من النيل الى مدينة ارسينويه على مقربة من السويس وسماها « ترعة البطالسة » ، رآها المؤرخ اليونانى الشهير ديودور الصقلى الذى زار مصر . كما رآها سترابون العالم الجغرافى اليونانى الشهير - وكان قد زار مصر قبل ميلاد المسيح بأربعين سنة - وقد قال فى وصفها انها كانت تسع أكبر البواخر . ورآها كذلك بلين الكبير العالم الرومانى الشهير الذى مات اختناقاً بدخان بركان

فيزوف عندما اراد درس نظرية ثوران البركان وهو الثوران الذى حرقت حممه مدينتى بومبى وهركولانوم . كما رآها لوسيان الكاتب اليونانى المعروف الذى أقام فى مصر فى القرن الثانى بعد الميلاد وقال ان البحرين الابيض والاحمر يتصلان بترعة تبدأ من ثغر الاسكندرية وتنتهى بثغر السويس

و بعد ميلاد المسيح بمئة سنة وفى الزمن الذى كانت فيه مصر تحت حكم الرومان جاء الامبراطور تراجان فوجد الترعة مردومة فامر باعادتها ولما أعيدت سميت باسم « ترعة تراجان »

ولما غزا عمرو بن العاص ديار مصر فى منتصف القرن السابع بعد الميلاد وجد الترعة مردومة فأمر باعادتها وسماها « ترعة امير المؤمنين » . أراد وصل البحرين الابيض والاحمر الا أن عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين رأى بثاقب نظره أن وصل البحرين يجر على مصر مصاعب ومشاكل مع الدول الاجنبية فأمر بوقف العمل

وفى سنة ١٧٩٨ بعد ميلاد المسيح جاء بونابرت وغزا مصر . اتجه فكره إلى حفر قنال السويس فسافر إلى السويس وزار عيون موسى وكشف أثر الترعة القديمة. عبر بونابرت البحر وقت الجزر ولما أراد العودة أدركه المد وكاد يغرق هو ورفاقه . عهد إلى المهندس لوبير بان يدرس مشروع حفر الترعة إلا أن الاضطراب الدولى فى أوروبا اضطر بونابرت إلى ترك مصر والعودة إلى فرنسا قبل أن يخرج مشروع حفر الترعة من حيز الفكر إلى حيز العمل

تولى محمد على حكم مصر . عرضوا عليه إعادة حفر القنال فكان جوابه مثل جواب الكاهن الذى حذر فرعون مصر . ومثل جواب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . قال « لا أريد أن يكون لمصر بوسفور ثان . ان حفر القنال يفتح أبواب مشاكل دولية لا قبل لمصر بها . ان ضرره أكثر من نفعه »

فوئد حفيده عباس . فكان جواب الحفيد مثل جواب الجد

جاء سعيد باشا فخالف رأى والده وخالف رأى ابن أخيه ومنح دلسبس امتياز حفر القنال

سئل اسماعيل فقال - أدر الله له خلاف الرحمة - « أريد أن تكون القنال لمصر لا مصر للقنال » وفى زمنه تم حفر القنال

كان عدد الفلاحين الذين سخروهم لحفر القنال يتراوح فى كل شهر بين ٣٠٫٠٠٠ و ٢٥٫٠٠٠ و ٣٠٫٠٠٠ وكانوا يأتون بهم من أقاصى الدلتا ومن أقاصى الصعيد و يدفعون للشاب قرشين ونصف قرش (يومية) وللغلام قرشاً على أن تكون عليهم مصروفات العودة

ساهم سعيد على كراهة منه بمبلغ ٨٩٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك ثمن ١٧٧٫٦٤٢ سهماً

ولما اعترضت الدولة العلية وانكلترا على استعمال السخرة والعونة احتكمت مصر والشركة إلى نابليون الثالث امبراطور فرنسا وهو حكم على مصر بان تدفع للشركة ٨٤ مليون فرنك والزمها بان تسترد من الشركة ثلثى الاراضى التى كانت باعتها لها . الحكومة باعت إلى الشركة ١٥٠٫٠٠٠ فدان بمبلغ ٧٥٫٠٠٠ جنيه أى بسعر الفدان نصف جنيه . فلما حكم نابليون على مصر بان تسترد الثلثين أى ١٠٠٫٠٠٠ فدان حدد سعر الفدان بعشرين جنيهاً فكان ربح الشركة ١٫٩٥٠٫٠٠٠ جنيه

أحصى لورد كرومر مجموع ماخسرته مصر من يوم منح دلسبس امتياز حفر القنال فاذا هو مبلغ ١٦٫٠٧٥٫٠٠٠ جنيه

والآن و إذا بزمزمة من ايطاليا تطالب بنصيب فى إدارة القنال وفى منافعه وفى مرافقه ، ربما تعقبها زمزمة ثانية من المانيا ، وثالثة من اليابان وهكذا دواليك

وبذا تحققت نبوءة كاهن فرعون مصر وصدقت نبوءة سيدنا عمر وحقت كلمة محمد على الكبير

حقاً إن التاريخ كلمة عبر يعيد نفسه من آن إلى آن.[1]

---

(١) نشرت هذه الكلمة فى « المقطم » عدد ١٩ فبراير سنة ١٩٣٩

(٢٠)

سلطان تركيا واقتسام بولونيا

فى الأنباء الخارجية الأخيرة ان اليابان لا تزال تعترف بوجود الحكومة البولونية على الرغم من احتلالها بجيوش الروس والالمان واقتسامها على التنصيف بينهما

لموقف اليابان هذا سابقة فى التاريخ :

ذلك انه فى خلال القرن الثامن عشر اتفقت روسيا وبروسيا والنمسا على محو مملكة بولونيا من خريطة اوروبا والسطو على أراضيها واقتسامها فيما بينها . عز هذا السطو على السلطان مصطفى الثالث (ابن السلطان احمد) فغضب غضباً شديداً وأصر على عدم الاعتراف بزوال مملكة بولونيا . وليظهر سخطه على روسيا وبروسيا والنمسا بصفة رسمية أمر الحاجب السلطانى بأن ينادى على سفير ملك بولونيا فى جميع الحفلات الشاهانية الرسمية (مع علمه بعدم وجود سفير بولونى فى الاستانة) فكان الحاجب ينادى على سفراء فرنسا وانجلترا واسبانيا وامريكا وغيرهم وعندما يجىء دور بولونيا ينادى الحاجب « فخامة سفير حضرة صاحب الجلالة ملك بولونيا » وبعد ثانية أو ثانيتين يجيبه حاجب آخر « غائب »

بهذا المظهر الرسمى كان السلطان يظهر سخطه على اقتسام بولونيا بالطريقة الوحشية الهمجية التى تم بها غزو بولونيا واقتسامها

هذا ما أردت بيانه اظهاراً لنخوة السلطان مصطفى الثالث وبياناً لنبل عواطفه واعلاناً لشهامته وشجاعته .[1]

---

(١) نشرت هذه الكلمة فى جريدة « المصرى » عدد ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٩

(٢١)

فتاة فرنسية تصبح سلطانة تركيا

بعد قضاء مدة في المارتينيك بتولي العرش

نشرت بعض الجرائد والمجلات المصرية والفرنسية كلمة عن فتاة من جزيرة المارتينيك وقعت في أسر بعض القرصان الجزائريين الذين كانوا يجوبون في البحر الابيض المتوسط ولفرط جمالها أهداها القرصان الى « باي تونس » وهو أهداها الى سلطان تركيا فرزقت منه بولد هو السلطان محمود الثاني (الذي حاربه المغفور له محمد علي باشا الكبير وانتزع منه فلسطين وسوريا والاناضول)

والحقيقة التي يرويها لامارتين - وقد كان كما تعلم وزير خارجية فرنسا وعضواً في الاكاديمية الفرنساوية ومن اكبر شعراء فرنسا وكان فوق هذا وذاك معاصراً السلطان محمود نفسه وقد عرفه وزاره عندما جال بلاد الشرق وكتب تاريخ سلطنة آل عثمان في ثمانية مجلدات - تقول والحقيقة التي يرويها لامارتين ان ام السلطان محمود شركسية لا فرنساوية . فالرواية التي نقلتها الصحف تفتقر الى شيء من الاثبات

على انه سواء صحت رواية لامارتين - من ان ام السلطان محمود كانت شركسية - أو صحت رواية الصحف - من ان امه كانت فرنساوية من جزيرة المارتينيك - فان قصة هذه الفتاة الفرنساوية التي نشأت في هذه الجزيرة واستوت على عرش آل عثمان تذكرني بقصة ثلاث من نساء جزيرة المارتينيك نفسها استوين على عرشين آخرين غير عرش السلطنة العثمانية هما عرش فرنسا وعرش هولانده :

الاولى هي مدام دي منتينون وأصلها من جزيرة مارتينيك . هاجرت الى فرنسا وفيها عرفها الشاعر سكارون وأحبها وتزوجها . وبعد وفاته عهدت اليها مدام دي مونتسبان خليلة لويس الرابع عشر ملك فرنسا تربية أولادها . ومن كثرة ترددها على الاسرة

المالكة عرفها الملك وأحبها وتربص الى أن توفيت الملكة زوجته و بعد وفاتها عقد على المربية وصارت لها الكلمة النافذة فى فرنسا كلها . وقد توفيت فى سان سير – بجوار باريس – فى خلال سنة ١٧١٩

والثانية أشهر من الاولى . هى جوزفين زوجة نابليون الكبير . ولدت فى جزيرة المارتينيك أيضاً . وكان زوجها الاول اسمه بوهارنيه و بعد ما حكم عليه رجال الثورة الفرنساوية المشهورة بالاعدام وأعدموه بالفعل التقى بها الجنرال بونابرت فأحبها وتزوجها . ولما بويع امبراطوراً على فرنسا فى سنة ١٨٠٤ استوت معه على عرش فرنسا وصارت امبراطورة. وقد توفيت فى باريس فى ٢٩ مايو سنة ١٨١٤ بعد أن نفى نابليون الى جزيرة الب

والثالثة هورتانس (بنت جوزفين) من زوجها الاول بوهارنيه . ولدت فى جزيرة المارتينيك أيضاً . زوّجها نابليون من أخيه لويس ثم أجلسهما على عرش هولانده فصارت ملكة هولانده . وقد ولد لها ولد هو شارل لويس الذى جلس فيما بعد على عرش فرنسا باسم نابليون الثالث

فما قولك فى هذه المصادفات الغريبة : جزيرة صغيرة من جزر ارخبيل الأنتيل تبعد عن فرنسا ثلاثة عشر يوماً ولا يزيد عدد سكانها على سكان مركز نجع حمادى تخرج ثلاث أو أربع نساء ما كن يحلمن بأنهن سيجلسن يوماً على عروش ممالك وسيضعن على رؤوسهن تيجان فرنسا وتركيا وهولانده [1] .

(١) نشرت هذه الكلمة فى « المصرى » عدد ٢٦ ابريل سنة ١٩٤٠

(٢٢)

دعـــوة

لاقامة ضريح وتمثال لابن خلدون

عندى صورة نادرة لابن خلدون . ولوجود هذه الصورة عندى قصة. ذلك انى كنت طالعت فى احدى الجرائد المصرية – وانا فى فرنسا – دعوة استاذنا احمد زكى باشا لاقامة ضريح وتمثال لابن خلدون ، وكان خطر بفكره أن يؤلف لجنة تتولى جمع الاكتتابات لاقامة تمثال ابن خلدون فى ميدان من ميادين القاهرة . فلبيت دعوته على الفور واكتتبت بمبلغ عشرين جنيهاً . ولما عدت من فرنسا زارنى زكى باشا وسلم الىّ صورة ابن خلدون الشمسية لنعرضها على الفنان الذى تختاره اللجنة التى تتألف لنشر الدعوة فى القطر المصرى لعمل التمثال ولـكن الظروف لم تسمح بتنفيذ فكرة زكى باشا وقتئذ وظلت الصورة الشمسية عندى حتى الان

على أن فكرة زكى باشا فكرة قيمة ويجب علينا ، نحن معاشر المصريين ، أن نتعاون على تخليد ذكرى ذلك الفيلسوف الـكبير

إن الأمم الغربية تمجد رجالها وتخـلد ذكراهم لتضرب بتماثيلهم المثـل الاعلى لاولادهم واحفادهم وذراريهم ، ونحن هنـا فى الشرق نهمل أمر تمجيد رجالنا العظام فلا نهتم باقامة تماثيل لهم ولا نهتم باقامة أى أثر آخر يخلد ذكراهم أو يعيد إلى أذهاننا اسماءهم وافعالهم واثارهم

خذ مثلا طوابع البريد . تجد فى عموم بلاد العالم يمجدون ذكرى الرجال العظام بطبع طوابع بريد عند الاحتفال بالعيد الخمسينى أو المئوى أو الالفى . فمثلا تجـد المانيا قد نشرت طوابع بريد باسماء « جوته» (Goethe) اكبر شعراء المانيا ونابغة من نوابغ كتابها ومن اعاظم علمائها و « كانت » (Kant) الفيلسوف الألمانى الشهير و « شيلر» (Schiller) شاعر ومؤرخ وكاتب من أشهر شعراء المانيا ومن أعاظم مؤرخيها ومن فطاحل

ابن خلدون

obeikan.com

كتابها وصديق جوته و« لايبنتز »(Leibnitz)الفيلسوف الالمانى الشهير و« هندنبورج » (Hindenburg)واسمه أشهر من ان يذكر و« بتهوفن »(Beethoven)وهواة الموسيقى يعرفون اسمه وفضله ونبوغه و« باخ »(Bach)موسيقار شهير مثل زميله بتهوفن و« ليسنج » (Lessing) أحد فحول كتاب المانيا ثم « ستريزمان » (Stresemann) وزيرها الشهير

وفرنسا طبعت طوابع بريد باسم (جان دارك Jeanne d'Arc) والكيماوى « برتلو »(Berthelot) والعلامة « باستور »(Pasteur)والشاعر « رونسار »(Ronsard)

والولايات المتحدة طبعت طوابع بريد باسم « روزفلت »(Roosevelt)و« فرانكلين » (Franklin) و« جرانت »(Grant)و(واشنجتن (Washington) و« مارته واشنجتن » (Martha Washington)« ولنكولن »(Lincoln) « ماكنلى »(Mackinley)و« مونرو » (Monroe) صاحب المذهب المشهور

وايطاليا طبعت طوابع بريد برسم شاعرها الاشهر « دانتى »(Dante)والعالم « فولتا » (Volta) و« مازينى »(Mazzini) وهو وطنى ايطالى أسس جمعية سرية اسمها ايطاليا الفتاة كان غرضها وحدة ايطاليا وطرد النمساويين من البلاد . كما طبعت طوابع أخرى برسم « يوليوس قيصر »(Jules César) و« اوغسطوس »(Auguste) .

واليونان طبعت طوابع بريد برسم « لورد بيرون » (Lord Byron) الذى ضحى بحياته فى سبيل استقلالها

وبولونيا طبعت طوابع بريد برسم العالم الفلكى « كوبرنيك » (Copernic)

وبلجيكا طبعت طوابع بريد برسم المصور الشهير « روبنس »(Rubens)و« جرام » (Gramme)

وبهذه المناسبة نذكر بالفخر قرار مجلس مديرية البحيرة الذى اشترى الدار التى ولد فيها المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى إحدى قرى شبراخيت ليجعل منها أثراً تاريخياً يخلد ذكراه فى المديرية التى ولد فيهـا . فحبذا لو اقتدت مجالس المديريات الاخرى بمجلس مديرية البحيرة فاقامت فى عواصم مديرياتها تماثيل وآثار تخلد بها ذكرى الرجال العظام الذين نشأوا فيها

– لم لا تقيم مديرية الغربية مثلا تمثالا للمغفور له أحمد منشاوي باشا فى طنطا وهو الرجل الذى أنفق فى وجوه البر مليون جنيه ؟

– ولم لا تقيم مديرية الشرقية تمثالا لعبد اللطيف بك حسنين وقد أنفق فى وجوه البر والاحسان مبالغ طائلة ؟ والمرحوم اسماعيل باشا أباظه وكان له ضلع كبير فى الحركة الوطنية فى أوائل عهد المغفور له توفيق باشا ؟

– ولم لا تقيم مديرية المنيا تمثالا للمرحوم محمد سلطان باشا والمرحوم على باشا شعراوى وبعد عمر طويل لقلينى باشا فهمى ؟ وللاول فضل كبير فى الحركة الوطنية فى أواخر عهد اسماعيل وفى أوائل عهد توفيق . والثانى كان أحد الثلاثة الذين وضعوا أول حجر فى نهضة سنة ١٩١٩ . وقلينى باشا خـدم مصر ٦٠ عاماً وتوج خدماته بالمبرات التى أسداها وتزيد قيمتها على ٦٠ر٠٠٠ الف جنيه . ألم يتبرع بارض لمجلس مديرية المنيا قيمتها ٢٠ر٠٠٠ جنيه ومجلس المديرية شيد عليها أربع مدارس ثلاثاً للبنين ومدرسة للبنات. ألم يتبرع لرعاية الاطفال بمنزل فى مغاغه ووقف عليه ٧٥ فداناً من أجود أطيان مغاغه لا تقل قيمتها عن ١٥ر٠٠٠ جنيه ؟ ألم يتبرع بمنزله فى حلوان ليكون مدرسة للبنات ووقف عليها ٦٠ فداناً من أجود أطيانه لا تقـل قيمتها عن ١٢ر٠٠٠ جنيه ؟

– ولم لاتخلد مديرية جرجا أثراً لرفاعه بك وكان له ضلع كبير فى نشر الثقافة فى مصر ؟ وللمرحوم محمود باشا سليمان وفضله فى الحركة الوطنية معروف ؟

–وثغر الاسكندرية نشأ فيه رجال عديدون. و القاهرة نشأ فيها وعاش فيها رجال كثيرون يستأهلون إقامة تماثيل لهم

– فمن رجال العلم : قدرى باشا ، قاسم بك أمين ، فتحى باشا زغلول ، أرتين باشا ، على باشا مبارك ، محمود باشا الفلكى ، أحمد زكى باشا

– ومن رجال السياسة : نوبار باشا (وله تمثال فى ثغر الأسكندرية)، رياض باشا ، شريف باشا ، بطرس باشا غالى ، رشدى باشا ، ثروت باشا ، محمد بك فريد

– ومن رجال التاريخ : الجبرتى ، المقريزى ، ابن خلدون ، ابن بطوطه ، عبد اللطيف البغدادى (وبعد عمر طويل الامير عمر طوسون)

– ومن رجال الصحافة : الشيخ على يوسف والدكتور صروف وتقلا

– ومن الشعراء : محمود باشا سامى البارودي وأحمد بك شوقى ، وحافظ بك ابراهيم ، (وبعد عمر طويل خليل مطران بك)

– ومن رجال النهضة السياسية : جمال الدين الافغانى وعبد الرحمن الكواكبى وعبد السلام باشا المويلحى

– ومن رجال الادب : الحريرى والخوارزمى

– ومن رجال الحرب : أحمد باشا المناكلى الذى كان ساعد ابراهيم باشا الايمن فى غزو سوريا وغيرها

– وممن عاونوا المغفور له محمد على باشا وكان لهم الفضل فى تنصيبه واليا على مصر كما كانت لهم الزعامة السياسية والادبيه فى أوائل القرن التاسع عشر : السيد عمر مكرم والشيخ المحروقى والشيخ الشرقاوى

– ولا تنس بوغوص بك يوسف وأرتين بك ، والاول لبث وزيراً لمحمد على باشا مدة طويلة وخدم مصر ٣٥ سنه كان فيها مثال الاخلاص والنزاهة والوطنية

اللبنانيون سبقوا المصريين فى هذا الميدان :

رأيت فى أثناء تجوالى بقرى لبنان عدة تماثيل فى عدة قرى لا يزيد عدد الاهالى فى كل منها على الالف . رأيت فى « حصرون » مثلا تمثالا ليوسف سمعان السمعانى وهو من أشهر علماء لبنان وكان صاحب المكتبة الشرقية فى الفاتيكان . كما رأيت تمثالا لنعوم اللبكى فى قرية « بعبدات » (على مقربة من برمانا) كما أن لابراهيم اليازجى تمثالا فى بيروت . وليوسف بك كرم بطل لبنان أثر فى « اهدن » وللامير فؤاد ارسلان تمثال فى « خلده » . وقرأنا أخيراً أن أهالى « بشرى » اكتتبوا لاقامة تمثال لشاعرهم الكبير جبران خليل جبران . أما المصريون فلم يقيموا حتى الآن تمثالا واحداً للنابغين منهم .

فلم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد ؟ (١)

---

(١) نشرت هذه المقالة فى « الاهرام » عدد ١٧ مايو سنة ١٩٣٢

بور سعيد وبور سعد

هذا رجاء يبسطه مصرى لحضرة صاحب الجلالة الملك . واقتراح يقدمه وطنى لحضرات أصحاب المعالى الوزراء. ونداء يوجهه مخلص الى الأمة المصرية ممثلة فى شيوخها ونوابها وذوى الغيرة من أبنائها

فى كل زمان وفى كل مكان اذا نبغ رجل فى العلم أو في السياسة أو فى الحرب أو فى أى شأن من شؤون الحياة الاجتماعية أو السياسية أو الحربية أو العلمية وكان لمجهود هذا النابغة أثر فى حياة الوطن الذى نشأ فيه أو فى مستقبله يقام له أثر يخلد ذكراه على ممر الدهور الأعوام و يبقى مثالاً حياً يلقى ابلغ الدروس وأنفعها على الخلف

قد يكون تكريم الرجل باقامة تمثال له أو بتسمية شارع باسمه أو باطلاق اسمه على قطر أو على نهر أو على مدينة أو على جزيرة او على بحيرة . كما يجوز أن تكون بترقيته الى مصاف الأشراف أو الامراء . فغليوم الأول بعدما انتصر حربيًا على نابليون الثالث ووحد الامبراطورية الألمانية رفع بسمارك الى صف الأمراء فسماه « برنس بسمارك » وجعل لقب الامارة حقاً لعائلة بسمارك يتوارثه الابن عن الأب . وكذلك فعل من بعده حفيده غليوم الثانى إذ رقى فون بولو الى مصاف الأمراء بعد أن انتصر سياسيًا على فرنسا فى بعض مواقف مشهورة . وفى انجلترا كذلك رقى ولنجتون الى رتبة « دوك » بعدما انتصر على نابليون الاول فى واقعة واترلو المشهورة كما رقى غيره من رجال السياسة ومن رجال العلم الى مصاف الأشراف . ومن ذا الذى لا يذكر أفعال سسل رود فى جنوب افريقيا واطلاق اسمه الضخم على بلاد واسعة الأرجاء حيث سميت باسمه رودسيا أى بلاد رود . ومن يستقرىء أسماء البحيرات وأسماء المدن وأسماء الجزر التى سميت بأسماء الرجال العظام يجد ليو بولد فيل (أى مدينة ليو بولد) تخليداً لاسم ليو بولد ملك البلجيك. و برازافيل تخليداً لاسم برازا المستكشف الفرنسوى

الشهير . وخليج ستانلى وبحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت وغير ذلك من المسميات التى اطلق عليها أسماء مشاهير الرجال

اذا تقرر هذا أفلا يحسن رفع سعد باشا الى مصاف الأمراء تكريمًا لرجل قضى حياته فى خدمة مصر وبفضل الجهود العظيمة التى تكاد تكون فوق طوق البشر حققت مصر أمنيتها الكبرى فى الاستقلال . فبعد أن كانت محكومة وتابعة أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة لها شأن بين الدول

وحبذا لو انتهز اولو الحل والعقد فرصة شروع الحكومة فى انشاء مدينة جديدة فى البر الأيمن من قنال السويس لتسميتها باسم سعد باشا فتكون « بور سعيد » فى البر الايسر و « بور سعد » فى البر الايمن

طوبى لمن حقق هذه الامنية التى تصادف فى قلوب المصريين اعظم ابتهاج وتقابل بأعظم الشكران (١)

---

(١) نشرت هذه الكلمة فى « المقطم » عدد ٢٠ يولية سنة ١٩٢٤

عظماء مصر

لماذا لا ننشئ متحفاً لآثارهم ؟

فى مصر احد عشر متحفاً : هى المتحف المصرى ، والمتحف العربى ، والمتحف القبطى ، والمتحف الحربى ، والمتحف الزراعى ، والمتحف الصحى ، والمتحف الجيولوجى ، والمتحف الجغرافى ، ومتحف الفن الحديث ، ومتحف السكة الحديدية ، ومتحف البريد

وليس من بين هذه المتاحف متحف يضم آثار عظماء مصر ، فى حين انه يجب للذكرى والتاريخ تأسيس متحف يجمع آثار هؤلاء العظماء فنبدأ مثلاً بتخصيص غرفة أو غرفتين فى دار الكتب نجمع فيها أو فيهما آثار الرجال الذين تجلت عظمتهم فى جلائل أعمالهم ، ليكون هـذا المتحف مرجعاً للكتاب والمؤرخين ، وذكرى لشباب اليوم الذين هم رجال الغد

لا أعنى بالعظماء كبار الموسرين أو كبار الموظفين ، ولا الكبار محتداً أو جاهاً ، وانما أعنى بهم الرجال الذين خدموا مصر واستحقوا تقدير الوطن ، سواء فى ذلك رجال السياسة ، والسيف ، والعلم ، والفن ، والأدب . وكذلك رجال المال الذين ضحوا بجانب كبير منه فى سبيل مصر والمصريين

لم لا نجمع مخطوطات الرجال الذين بايعوا محمد على بالولاية على مصر ، أمثال السيد عمر مكرم ، والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ خليل البكرى ، والشيخ سليمان الفيومى . والذين عاونوا محمد على فى سياسته وفى ماليته وفى حروبه : أمثال سليمان باشا ، وأحمد المانكلى باشا ، واحمد الدرمه لى باشا ، وحسن الاسكندرانى باشا ، وابراهيم يكن باشا ، وسليم فتحى باشا ، وشاهين باشا ، وراتب

باشا ، وراشد حسنى باشا ، واحمد استانبولى باشا ، ومصطفى مطوش باشا ، ومصطفى العرب باشا ، وخورشيد باشا ، ومحمد الدفتردار بك ، ومحمد لاظ اوغلى بك ، وبوغوص يوسف بك ، وأرتين بك

ولماذا لا نحفظ ما يوجد من المخطوطات والآثار لرجال السياسة الذين نبغوا فى عهود اسماعيل وتوفيق وعباس أمثال : نوبار باشا ، وشريف باشا ، ورياض باشا ، ومصطفى فهمى باشا ، وبطرس غالى باشا ، ومحمد سلطان باشا

وكذلك آثار رجال ثورة سنة ١٨٨٢ أمثال عرابى والبارودى والروبى وعبد العال وعلى فهمي. ورجال ثورة سنة ١٩١٩ أمثال سعد باشا وشعراوى باشا وعبد العزيز فهمى باشا ومحمود سليمان باشا وابراهيم سعيد باشا ومرقس حنا باشا ومحمد الباسل باشا والمكباتى ووصفا واصف . وآثار ومخطوطات كبار رجال السياسة ، أمثال سعد زغلول ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعدلى يكن ، وحسين رشدى ، وتوفيق نسيم ، وعبد الخالق ثروت . وكبار رجال العلم ، أمثال الفلكى وعلى مبارك وقدرى باشا ورفاعه بك والشيخ محمد عبده وقاسم أمين وفتحى زغلول

وكبار الشعراء أمثال : شوقى وحافظ ومطران وحفنى ناصف واسماعيل صبرى . ورجال الأدب أمثال السيد توفيق البكرى وابراهيم المويلحى واسماعيل أباظه باشا وأحمد زكي باشا. ورجال الصحافة أمثال سليم تقلا وعبد الله نديم والشيخ على يوسف والدكتور يعقوب صروف والدكتور نمر وجورجى زيدان وبشاره تقلا وداود بركات وأمين الرافعى ، وكبار المحسنين مثل المنشاوى باشا والدمرداش باشا . وكذلك أثار أم المحسنين ، وأم المصريين ، وهدى شعراوى ، وباحثة البادية ، وعائشة التيمورية

أمامى الآن مرثية نظمها صديقى وزميلى المغفور له مصطفى كامل باشا كتبها بخط يده فى ٢ أغسطس سنة ١٩٠١ ثم قدمها إلى صديقه محمود الطوير بك ، وفيها يرثى والده المرحوم محمد الطوير بك ، وقد كتب فى ذيلها « هذه مرثية صادرة من محب مخلص ألم به ما ألم بصديقه حضرة محمود افندى الطوير فانطقه بالفاظ الحقيقة — أغسطس سنة ١٩٠١ . محبكم مصطفى كامل » :

دامت حياتهم فى الناس معجزة　　دوام اشراق أقمار على أمم
وامطر الله دوماً صوب نعمته　　على أبيهم وأوفاه من النعم
طول المدى ماذكرنا انه بطل　　فى كل حال امير الناس كلهم

هذه مرثية صادرة عن محب مخلص (مصطفى كامل) ألمّ به ما ألم بصديقه (حضرة محمود افندى الطوير) فانطقه بألفاظ الحقيقة ؟

محبكم
مصطفى كامل

٢ اغسطس سنة ١٩٠١

كذلك عندى صورة فوتوغرافية لمصطفى تمثله مع الكاتب الفرنسى الشهير بيير لوتى ، والمرحوم عزت شكرى بك شقيق حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا وحضرة محمد عماد الدين وهبى بك وكيل دائرة الامراء حليم باشا سابقاً ، وهم فى دار بيير لوتى فى روشفور (فرنسا) وهى الدار التى طار صيتها لما فيها من طرائف وعجائب ، ومنها مسجد جمع معظم ادواته من مساجد اثرية اقتناها فى مصر وفى تركيا وفى الهند ، ومعبد صينى جمع معظم ابوابه ونوافذه من معابد صينية عند ما حاربت انجلترا وفرنسا والمانيا « البوكسر » فى خلال سنة ١٩٠٠

الا يحسن بنا انشاء مثل هذا المتحف للذكرى وللتاريخ [1] .

(١) نشرت هذه الكلمة فى « الاهرام » عدد ٢٥ مايو سنة ١٩٤٠

(٣٥)

تقـــدير الرجال

كيف تكافىء انجلترا رجالها

اعتادت الأمم على مكافأة المخلصين المجاهدين من أبنائها وقد كافأ البرلمان البريطانى كلاً من لورد هايج Haig ولورد اللنبى Allenby ولورد بيتى Beatty بمبلغ ٥٠ر٠٠٠ جنيه على حسن بلائهم فى الميدان وعلى فوزهم فى الحرب الكبرى واعلائهم كلمة بريطانيا . وعقب عقد الصلح وابرام معاهدة فرساى انهالت الهدايا والتبرعات على مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية

ولما كان الشىء بالشىء يذكر أضيف ما كافأت به حكومة بريطانيا دوق ولنجتون قاهر نابليون :

– لما انتصر ولنجتون فى واقعة نالافيرا فى اسبانيا رتبت له الحكومة ٢٠٠٠ جنيه معاشاً ورفعته الى رتبة الأشراف وأنعمت عليه بلقب فيكونت

– وبعد واقعة جيوداردريجو (باسبانيا) رفعته الى مرتبة كونت وضاعفت معاشه

– وبعد دخوله مدريد عاصمة اسبانيا نفحته بمبلغ ١٠٠ر٠٠٠ جنيه ومنحته لقب مركيز

– وبعد انتصاره النهائي على نابليون فى واقعة واترلو يوم ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ كافأته بمبلغ ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه وبأطيان زراعية واسعة فى ستراتفيلدسى كما رتب له ملك هولاندا معاشاً مقداره ٢٠ر٠٠٠ فلورين (٢ر٠٠٠ جنيه سنوياً)

– ولما تم الصلح بين انجلترا وفرنسا فى سنة ١٨١٥ منحته ٣٠٠ر٠٠٠ جنيه وأعطته لقب دوق ورتبت له معاشاً سنوياً مقداره ١٧ر٠٠٠ جنيه

وأضيف الى هذا – على ما أذكر – ان انجلترا كافأت لورد كتشنر بعد فتح السودان بمبلغ ٥٠٠ر٠٠٠ جنيه ونفحته بمبلغ ١٠٠ر٠٠٠ بعد اخضاع البوير وبسط سلطانها على بلاد الترنسفال . كما كافأت لورد روبرتس زميله بمبلغ ١٠٠ر٠٠٠ جنيه أخرى

على هذه السنة – سنة مكافأة الرجال الذين يخدمون بلادهم بأرواحهم وأموالهم وأقلامهم وعلومهم وفنونهم – قامت عظمة الامبراطورية الانجليزية التى هيمنت على ربع الكرة الأرضية وعلى ٥٠٠ مليون نفس فى مشارق الارض ومغاربها فى اوروبا وفى آسيا وفى افريقيا وفى امريكا وفى استراليا وفى جزر المحيط ، ولا تغيب الشمس ثانية واحدة عن مستعمراتها وممتلكاتها

فمتى تسير مصر على سنة انجلترا فتسترد العظمة التى كانت لها فى عهد الفراعنة وفى عهد العرب وفى عهد محمد على باشا الكبير ؟

(١) نشرت هذه الكلمة فى جريدة « المصرى » عدد ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٦

تخليد ذكرى المحسنين

نشر أسماء الجمعيات الخيرية التى تعمل فى الاسكندرية أمر حسن . ولكن أحسن منه وضع كتاب جامع لترجمة حياة المحسنين فى مصر وبيان ما عملوه من بر ومن خير . مثل هذا الكتاب تكون له فائدتان :

الاولى – نشر فضل المحسنين ليعرف كل مصرى من أحسن إلى بلاده من المصريين ومن الاجانب . خذ مثلا المرحوم احمد منشاوى باشا . هذا الرجل وقف ٤٦٤٥ فدانا من أجود اطيان القطر فى القرشية والسنطة وبقلوله وغيرها وغيرها وشرط صرف ريعها الضخم على أعمال خيرية محضة. فبنى الناظر من ريعها مستشفى وتكية ومسجداً ومدرسة صناعية ومكاتب للفقراء فى القرشية وفى السنطة وفى شبرا بقلوله وفى الانبوطين وغيرها وغيرها كما انشأ مساجد فى بلاد عدة . عدوا فاحصوا أن عدد المرضى الذين عولجوا فى المستشفى الذى انشأه بلغ ٢٤١٧٩ شخصاً . وما أنفق فى الاعمال الخيرية من تاريخ وفاة الرجل فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤ حتى آخر سنة ١٩٢٦ بلغ ٧٩٧ر٠٠٠ جنيه . الا يستأهل مثل هذا المحسن الكبير أن يقام له تمثال فى طنطا أو فى مصر ليكون شاهداً على ما له من فضل عميم

مثال آخر : جمع المغفور له السيد عبد الرحيم الدمرداش ثروة طائلة بلغت من سنة ١٩٠١ إلى سنه ١٩١٧ مبلغ ٢٥٢ر٦١٧ جنيهاً يضاف اليها ٨٢ر٥٦٦ جنيهاً من سنه ١٩١٨ إلى سنة ١٩٢٤ ويضاف اليها ما أشتراه باسم أخر ٢٠٠الف جنيه تكون الجملة ٥٢٧ر١٨٢ جنيهاً . رأى هذه الثروة الضخمة أمامه ففكر فى اخريات حياته أن يخصص جزءاً كبيراً منها للاعمال الخيرية فانشأ المستشفى المعروف باسمه وأنفق عليه مائة الف جنيه . مثل هذه النفس الكريمة العالية يجب أن تكون قدوة حسنة للمصريين . فلم لا يفكر فى اقامة تمثال لهذا الرجل الكبير النفس السامى المروءة ليعرف

المصريون الفرق الكبير بين من أحسن لبلده بخمس ثروته ومن ضن عليها بمليم مع أنه من ذوى اليسار فى هذا الزمان

مثال ثالث : وقف قليني فهمي باشا منزله فى حلوان وتبلغ مساحته ٥٠٠٠ متر على جمعية فؤاد الاول للهلال الاحمر ليكون مستشفى للسيدات من مختلف المذاهب والاديان ووقف للانفاق عليه ٥٨ فدانًا و ٢٢ قيراطًا و ١٦ سهمًا من أجود الاطيان فى مغاغه . ووقف على وزارة الصحة منزله فى مغاغه وتبلغ مساحته ٤٠٠٠ متر ليكون مستشفى للولادة ورعاية الطفل ووقف لنفقاته ٧٥ فدانًا من الاطيان الجيدة هنالك . ووقف ٣٠ فدانًا للجمعية الخيرية القبطية فى القاهرة ومستشفاها القبطى . ووقف عشرة أفدنة لكنيسة طحا الاعمدة ووقف ١٦٦ فدانًا لكنيسة قليني باشا ومنامته بمغاغه وأخرج نفسه من الشروط العشرة ليبقى الوقف بذلك نافذا دائمًا ابدا

ومن السيدات الفضليات المحسنات المغفور لها أم المحسنين والاميرة فاطمة هانم صاحبة الفضل الكبير على الجامعة المصرية والسيدة حفيظة هانم الالفية والسيدة الجليلة هدى هانم شعراوى وغيرهن وغيرهن من فضليات السيدات

الثانية - حث باقى الموسرين من أغنيائنا على الاقتداء بمن أحسنوا إلى مصر والمصريين . فان اقتدوا كنا لهم من الشاكرين وأن عندوا واستعندوا كان عليهم غضب الله فى الدنيا وفى الاخرة

أعرف مصريًا ورث عن ابيه ١٥٠ الف جنيه سندات مالية زادت قيمتها برواج سوقها فبلغت ٣٠٠ الف جنيه . و بسبب شحه وتقتيره على نفسه وعلى أهله اصبح رأسماله من نقود واوراق مالية يزيد على ٤٥٠ الف جنيه . يضاف إلى هذه الثروة الطائلة ما تركه له والده من أطيان وقد بلغت ٢٧٠٠ فدان من أجود أطيان القطر المصرى تكدس ايرادها وزاد سنة بعد سنة . فاصبح ماله فى البنوك يزيد على ثلاثة ارباع مليون جنيه . وعلى الرغم من هذه الثروة الضخمة فانه لم يدفع مليما واحداً لا فى سبيل الدفاع الوطنى ولا فى أى عمل خيرى

وما قولك دام فضلك فى مصريين آخرين أنفق أحدهما ٢٠ الف جنيه فى مدة

اصطيافه باحدى مدن فرنسا المعدنية . وأنفق ثانيهما ٤٠ الف جنيه فى مدينة معدنية اخرى . مات الاول ومات الثانى ولم ينفقا فى حياتهما من الأموال الضخمة التى ورثاها مليما واحداً فى تخفيف ويلات أخوانهم المصريين الذين عضهم الفقر وأضناهم المرض واقعدهم الهرم

فمن لنا بكاتب يضع لنا كتاباً « أو كتيباً » يذكر فيه أسماء المحسنين مع ترجمة وجيزة لحياتهم وبيان وجيز لاعمالهم يردفه ببيان اسماء كبار الموسرين الذين ضنوا على مصر وعلى المصريين بفلس من ثرواتهم الضخمة

(٢٧)

مصطفى كامل

ها ناحية غير معروفة من حياة مصطفى كامل أرويهـا هنا لأبين كيف ان مصطفى ما كاد يترعرع حتى غلغلت نفسه فى السياسة الى أن جعلها وقفاً على خدمة القضية المصرية

فى خلال سنة ١٨٨٩ كنا تلميذين فى المدرسة الخديوية بدرب الجماميز وكانت تربطنا مودة خالصة ألفت بين قلوبنا ووحدت ميولنا وآمالنا . وكانت أحاديثنا كلهـا تدور حول تحرير مصر من رباق الاحتلال وحول ما لمصر من حق فى تقرير مصيرها وفى تولى شؤونها بنفسها وفى انها أحق بالاستقلال من ولايات عثمانية كثيرة انسلخت عن تركيا واستقلت بادارة شؤونها مثل رومانيا وبلغاريا وصربيا واليونان بناء على ان مصر اكثر منهـا رجالاً وأوفر مالاً وأوسع أرضاً وسماءً . وما زال حديث مصر والسياسـة المصرية يعمل فى رؤوسنا وفى نفوسنا حتى استقر رأينا نهائياً على تأليف جمعية سياسية فى مصر انضم الينا فى تكوينها ثلاثة من اخواننا التلامذة عرفوا مبادئنا والغاية التى نعمل لها . وهؤلاء الثلاثة هم :

– اسماعيل فهمى بك المقيم الآن بشارع الفاطميين رقم ٧ بمصر الجديدة . وكان مدير ادارة الشياخات بوزارة الداخلية وأحيل إلى المعاش فى سنة ١٩٣١

– الاستاذ حسن عبد المعطى المحامى المقيم الآن فى الدرب الاحمر بشارع سعيد السعداء رقم ٧

– والمرحوم مصطفى ماهر (قال لنا انه يمت الى المرحوم عثمان باشا ماهر)

كنا خمسة . أعمارنا متقاربة وأنا أسنهم . ولدت سنة ١٨٧٣ وولد مصطفى فى سنة ١٨٧٤ والآخرون تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ١٥ سنة . تشايعنا نحن الخمسة على خدمة القضية المصرية . وكان مفروضاً على كل عضو منا أن يخطب فى مساء كل يوم

مصطفى كامل باشا

جمعة . كنا نخطب بالتناوب وكانت خطبنا كلها خطبًا حماسية نارية تشيد بفضائل الحرية والاستقلال

تأسست الجمعية واتخذت لها مركزاً منزل المرحوم محمود بك عبد المعطى من كبار تجار مصر (والد زميلنا الاستاذ حسن عبد المعطى) فى حوش قدم بين شارعى الغورية والمقادين بقسم الدرب الاحمر

عقدت الجمعية جلسات عدة وكانت الرياسة بالتناوب بيننا نحن الخمسة . الا انه فى إحدى الجلسات خطر ببالى أن أعرض على الجمعية اختيار مصطفى رئيساً بصفة دائمة . عرضت الرأى على الاعضاء فوافقوا عليه بالاجماع . ثم انتهزت الفرصة وعرضت تغيير اسم الجمعية من اسمها الأصلى الى اسم (الكمال) تيمناً باسم الرئيس مصطفى (كامل) فصادف الاقتراح هوى فى نفوس الاعضاء . ومن ذلك اليوم أصبح مصطفى رئيس الجمعية وأصبحت الجمعية مسماة باسمه

وفى يونيه سنة ١٨٩١ تقدمنا كلنا لامتحان البكالوريا فنجح معنا مصطفى وكان ترتيبه الثامن والعشرين من مائة وثمانية وعشرين

وفى اكتوبر سنة ١٨٩١ دخلنا مدرسة الحقوق . بقى فيها معنا مصطفى فترة من الزمان أنشأ فى خلالها مجلة « المدرسة » وكنت من محرريها . كتب على غلافها « يديرها ويحررها مصطفى كامل » كما كتب عليها « حباك مدرستك حبك أهلك ووطنك » . وكان من أثر ظهور مجلة « المدرسة » أن اقتدى به بعض الطلبة وأصدروا مجلات اسبوعية وشهرية مثل « الهدى » لصاحبها احمد افندى لطفى (المرحوم احمد بك لطفى نقيب المحامين) و « نديم » لاحمد افندى عبد اللطيف (المرحوم احمد بك عبد اللطيف من كبار المحامين) و « الشرائع » لأحمد افندى لطفى السيد (احمد باشا لطفى السيد مدير الجامعة) واسماعيل افندى الحكيم (اسماعيل بك الحكيم من رؤساء المحاكم الأهلية والآن بالمعاش) واشترك معهما فى تحريرها محمود افندى عبد الغفار (والد سعادة شمس الدين بك عبد الغفار مدير الشرقية) واسماعيل افندى صدقى (حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا) ومحمد عبد الهادى الجندى افندى (محمد عبد الهادى الجندى بك رئيس محكمة استئناف اسيوط سابقًا)

وفى سنة ١٨٩٣ سافر مصطفى الى فرنسا حيث تعرف بمسيو ديلونكل ومدام جوليت آدم وغيرهما من رجال السياسة والعلم والأدب . وفى سنة ١٨٩٤ نال اجازة الحقوق . ثم انطلق فى ميدان السياسة وطار صيته فى مصر وفى فرنسا وفى انجلترا وفى تركيا . ولما زار الاستانة فى سنة ١٨٩٩ ومثل بين يدى السلطان عبد الحميد انعم عليه برتبة الميرمران الرفيعة اعترافاً بمجهوده فى خدمة القضية المصرية

اشتهر مصطفى بسرعة الخاطر وكانت له بدائه بديعة فى الكلام و فى الاجابة . أذكر أن أستاذنا المرحوم محمد بك (سلطان) مدرس اللغة العربية سأله أن يضرب له مثالاً فى التورية . فأجابه مصطفى على البديهة « النوم سلطان » فضحك الحاضرون وهنأوا مصطفى . طلب اليه أن يأتى بمثال على الجناس التام . فأجابه من فوره « جبنا جبنا »

كان مصطفى خطيباً من أقدر رجال الخطابة باللغتين العربية والفرنساوية . شهد ذات يوم حفلة فى فندق الكونتنتال أقيمت لتكريم الاستاذ شكرى غانم لمناسبة تأليفه رواية « عنتر » التى وضعها باللغة الفرنساوية ومثلت فى دار الاوبرا بباريس وفى دار الاوبرا فى مصر . خطب فى الحفلة خطباء كثيرون وبعد أن انتهوا من الخطابة اشرأب مصطفى من بين الحاضرين وارتجل خطبة باللغة الفرنساوية استرعت أسماع الحاضرين الذين قابلوها بعاصفة من التصفيق . ولما انتهى رأيت يعقوب أرتين باشا رئيس نظارة المعارف ويوسف شكور باشا مدير بلدية الاسكندرية ينفذان حشود الناس . ولما وصلا الى مصطفى عانقاه وهنآه ، وسمعت أرتين باشا يقول لشكور باشا « كأننا نسمع ميرابو خطيب الثورة الفرنساوية »

وكان لمصطفى مركز ممتاز فى عالم الصحافة وفى عالم الأدب . بعد أن أصدر مجلة « المدرسة » فى خلال سنة ١٨٩١ أصدر جريدة « اللواء » فى سنة ١٩٠٠ ثم أصدر شقيقتين لها باللغة الفرنساوية واللغة الانجليزية . كما أصدر « مصر الفتاة » فى سنة ١٩٠٥ و « العالم الاسلامى » فى سنة ١٩٠٨ . وألف رواية « فتح الاندلس » . وصنف ثلاثة كتب فى التاريخ « الرق عند الرومان » و « الشمس المشرقة » يعنى اليابان و « المسألة الشرقية »

هذا ما تهيه ذاكرتى عن زميلى وصديقى مصطفى كامل أول مجاهد مصرى وأول زعيم للحركة الوطنية أنشره لمناسبة رفع الستار عن التمثال الذى أقيم له فى الميدان الذى سمى باسمه

ومن حسن المصادفات أن يناظر تمثاله مكتبى فتقع عليه عينى فى الصباح وفى المساء بعد أن تفرقت بنا الطرق اربعين سنة

قال جوته Gœthe فيلسوف المانيا الاكبر «لا عظيم فى الدنيا الا ما يدوم» وعظمة مصطفى فى دوام روح الوطنية التى نفخها فى المصريين . بدأها فى حياته ودامت بعد مماته

أسأل الله أن يسكنه جنة الخلد وأن يجمعنى به فى مستقر رحمته

(٢٨)

فى حرب المكسيك

ذكريات مجيدة للجيش المصرى

من يستقرىء كتب التاريخ يجد جميع الكتاب الافرنج يحسنون دائماً الشهادة فى الجندى المصرى ويذكرون ما أبداه من البسالة والاقدام فى جميع المعارك التى خاضها : فى روسيا وفى بلاد الموره وفى جزيرة كريت وفى فلسطين وفى سورية وفى الاناضول وفى بلاد العرب وفى السودان وفى بلاد المكسيك

وعلى ذكر حرب المكسيك أروى هنا ملخص التقرير الذى رفعه القائد الاكبر لمنطقة فيرا كروز Vera-Cruz الى الحكومة الفرنسوية وفيه يطرى فصيلة من الاورطة المصرية السودانية ويمتدح الشجاعة ورباطة الجأش والصبر والثبات التى أظهرها الجنود المصريون فى معركة ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ قال :

« فى الساعة السابعة من صباح يوم ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ برح قطار سكة الحديد محطة فيرا كروز قاصدا سولیداد Soledad وكان القطار بحراسة ١٤ جندياً منهم سبعة من بحارة جزر Antilles وسبعة من الاورطة السودانية المصرية وهم بخيت بدران عسكرى أول ورئيس الفصيلة وبلال حماد عسكرى ثان واوتوم سودان وابراهيم عبد الرحمن ومحمد عبد الله وعمر محمد ومحمد على . وكان القطار مؤلفاً من مركبات للمسافرين ومركبات للبضاعة وكان عدد المسافرين من غير الجنود ٤٠ منهم ليونس مدير سكة الحديد وفرانك باشمهندس سكة الحديد وليجييه Ligier رئيس اورطة فى الألاى الأجنبى والملازم اول شرر ثم الخورى سافالى كاهن سولیداد وعدة نساء وأطفال . وكان القطار قاصداً Tezeria بسرعة تتفاوت بين ١٥ و ١٦ كيلو متراً فى الساعة . ولما وصل القطار الى مكان يعرف باسم لوما Loma de la Revista لاحظ

السائق أن قضبان السكة الحديد منزوعة ولما لم يستطع وقف القطار فجأة انقلبت القاطرة وخرجت المركبات التى كانت فى المقدمة عن الخط . عندئذ أطلق الثوار عيارات نارية على المسافرين فجرح السائق وأحد المسافرين وهلعت قلوب الركاب وحاروا فى ما يفعلون . وبينما كان الكل فى خوف وهلع ووجل والنساء والاطفال يبكون ويولولون واذا بالمصريين السبعة سارعوا إلى بنادقهم وأسلحتهم وهدأوا روع الركاب ثم استعدوا للقتال . وعندما رأوا القومندان ليجيبه ينزل من القطار تبعوه ولما رأى القومندان انه من المستحيل صد هجوم العدو أمر الجنود الـ ١٤ بالهجوم على الربوة التى يحتلها الثوار ومنها كانوا يصلونهم ناراً حامية . إلا انه بسبب كثرة الاشجار ووعورة الأرض تعذر على الجنود الاستيلاء على الربوة وفى هذه الاثناء أصابت القومندان ليجيبه Ligier رصاصة أردته قتيلاً كما أصابت بلال حمد رصاصة فى رأسه القته صريعاً . فتقدم بخيت بدران وأوتوم سودان واندفعا فى المعمعة وحملا جثة القومندان كما حملا جثة زميلهما بلال ونقلاهما إلى القطار . بعد ذلك تولى الملازم شرر القيادة وأرسل رسلاً الى تيجريا Tejeria والى فيرا كروز Vera-Cruz يطلب النجدة . وكان فى تيجريا قوة من الجنود المصريين مؤلفة من ضابط و ٤٥ عسكرياً تحت قيادة الضابط رازو Razaud من الالاى الاجنبى . وبمجرد ما وصل اليه النبأ أسرع فى الحال مع القوة المصرية لنجدة الجماعة الذين كانوا فى لوما . إلا أن القتال كان لا يزال دائراً فى تيجريا . وكانت رماية الجنود المصريين محكمة جداً حتى ان الثوار المكسيكيين لم يستطيعوا صبراً على الوقوف امام المصريين وحاولوا مراراً أن يتركوا الربوة وينازلوا المصريين ولكنهم لم يفلحوا . وثبت ان اوتوم سودان وحده قتل اثنين من الثوار وهما يحملان عليه ويهمان بقتله

« وقد لبث القتال محتدماً ساعة وزيادة حتى أوشكت الذخائر أن تنفد . ومن حسن الحظ ان الثوار كفوا عن القتال فجأة . فظن الضابط شرر أن الثوار دبروا له حيلة إلا أنه ظهر أن حامية تيجريا أسرعت فى العودة فخاف الثوار أن يحدق بهم رجال النجدة ويقعوا بين نارين فولوا الادبار وانصرفت همة المقاتلين الى مساعدة الجرحى فنقلوهم إلى فيرا كروز ومنها إلى المستشفيات »

وقد ختم القائد تقريره بما يأتى :

« وأظهر المصريون السبعة فى هذه المعركة بأساً شديداً ورباطة جأش نادرة وكانوا جميعاً محل اعجاب الضباط والجنود الذين كانوا يقاتلون معهم ولا شك أن معظم فوزنا كان بسبب المقاومة البديعة التى أبداها المصريون ولا سيما أنه بحسب المعلومات التى اتصلت بنا فيما بعد كان عدد الثوار المكسيك يزيد على ٣٠٠ من مشاة وفرسان »

و بعد انتهاء هذه المعركة رقى بخيت بدران الى رتبة جاويش ، واوتوم سودان وابراهيم عبد الرحمن ومحمد عبد الله وعمر محمد إلى عساكر من الدرجة الاولى وطلب الانعام على بخيت بدران وأوتوم سودان بالمدالية العسكرية وتم الانعام بها عليهما فى أول مارس سنة ١٨٦٤ على يد القائد الاكبر للحملة العسكرية . (راجع نص هذا التقرير فى كتاب مصر واسماعيل باشا تأليف أميديه ساكريه ولويزا وتربون المطبوع فى باريس سنة ١٨٦٥ وموجودة نسخة منه بدار الكتب الملكية تحت نمرة ٣٧٩٣ قسم التاريخ)

أما حرب المكسيك فلها قصة :

ذلك أن أهل المكسيك كانوا قد أساءوا معاملة الاجانب الفرنسويين والاسبانيين والانكليز وكانوا ينتهزون أقل هياج فى البلاد لنهب أموالهم وسلب بضائعهم . فلما كثرت الشكوى اتفقت فرنسا وانكلترا واسبانيا على أن تشترك معاً فى محاربة مكسيكو وأمضى سفراؤهم فى لندره اتفاقاً - فى اكتوبر سنة ١٨٦١ - على القيام بعمل مشترك . وفى ديسمبر سنة ١٨٦١ احتلت أسبانيا مدينة فيراكروز وتولت انكلترا مراقبة شواطىء المكسيك باسطول قوى و بعد ذلك أرسل الامبراطور نابليون الثالث الاميرال جورين ومعه ٣٠٠ مقاتل لمحاربة أهل المكسيك . إلا أن رئيس جمهورية المكسيك جواريز تمكن بدهائه السياسى من الاتفاق مع الاسبانيين والانكليز فتخلوا عن فرنسا فاضطرت فرنسا الى إرسال نجدات جديدة الى المكسيك ولم تمض أشهر إلا دخل الجيش الفرنسوى مدينة مكسيكو Mexico عاصمة بلاد المكسيك وهو يهتف للامبراطور نابليون الثالث

ولانشاء حكومة جديدة فى بلاد المكسيك اجتمع أعيان المكسيك فى العاصمة وقبلوا اقتراح نابليون الثالث وهو أن يولى عليهم الارشيدوق مكسيمليان – شقيق فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا – وأوفدوا بالفعل وفداً لعرض عرش المكسيك على الارشيدوق فقبل وسافر بالفعل مع زوجته البرنسيس شارلوت واستوى على عرش المكسيك . ولما رأت فرنسا أن الامن استتب وان مكسيمليان اطمأن على عرشه سحبت جنودها من المكسيك . إلا أن جواريز وأنصاره انتهزوا فرصة انسحاب الجنود الفرنسوية وثاروا من جديد وتمكنوا بالحيلة والخديعة من أسر مكسيمليان وحاكموه فى مجلس عسكرى وحكموا عليه بالاعدام ونفذوا الحكم على الفور . وبهذا انهارت الامبراطورية الجديدة وانتهت المسألة بفشل فرنسا فشلا شنيعاً

واذا سأل سائل وما دخل مصر والمصريين فى حرب المكسيك ، نقول : حدث انه فى اثناء ما كانت الجنود الفرنسوية تحارب الثوار المكسيكيين فشت الامراض فى الفرنسويين وفتكت بهم فتكاً ذريعاً . لأن الفرنسويين لم يتحملوا حر بلاد المكسيك وتقلب الطقس فمات منهم عدد كبير . ففكر نابليون الثالث فى أن يستعين بالعساكر المصريين الذين اعتادوا حر مصر والسودان وطلب من سعيد باشا ان يرسل اليه اورطة فقبل سعيد باشا طلب الامبراطور نابليون الثالث وأرسل الاورطة السودانية – وكانت مؤلفة من ٤٥٠ جندياً – وقد سافرت من ميناء الاسكندرية فى ٢٣ فبراير سنة ١٨٦٣ وهناك اشتركت فى قتال لم يكن للمصريين ولا للسودانيين فيه ناقة ولا جمل .

---

(١) نشرت هذه الكلمة فى « المقطم » عدد ٢١ يونية سنة ١٩٣٢

معاجم اللغة الهيروغليفية

روت الصحف خبر تشرف جناب الاستاذ جرابو العالم الأثرى الالمانى بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك وتقديمه نسخة من معجم اللغة المصرية القديمة . وقال ان العالم الالمانى الشهير أدولف أرمان بدأ العمل فى هذا المعجم النفيس منذ خمس وثلاثين سنة. وان أرمان وجرابو تمكنا من نشر الجانب الاكبر منه فى خمسة أجزاء كبيرة تجمع ٢٨٠٠ صفحة تشتمل على نحو ٢٠٠٠٠ كلمة مصرية مكتوبة باللغة الهيروغليفية وموضحة توضيحاً مفصلا من حيث المعنى والاستعمال

وأقول أن للغة الهيروغليفية معاجم من قبل الفها علماء المانيون وفرنسويون وانكليز

منها معجم جغرافى لمصر القديمة Dictionnaire de l'Ancienne Egypte ظهر فى مدينة ليبزج بين سنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٨٠ للعالم الأثرى الالمانى الكبير هنرى بروجش Henri Brugsch

ومنها معجم للغة الهيروغليفية المصرية Egyptian Hieroglyphic Dictionary ظهر فى سنة ١٩٢٠ للعالم الأثرى الانكليزى السر واليس بدج Sir Wallis Budge

ومنها معجم لأسماء البلاد الموجودة فى الكتابات الهيروغليفية Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques ظهر فى ستة أجزاء فى خلال سنة ١٩٢٤ تأليف العالم الأثرى الفرنساوى هنرى جوتيه Henri Gauthier

ولعل أكبرها هذا المعجم الذى الفه العالمان الالمانيان ارمان Erman وجرابو Grapow واسماه Worterbuch der agyptischen Sprache وهو ما قدم العالم جرابو نسخة منه الى حضرة صاحب الجلالة الملك

وقد راجعت معجم المسيو جوتيه بأجزائه الستة فدهشت لسعة علم واطلاع هؤلاء العلماء الذين أفنوا أعمارهم فى خدمة التاريخ المصرى القديم . وانى أعتقد انه لا يمكن لمصرى أن يكوّن فكرة عن هذه الجهود العظيمة إلا إذا طالع معجماتهم ومؤلفاتهم وهى تعد بمئات

وقد شوقتنى مطالعة الكتب التى وضعت عن الآثار المصرية فى مصر وفى اوربا وفى اميركا الى القاء محاضرة أو محاضرات[1] فى قاعة المحامين وفى الجمعية الجغرافية وفى الجامعة الاميركية لأبين ما نهضت به الحكومات الأجنبية والجمعيات العلمية الانكليزية والفرنسوية والالمانية والبلجيكية والايطالية والنمسوية والاميركية من أعمال الحفر والتنقيب فى مصر وما نقلته الحكومات والجمعيات والقناصل وتجار الماديات والهواة من الآثار المصرية الى انكلترا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وايطاليا والنمسا واميركا وغيرها من البلدان وأبين إهمال مصر - حكومة وشعباً - فى صون الآثار المصرية فى مصر

حسب القارىء أن يعرف أن المتحف البريطانى بلندن وحده يحوى ٦٠٫٠٠٠ أثر مصرى قديم . هذا عدا ما فى متاحف المدن الانكليزية (مثل متحف اوكسفورد) من الآثار . وما فى قصور كبار الأغنياء الانكليز وهى تعد بآلاف . والمتاحف البلجيكية فى بروكسل تحوى وحدها ٦٦٣٠ أثراً عدا ما فى متاحف المدن البلجيكية الأخرى مثل جاند وانفرس . ناهيك بما يحويه متحف اللوفر ومتحف جميبه فى باريس وفيهما آثار مصرية لا يقل عددها عن ١٠٠٫٠٠٠ أثر . وفى متحف اللوفر مجموعة آثار جمعها ماريت باشا (قبل تعيينه مديراً لمصلحة الآثار المصرية) حوت ٧٠٠٠ أثر مصرى قديم استخرجها من سقارة والاقصر وهربها الى فرنسا بين سنتى ١٨٥١ و ١٨٥٧ ثم مجموعة مستر Salt وكان قنصلاً جنرالاً لانكلترا فى مصر تحوى ٤٠١٤ أثراً باعها فى سنه ١٨٢٦ الى حكومة فرنسا فى عهد ملكها شارل العاشر بمبلغ ١٠٫٠٠٠ جنيه ومتحف روما ومتحف تورينو بايطاليا يحويان آثاراً مصرية قديمة عظيمة الشأن

---

(١) لم الق هذه المحاضرات اكتفاء بوضع كتاب عن « الآثار المصرية » هو الآن تحت الطبع

ومن ضمن التحف الموجودة فى متحف تورينو مجموعة آثار مصرية جمعها مسيو دروفيتى وقد عينه نابليون قنصلاً جنرالاً لفرنسا فى مصر فى أيام ساكن الجنان محمد على باشا تحوى ٤٠٠٠ أثر اشتراها منه فى سنة ١٨٢٤ الملك شارل عمانويل الثالث ملك ايطاليا . وعدا ما فى متحف روما وتورينو فأن متاحف المدن الايطالية الكبيرة تحوى آثاراً مصرية عظيمة الشأن مثل متحف ميلانو ومتحف بولونيا ومتحف فلورانس ومتحف فينيسيا (البندقية) ومتحف باليرم ولا سيما متحف الڤاتيكان مقر البابا

أضف الى آثار هذه المتاحف متاحف برلين وفيينا ونيويورك واثينا وسان بطرسبرج وموسكو وعلى الخصوص متحف ليدن بهولاندا فان فيه آثاراً مصرية كثيرة

ولأهمية هذا الموضوع جمعت كل ما قرأته عن الآثار المصرية فى كتاب سأنشره قريباً إن شاء الله

للحقيقة والتاريخ

حول أسماء بعض البلاد

قرأت ما كتبه الاستاذ نسيب وهبه فى « الاهرام » تحت عنوان « مصر كما رآها هيرودوتوس » كما قرأت ما كتبه حضرة الاستاذ محمد رمزى بك تعليقاً عليها وتصحيحاً لاسم بلدين ورد ذكرهما فى مقالة حضرة الاستاذ وهبه . وانى أوافق تماماً على ما قاله الاستاذ رمزى بك وأقول بأن مدينة « كانوب » ليست هى مدينة « رشيد » كما قال الاستاذ وهبه بل هى بلدة « ابو قير » كما قال بحق الاستاذ رمزى بك

فرشيد اسمها مشتق من كلمة رشيت القبطية . وقد تأسست فى سنة ٨٧٠ محل مدينة قديمة اسمها (بولبيتين Bolbitine) كانت واقعة بين مدينة رشيد الحالية وجامع أبو منذور الذى يشرف على فرع النيل

أما « كانوب » فهى أبو قير الحالية . وأبو قير مشتقة من Abbakyr و Apakyr (Saint Cyr) ثم حرفت إلى Aboukir وكانت قبل تأسيس مدينة الاسكندرية حاضرة مديرية Ménélaite كما كانت أهم ميناء من موانىء الدلتا . ولما اسست مدينة الاسكندرية اختط دينوكرات Dinocrate -الذى وضع تخطيط مدينة الاسكندرية- شارعاً كبيراً فى الاسكندرية يتجه إلى أبى قير سمى شارع Rue Canopique عينه المغفور له محمود باشا الفلكى بأنه واقع محل باب شرق (شارع فؤاد الأول الآن)، وكانت أبو قير فى عهد ازدهار مدينة الاسكندرية بلدة زاهية زاهرة كثيرة الملاهى يقصدها أهل المجون والخلاعة وتجد وصف ملاهيها فى كتب سترابون Strabon وسينيك Sénèque ولوكان Lucain وجوفينال Juvénal

وقد عثروا فى أبى قير على تماثيل بديعة نقلت - من ضمن الآثار الكثيرة التى

نقلت إلى روما ولا تزال حتى الآن تزين متحف الفاتيكان (قسم الآثار المصرية القديمة)

ولأهالى أبى قير فضل تعمير الاسكندرية بعدما أسسها اسكندر الاكبر ، وأتم بناءها البطالسة الذين ولوا على مصر من بعده ، لأنهم هم الذين استوطنوها وعمروها فى بداية عهدها

واشتهرت أبو قير بمعابدها منها معبد سارابيس كان يحج اليه المرضى للتبرك ولطلب الشفاء ومعبد ايزيس ومعهد كانوب الذى طار صيته وعظم شأنه فى أوائل القرن الثالث عشر قبل المسيح فى عهد بطليموس الثانى و بطليموس الثالث وزوجته بيرينيس

وقد كان خليج أبى قير مرسى الاسطول المصرى فى عهد البطالسة

وأبو قير مشهورة فى التاريخ بحادثتين كبيرتين :

الاولى - هى المعركة البحرية التى وقعت فى أول اغسطس سنة ١٧٩٨ وفيها التحم الاسطول الانجليزى المعقود لواؤه للاميرال نلسون بالاسطول الفرنساوى الذى أقل الجيش الفرنساوى من فرنسا الى مصر تحت إمرة الجنرال بونابرت . وقد انتهت هذه المعركة بانتصار نلسون وتحطيم الاسطول الفرنساوى . ولا تزال حتى الآن بقايا الاسطول الفرنساوى راقدة فى قاع البحر . ولهذه المناسبة سميت الجزيرة الصغيرة الواقعة فى خليج أبى قير « جزيرة نلسون »

والثانية - هى المعركة الحربية البرية التى وقعت بين الجيش الفرنساوى تحت قيادة الجنرال بونابرت والجيش التركى الذى أرسله سلطان تركيا لطرد الفرنساويين من مصر وقد انتهت هذه المعركة بانتصار بونابرت على الجيش التركى انتصاراً كبيراً

هذا وقد أصاب الاستاذ محمد بك رمزى فى قوله بأن مدينة نقراطس Naucratis القديمة ليست هى مدينة « فوه » الحالية بل انها مدينة اندثرت وأطلالها واقعة الآن بناحية جعيف القريبة من جبارس مركز ايتاى البارود . وأزيد فأقول :

- ان نقراطس هذه كانت ثغراً مهماً واقعاً على شاطىء النيل عمره اليونانيون فى عهد أمازيس أحد فراعنة الأسرة السادسة والعشرين وكان عدد اليونانيين فيها يزيد باطراد حتى تغلب العنصر اليونانى على العنصر المصرى . و يقول هيرودوتس بأن

نقراطس هذه أصبحت مع الزمان مدينة يونانية بحتة لها معابدها الخاصة وعاداتها وأعيادها ومواسمها وأنظمتها الادارية والمالية المطبوعة بالطابع اليونانى . ومن نقراطس هذه اختار اسكندر المقدونى أول عامل له فى مصر إذ عين كليومينياس Cléoménas de Naucratis عاملا له على مصر وهو أول عامل يونانى حكم مصر فى عهد الاسكندر الاكبر

وكانت نقراطس الميناء الوحيد المفتوح للاجانب

وقد عثر المغفور له السلطان حسين فى مزارعه بجبارس على آثار تؤيد أن نقراطس هذه كانت بناحية جعيف

كما ان دانينوس باشا عثر فى سنة ١٨٩١ على آثار كثيرة فى منطقة كوم جعيف ترجح هذا القول أيضاً . وهذه الآثار موجودة حتى الآن فى المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية

ولعل وقوع نقراطس على فرع من فروع النيل العديدة التى كانت موجودة – واندثر بعضها مع مرور الزمان – هو الذى حدا ببعض المؤرخين إلى القول بأنها كانت واقعة محل مدينة فوه الواقعة هى أيضاً بجوار النيل

وكان يوجد فى متحف طنطا الأثرى جزء من جدول باسماء مديريات مصر فى عهد بطليموس عثر عليه فى كوم جعيف أيضاً . وبالنظر لعدم اقبال الناس على زيارة متحف طنطا الغى ونقلت آثاره إلى متحف مصر

ان جانباً كبيراً من تاريخ مصر القديم لا يزال مجهولا لنا نحن المصريين ولا توجد كتب عربية تحدثنا عن تاريخ مصر قبل ميلاد المسيح ومن بعده مباشرة . فحبذا لو عنيت وزارة المعارف بتأليف لجنة من المترجمين يترجمون ما كتبه مانيتون المصرى Manéthon وهيرودوتس Hérodote وديودور الصقلى Diodore de Sicile وسترابون Strabon وسينيك Sénéque ولوكين Lucain وجوفنال Juvénal وبلين Pline وتاسيت Tacite وديون Dion وهكاتيه دى ميليه Hecatet de Milet الذى زار مصر قبل هيرودوتس ، وغيرهم من قدماء المؤرخين الذين جاسوا خلال مصر ووصفوا حالتها وما كانت عليه من حضارة وثقافة سطعت أنوارها فى المشرق والمغرب .

(٣١)

أتاتورك

رجل كان أمة فى نفسه . أخرج من نفسه أمة حية فتية غنية قوية

رجل فعال لا قوال . عمل فى خمس عشرة سنة ما لم يعمله سلاطين آل عثمان فى خمسة قرون . كان يعمل عمل سنة فى يوم . وعمل يوم فى ساعة . وعمل ساعة فى لحظة.

جعل شعاره « تركيا للترك » وسياسته « بالتركى وللتركى »

استمد قوته من ايمانه بالله ، ومن ايمانه بنفسه ، ومن ايمانه بوطنه

تاريخ أتاتورك هو تاريخ تركيا الحديثة . أحياها بعدما ماتت . ومات بعدما أحياها

بنى وغيره هدم . خدم وطنه وغيره خدم نفسه . فرّق ماله وغيره جمع . جمع كلمة الترك وغيره فرّق

تولاه الرحمن برحمته .

obeikandl.com

اتاتورك

obeikandl.com

ذكريات تركية

تسألنى عن ذكرياتى التركية فأروى لك منها ستة :

أولاً — فى يناير سنة ١٩٠٩ تسلمت تلغرافاً من محمود مختار باشا يقول لى فيه بأن فخامة كامل باشا الصدر الأعظم أرسل رسولاً من قبله ليستولى على جميع أوراق والده الغازى مختار باشا الموجودة فى القوميسارية العثمانية وطلب منى عمل الاجراءات اللازمة لمنعه من الاستيلاء على الصناديق والمكاتب الموجودة بسراى الاسماعيلية وعلى ما فيها من أوراق ومستندات بعضها خاص به والبعض الآخر خاص بعائلته . وفهمت ان من ضمن أوراقه الخصوصية تقارير سرية بعضها خاص بأعضاء لجنة الاتحاد والترقى و بعضها خاص بذى مقام كبير فى مصر وانه اذا وضع الصدر الاعظم يده عليها استطاع أن يفشى أسراراً تضر بأناس كثيرين . ففكرت فى الامر وقصدت فى الحال رئيس محكمة مصر وطلبت منه أن يأذن لى فى توقيع الحجز على هذه الاوراق. و بعد الأخذ والرد وتبادل الرأى مع بعض كبار الدولة أذن لى فى توقيع الحجز . وفى نفس اليوم قصدت سراى الاسماعيلية حيث كان مقر القوميسارية العثمانية فوجدت نورى بك سكرتير القوميسارية جالساً مع ضابط تركى فبلغته بأنى تلقيت تعليمات من موكلى الغازى مختار باشا باستلام جميع أوراقه الخصوصية . فردّ علىّ قائلاً بأن الصدر الاعظم أرسل الكولونيل خالد بك - وأشار اليه - ليتسلم هذه الاوراق وانه سلمها اليه بالفعل . فأردت أن أتفاهم مع الكولونيل خالد بك ليرفع يده عن هذه الاوراق فرفض رفضاً باتاً وقال بأنه موفد من قبل الصدر الاعظم لتنفيذ مأمورية رسمية وانه سينفذها حتماً بالرغم من جميع العراقيل التى يمكن أن تواجهه . ثم وضع يده على سيفه ليفهمنى بأنه عسكرى وان العسكرى لا يخشى إلا رئيسه ومولاه . فلما أفهمته بأننا فى مصر لا فى تركيا وان قوانيننا تحمى كل شخص يعتدى على نفسه وعلى ماله وان القوة هنا لا تحمى

صاحبها انتهى الى القول بأنه لا يسلم الصناديق والاوراق إلا إذا استحضرت أمراً أو قراراً أو حكماً من القضاء . فأبرزت له فى الحال الأمر الصادر من رئيس محكمة مصر بتوقيع الحجز وطلبت اليه أن يذعن له . فرفض . ولما يئست من اقناعه واستمالته استدعيت المحضر الذى كنت تركته فى مركبة مع ضابط واثنين من عساكر البوليس وكلفته بتوقيع الحجز حالا. فلما رأى خالد بك المحضر والضابط والعسكريين أذعن وتوقع الحجز بالفعل وأوقف تسفير الصناديق الى الاستانة . عارض نورى بك فى أمر الحجز بناء على أمر الكولونل خالد بك ولكن قبل المرافعة فى التظلم من أمر الحجز تلقيت خطاباً من الغازى مختار باشا يقول لى فيه بأنه تصالح مع كامل باشا إذ اتفقا على ان الصناديق تنقل الى الاستانة ليصير فرزها فيستلم مختار باشا الاوراق التى تخصه و يستلم كامل باشا الاوراق التى تخص الدولة . فحررت محضر صلح وقعت عليه عن الغازى ووقع عليه الكولونيل خالد بك ونورى بك وشوقى باشا وبهاء الدين بك وحضرة الاستاذ محمود بك فهمى حسين الذى ترافع عن نورى بك

ولعل هذه القضية هى الوحيدة من نوعها فى مصر. إذ لم تجر العادة بتوقيع حجوزات على قنصليات ومفوضيات فما بالك بتوقيع الحجز على أوراق القوميسارية العثمانية

ثانياً – فى سبتمبر سنة ١٩١٠ كنت بدار السعادة فدعانى المغفور له الامير سعيد باشا حليم دعانى لتناول العشاء فى سرايه بينى كوى معه ومع بعض كبار رجال الدولة. وفى اثناء تناول العشاء سألنى عما استوقف نظرى فى حالة الاستانة فقلت له انى مندهش جداً من اهمال الحكومة عمل الاصلاحات اللازمة فيها مثل انشاء شوارع جديدة وعمل ميادين عمومية و بناء أرصفة على البسفور وعمل أعمال من شأنها تحسين المدينة وتسهيل طرق المواصلات بين أقسام دار السعادة المتباعدة الاطراف . فأجابنى بأن المشروعات المعروضة كثيرة جداً ولكن يعوزها المال والمال يكاد يكون فى حكم العدم . فقلت له وما رأيك إذا كنت أدلك على طريقة تضمن للحكومة تنفيذ جميع المشروعات مجاناً لوجه الله الكريم . فأحدق فىّ الامير وقال لى : أجد ما تقول ؟ قلت نعم. فقال وما هى الطريقة ؟– قلت ان الطريقة معروفة ومتبعة فى بلجيكا وسويسرا

واسبانيا . وجدت الحكومات فيها سهولة وسرعة فى تنفيذ مشروعات التنظيم العظيمة ولم تجد من العمل بها شكوى من أحد وآنست بالعكس من السكان ميلاً عظيماً لتأييدها . ذلك ان الحكومة إذا أرادت انشاء شارع فبدلا من أن تنزع ملكية أرض عرضها عشرون متراً تنزع ملكية أرض عرضها أربعون متراً . عشرون للشارع وعشرون لها (عشرة أمتار من كل جانب) فالعشرون الاولى تخصص للشارع وتدفع الحكومة ثمنها بحسب قيمتها وقت نزع الملكية والعشرون متراً الأخرى تهدم الحكومة المبانى القائمة عليها ثم تبيع أرضها للأهالى على أن تعطى الاولوية فى البيع الى صاحبها الأصلى . وقد دل الاختبار على ان ثمن العشرين متراً الزائدة التى تنزع الحكومة ملكيتها تزيد قيمتها أضعافاً مضاعفة بعد انشاء الشارع الجديد والفرق بين الثمن الذى تدفعه الحكومة والثمن الذى تباع به يسدد تكاليف فتح الشارع الذى تخصصه الحكومة للمنفعة العامة

سمع الأمير هذا فأعجب به وطلب منى أن أكتب مقالة لجريدة « طنين » فقمت على الفور إلى مكتبه وحررت رسالة باللغة الفرنساوية دفعها الأمير إلى أحد الكتاب الترك فنقلها الى اللغة التركية ونشرتها جريدة «طنين» فى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٠ فاهتمت صحف الاستانة بهذه المقالة كما اهتم بها وزير النافعة وكتب رجال القانون فى تركيا محبذين الفكرة . وبعد يومين دعانى وزير النافعة لمقابلته لأبسط له رأيى شفاهاً ولكنى اعتذرت لأن اليوم الذى عينه كان يوم سفرى من دار السعادة الى مصر

أما المقالة فها هى بنصها وفصها :

« اتصل بى ان وزارة العدلية ووزارة النافعة تدرسان التعديلات التى يراد ادخالها على قانون نزع الملكية للمنافع العمومية لتسهيل تنفيذ المشروعات العظيمة التى تنوى الحكومة الشاهانية اجراءها فى الاستانة وفى مدن تركيا الكبرى

« يروع الحكومة بهظ التعويضات الواجب عدلا وقانوناً دفعها الى أصحاب الاملاك المراد نزع ملكيتها منهم فتحجم عن تنفيذ المشروعات النافعة والمشروعات الحيوية للبلاد . وما دامت الحكومة العثمانية تشتغل الآن بدرس هذه المسألة فليسمح لى وزير العدلية ووزير النافعة بأن الفت أنظارهما بكلمات وجيزة إلى الطريقة المتبعة فى

بعض ممالك اوروبا وفيها تجد الحكومات تيسيراً كبيراً لتنفيذ مثل هذه المشروعات بسرعة وبشيء من التوسع وبلا نفقة أو بشيء قليل منها . والطريقة التي أشير اليها متبعة في بلجيكا وسويسرا واسبانيا ويمكن تلخيصها في الكلمات الآتية : نفرض أن الحكومة تريد فتح شارع في وسط حي من أحياء المدينة فبدلاً من أن تنزع ملكية المقدار اللازم لانشاء الشارع تنزع الأرض الملاصقة لجانبي الشارع بعرض عشرة أمتار أو خمسة عشر متراً أو عشرين متراً وبعدما تنزع ملكيتها وتستولي عليها تعود — بعد انشاء الشارع — فتبيعها مجزأة الى الاهالي وتعطي لأصحابها الأصليين حق الأولوية في ابتياعها . فقيمة الأرض التي تكون قد أخذتها الحكومة من الاهالي للمنافع العمومية تزيد بعد ذلك فتبلغ الضعف وزيادة . فاذا باعتها استردت من هذه الزيادة مبلغ التعويضات التي تكون قد دفعتها الى أرباب الأملاك ونالت علاوة عليها نفقات فتح الشارع كلها أو بعضها . وهذه الطريقة لا غبن فيها على أحد . لأن أرباب الاملاك المنزوعة ملكيتهم يقبضون ثمن ملكهم مقدماً قبل تنفيذ المشروع بدون أن يخسروا شيئاً ما . وأهل البلد يكسبون فتح الشارع وما يتبع فتحه من سهولة المواصلات وتحسين منظر المدينة وتحسين مرافقها الصحية وتنظيم حي من أحياء المدينة . ولها مزايا جمة أخرى :

— منها انها تمكن الحكومة من تنفيذ المشروعات العامة بدون أن تظلم أحداً

— وتمكنها من تنفيذها بسرعة وبلا عوض وبشيء من التوسع

— وتسهل تنظيم المدن والموانى تنظيماً جديداً بانشاء الشوارع والميادين والارصفة وغيرها على أحدث طراز وأكمل هندام

« وها فرنسا تشتغل الآن بتعديل قانونها الخاص بنزع ملكية الافراد للمنافع العمومية مقتبسة أحكام ونصوص القوانين البلجيكية والسويسرية والاسبانية وقد عرض بالفعل على مسيو ميلران وزير الاشغال العمومية مشروع بهذا المعنى واللجنة التي نيط بها درسه بحثت هذا المشروع ووافقت عليه بالاجماع

« فجدا لو أمرت الحكومة الشاهانية السلطانية بتأليف لجنة لدرس هذه المسألة

وحبذا لو طبقت مثل هذه الأحكام فى تركيا لتستفيد البلاد من المشروعات الكبيرة الموقوف تنفيذها الآن على تدبير المال »

وقد عملت تركيا بهذه الفكرة وبعد بضع سنين عملت بها مصر عندما عدلت قانون نزع الملكية

ثالثاً – فى سنة ١٩٠٩ مر بمصر حضرة نجم الدين بك موللا وكانت الدولة العثمانية عينته والياً لبغداد . جاء إلى مصر ليدرس بعض الأنظمة القضائية والادارية فاتصل بى طول مدة اقامته فى مصر . وكنت أشرح له النظام القضائى والنظام الادارى فيها . وبعد أن ظل والياً على بغداد عدة شهور عين وزيراً للعدلية وتصادف انى كنت فى الاستانة وكان نجم الدين بك ينوب عن الصدر الاعظم حقى باشا مدة طوافه فى عواصم اوروبا لمباحثة رجال السياسة فى شؤون الدولة العلية . ولما علم نجم الدين بك بوجودى فى الاستانة دعانى للاتصال به يومياً فى الصدارة وفى وزارة العدلية والعمل معه . وأخيراً عرضت علىّ حكومة تركيا أن تعينى مستشاراً قضائياً بعقد لمدة ثلاث سنوات وذكرت الجرائد المصرية هذا الخبر وعلقت عليه . ولكنى اعتذرت عن عدم قبول هذا المنصب السامى وعرضت أن أشتغل ثلاثة أشهر أو أربعة فى صيف كل سنة على أن يكون عملى مجاناً لوجه الله . إلا أن الاحوال السياسية تقلبت بسرعة فى تركيا فلم تنفذ الفكرة

رابعاً – كنت فى الاستانة فى صيف سنة ١٩٠٩ واذا بدعوة من المغفور له محمود مختار باشا يدعونى فيها إلى تناول الطعام فى سرايه على الضفة الاسيوية فذهبت ليلاً وكانت السراى ببستانها الواسع تتلألأ بالأنوار . وكان من ضمن المدعوين المارشال فوندر جولتز واثنان من أركان الحرب وبعض وزراء الدولة . وان أنسَ فلا أنس روعة هذه الليلة وما تخللها من أحاديث فى السياسة وفى غير السياسة مع كبار رجال الدولة

خامساً – وفى هذه السنة نفسها دعيت لتناول العشاء فى سراى يلدز احتفالاً بانقضاء عام على الدستور وكان المدعوون يزيدون على الالف انقسموا قسمين : قسماً تحت رياسة الصدر الاعظم سعيد كجوك كان فيه الجنرال شوكت باشا الشهير

والبرنس سعيد حليم وكثير من الوزراء والسفراء وعظماء الدولة . وقسماً رأسه احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان وكان من حظى أن كنت على مائدته وكان معنا الداماد فريد باشا وشريف مكة وبطريرك الاروام ووزير المعارف وأعضاء حزب الاتحاد والترقى . وبعد تناول العشاء على نغمات موسيقى السلطان عبد الحميد نزلنا الى البسفور وكان يتلألأ بالأنوار من أوله إلى آخره وكان المنظر بديعاً جداً . وقد أجمعت الآراء على ان أهالى الاستانة لم يروا البسفور فى ليلة أبهج من هذه الليلة لا فى عهد سلاطين آل عثمان ولا فى عهد من سبقهم من الاباطرة

سادساً – كنت تتبعت الحركة التى سرت فى فرنسا وايطاليا والمانيا وانجلترا خاصة بتربية الناشئة فى مدة الاجازات الصيفية . ومقتضاها أن ترسل فرنسا مثلاً أولادها وبناتها الى المانيا وترسل المانيا أولادها وبناتها إلى فرنسا . وتتبادل ايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا الاولاد والبنات فى مدة الاجازات تحت اشراف الحكومات المختلفة فيقيمون وسط العائلات الاجنبية حيث يقتبسون منها أخلاقها وآدابها وعاداتها وتعاليمها . وهكذا يقضى آلاف الشبان والشابات مدة الصيف بدون أن يكلفوا أهلهم شيئاً . فأردت أن أبث هذه الفكرة فى مصر على أن تكون تركيا هى التى تتبادل مع مصر أولادها وبناتها ودللت على مزايا هذا التبادل بما عرف عن العائلات التركية من متانة الاخلاق ومن الآداب العالية وقلت ان مصر إذا اتبعت هذه السياسة فى تربية أبنائها وبناتها استفادت كثيراً . فقام جدل كبير جداً فى الجرائد حول هذه الفكرة بين مستحسن ومستهجن . ولو ان الفكرة لم تنفذ لتوتر العلاقات بين مصر وتركيا فى ذلك الوقت إلا أن الفكرة نبتت وسرت وذهب كثير من المصريين إلى تركيا حيث صاهروا عائلات تركية كثيرة وتوثقت عرى المودة والمصاهرة بين الأسر المصرية والأسر التركية .

(٢٣)

محاضرة عن مصر

فى باريس

روت « الاهرام » الغراء أن حضرة صاحب المعالى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض فى باريس القى محاضرة عن مصر فى الاكاديمية السياسية الدولية فى باريس أمام جمع غفير من كبار رجال السياسة وسفراء الدول واصحاب الحيثيات الرفيعة قال فيها أنه فى يوم ٢٨ يوليه سنة ١٧٩٨ وصل بونابرت الى الاسكندرية على رأس حملة مرسلة إلى مصر

والحقيقة أن حملة بونابرت وصلت تجاه ثغر الاسكندرية فى يوم أول يوليه سنة ١٧٩٨ (لا يوم ٢٨ يوليه) لأن الحملة ابحرت من ثغر طولون (بفرنسا) يوم ١٩ مايو وفى أثناء اجتيازها البحر الابيض أستولت على جزيرة مالطة . و بعد ١٣ يوماً من مغادرتها مالطة و بعد ٤٣ يوماً من سفرها من فرنسا – وصلت تجاه الاسكندرية يوم أول يوليه ، و بعد ثمانى واربعين ساعة زحف الجيش الفرنساوى قاصداً الاسكندرية فاستولى عليها ولما أستتب له الأمر سار إلى الرحمانية ولما وصل الى شبراريس (بجوار شبراخيت) التقى فى يوم ١٤ يوليه بقوة كبيرة للمماليك فشتت شملها ، ثم واصل سيره إلى مصر ، وفى يوم ٢١ يوليه التقى بجوار امبابه بفرسان المماليك بقيادة مراد بك وابراهيم بك وكان عددهم يتراوح بين ٨ الاف و ١٠ الاف فارس من أشجع ومن ابرع فرسان العالم . دارت حرب ضروس بين الجيشين انتهت بانتصار جيش بونابرت انتصاراً تاماً ، ففر مراد بك إلى الوجه القبلى وانطلق ابراهيم بك إلى سوريا وخلا الجو لبونابرت وعسكره ، وأقاموا فى الجيزة يومين وفى ٢٤ يوليه دخل القاهرة واحتل سراى محمد الفى بك بالازبكية (حيث يوجد الان شارع الفي بك)

أنى أعتقد أن الخطأ لم يقع من المحاضر وانما وقع من الناقل .

حرب مصر والحبشـــة

حضرة الاستاذ « الصحافى العجوز »

نشرتم فى « الاهرام » كلمة أرسلها اليكم أديب من الجيزة يقول فيها حكاية عن سبب الحرب التى دارت رحاها بين مصر والحبشة فى خلال سنتى ١٨٧٥ و ١٨٧٦ :

« وقديماً وعيت شيئاً من أحاديث ومذكرات الاستاذ المرحوم اسماعيل رأفت بك استاذ الجغرافيا وعلم وصف الشعوب بالجامعة المصرية الحرة والعميد فيها فى آخر أيام حياته رحمه الله . وكان حجة فى كثير من شرح الغامض وما التبس فيه الأمر وأنا أذكر اليوم شيئاً مما ورثناه من تلك الطائفة المباركة والتى يبخل الدهر الآن بمثلها

« عندما أقام الخديوى اسماعيل الاحتفال بفتح قناة السويس ومثل فى الاوبرا رواية « عائدة » التى حضرتها الملكة - كذا - اوجينى سرّ الخديوى سروراً عظيماً من وقائع هذه الرواية لا سيما الفصل الذى وقعت فيه بنت ملك الحبشة أسيرة وأظهر سروره هذا لبعض الحاضرين

« وزين له هذا البعض أن تحقيق هذه الرواية ميسور وفى الامكان بأن يصدر أمره ويجرد تجريدة تذهب الى بلاد الحبشة فتحاربها وتأتى ببنت الملك أسيرة وبذلك تصبح الرواية حقيقة لا خيـالاً

« وسر الخديوى من هذه الفكرة وأمر فى الحال بالتعبئة وأرسل ابنه على رأس الجيش وهو الامير حسن باشا . . . . . »

ويظهر ان ذاكرة حضرة الكاتب قد خانته وانه لم يع تماماً أحاديث ومذكرات المرحوم اسماعيل رأفت بك . بدليل ان الرواية التى مثلت فى الاوبرا بحضور الامبراطورة اوجينى والخديو اسماعيل ما كانت « عائدة » كما يقول الكاتب وانما كانت رواية

« ريجولتو » التى مثلت فى أول نوفمبر سنة ١٨٦٩ قبل حفلة افتتاح قنال السويس باسبوعين . أما رواية «عائدة » التى مثلت أسر بنت ملك الحبشة فقد مثلت بعد حفلة افتتاح قنال السويس بسنتين و بعد سقوط نابليون الثالث زوج الامبراطورة اوجينى فى أثر اندحار الجيش الفرنساوى فى حرب سنة ١٨٧٠ . اذن الرواية التى رواها الكاتب فى رسالته بعيدة عن الحقيقة

ثم انه من غير المعقول أن يطوح الخديو اسماعيل بجيشه و ببلاده و بابنه و بأمواله فى حرب مع بلاد الحبشة لمجرد ان «زين له بعض الحاضرين فى دار الاوبرا ان تحقيق هذه الرواية ميسور وانه فى امكانه بأن يصدر أمره و يجرد تجريدة تذهب إلى بلاد الحبشة تحاربها وتأتى ببنت الملك أسيرة و بذلك تصبح الرواية حقيقة لا خيالا »

و يظهر ان هذا الكاتب الظريف أراد مزج هزل الرواية بجد التاريخ فأضاف من عنديا ته رواية خيالية الى رواية « عائده » الخيالية .

(٣٥)

نظرة فى كتاب « رسائل سائر »

لمؤلفه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية

لى على هذا الكتاب ثلاث كلمات :

الكلمة الاولى [1]

لا يكفى أن يكون القاضى ملمًا بالعلوم القانونية أو بالعلوم الشرعية ليكون قاضيًا باسمى معانى الكلمة بل يجب أن تتوافر فيه مؤهلات اخرى اذا ضمت إلى مؤهلاته القانونية والشرعية كان مثال القاضى الذى يليق أن يستوى على منصة القضاء ليحكم بين الناس بالعدل

تعرض على القاضى خصومات ومنازعات لا يكفى العلم بالقانون أو بالشرع للحكم فيها حكما صحيحًا بل يجب أن يكون القاضى دارسًا أخلاق الناس وأحوالهم وعاداتهم ملمًا بعرف البلد الذى يعيشون فيه ليقدر الدعوى والخصوم تقديراً صحيحًا . ألم يقولوا أن المفتى لا ينبغى له أن يفتى الا إذا عرف عادات أهل البلد وعرفهم ؟ كذلك القاضى لا يكون قاضيًا صحيحًا إلا اذا عرف عادات أهل البلد وعرفهم . ولا يمكن أن يعرف عادات أهل البلد وعرفهم الا اذا عرف تاريخ البلد وتاريخ أهل البلد وسار فى طول البلاد وعرضها وعاشر الخواص منهم والعوام وعرف ما عليه الزارع والتاجر والصانع والعامل والخادم من أخلاق وعادات ووسع علمه أخلاق الرجال والنساء والاولاد والبنات . وعرف مافى البلد من شتى الاديان والمذاهب والملل والنحل . وألم بشىء من شرائع وقوانين وعادات الطوائف التى تعيش فى البلد حتى إذا ما عرض عليه نزاع خاص بعلاقات افراد هذه الطوائف كان عالمًا بما يدينون

والقاضى لا يستكمل اسمى صفات القضاء الا اذا أضاف إلى العلوم القانونية أو

---

(١) — نشرت في « المقطم » عدد ٣ سنة ١٩٣٤

العلوم الشرعية علوماً أخرى مثل التاريخ والادب والفلسفة والرياضيات . أنظر إلى ما كان عليه القضاء فى عصر العباسيين و فى عهد الفاطميين — وخصوصاً في النصف الثانى من العهد الفاطمى المجيد وهو العصر الذى انعقدت لهم فيه زعامة الشعر والكتابة — أنك لو قارنت بين مكانة رجال القضاء عندنا فى الادب فى أوائل القرن التاسع عشر ومكانة القضاة فى عهد العباسيين أو فى عصر الفاطميين لوجدت بعداً كبيراً لا يدانيه الا بعد الارض عن السماء . كانت الثقافة الادبية والفقهية فى عهد العباسيين وفى عهد الفاطميين راقية جداً . أئمة الفقه كانوا فى الوقت نفسه أئمة الادب . بعضهم كان يجمع بين الفقه والادب والرياضيات . وفى الاندلس كان قاضى القضاة مهندساً رياضياً . وأمام الجامع الاعظم كان مهندساً . ومنهم من كان قاضياً ومؤرخاً . ومنهم من نبغ فى الفقه والفلسفة معاً مثل القاضى الرشيد الذى كان أوحد عصره فى علم الهندسة وفى الرياضيات والعلوم الشرعيات وفى الآداب والشعريات . ولا يخفى أن القاضى اذا جمع بين الفقه والادب كان قضاؤه أصح ورأيه أسد على حد قول من قال « الادب وحده هو الذى يطبع القاضى على صفاء النفس . وسمو الروح . ورقة الطبع . وسماحة الذوق . وصدق الحس . ويقظة الوجدان . وأنتباهة الضمير . ولمحة الخاطر . وحسن التقدير . وروعة النطق . وحسم الدليل » هذا إذا جمع القاضى بين الفقه والادب . فما بالك إذا أضاف اليهما التاريخ والفلسفة والرياضيات

ومن متممات مؤهلات القاضى السياحة . اذ السياحة تزيد السائح علماً وخبرة باحوال الناس الذين يسير فى بلادهم . فاذا عرفها قارن . و بالمقارنة يكمل علمه و ينضج رأيه القاضى الذى تكون معلوماته مقصورة على العلوم القانونية أو العلوم الشرعية يرى بعينى رأسه أما القاضى الذى يجمع بين الفقه والادب والتاريخ والفلسفة والقاضى الذى يكون قد سار فى الارض ومشى فى مناكبها وفكر فى صنع الله وفى آياته فيرى بعين عقله و بعين قلبه و يكون حكمه أسد وأصح

مر كل هذا فى ذهنى بعد ما فرغت من قراءة « رسائل سائر » التى أستودعها هذا الفقيه الكبير كثيراً من الادب والتاريخ والفلسفة . واستودعها مشاهداته فى البلاد التى سار فيها وملاحظاته ومقارناته . يجد الكثير منها فى كل فصل من فصول كتابه

بل فى كل صحيفة من صحف كتابه . لانه سـاح فى بلاد العرب وفى بلاد اليونان وفى فلسطين وفى سوريا وسار فيها كلها باحثًا دارسًا راويا كاتبًا منقبًا مشاهداً مدونًا مؤرخًا

الكلمة الثانية

ضرب المؤلف للشرقيين على وجه العموم وللمصريين على وجه الخصوص ولمن اعتاد منهم السفر إلى خارج القطر على وجـه أخص وللمتعلمين والمتأدبين منهم على أخص الاخص مثلا طيبًا فى كتابة مشـاهداته وطبعها ونشرها « خدمة لوطنه وتحقيقًا لمعنى السياحة التى حث الله عليها عباده المؤمنين »

الغربى سبق الشرقى فى هذا الميدان . قل أن نجد سائحًا أوروبيًا يزور بلاد الشرق الادنى أو بلاد الشرق الاقصى لا يكتب ما يراه . وإذا كتب لا يكتب إلا بعد أن ينظر ويدرس ويحقق ويدقق ما يرى وما يسمع ليستفيد ويفيد

قال المؤلف عن رسائله أن القراء سيجدون فيها « مواضـع للعبرة وعظات بالمقارنة وتوضيح حقائق جلتها لى المشاهدة وأفادنيها السـير فى الارض حملتنى على مراجعة التاريخ ومقابلة الروايات واستخلاص لب الحق من غلق الاوهام » أما السائح منا فانه يسافر ويعود إلى بلاده ثم « يطوى فى جوف القـبرطى القفة من الخوص . ما خلف أثراً ولا ترك شـاهداً وقريباً من طيه تطوى العيون التى شاهدت جسده ونظرت حياته فمن بعدها لا يسمع عنه سامع ولا يدرى بخبره حى »

والـكتاب مفعم بالعظات والعبر لان المؤلف كاتب اجتماعى « كل همـه فى هذه الحياة أن يحمل قومه على انتهاج المثل الاعلى فى الحياة وأن يستمتعوا فيها باوفر قسط يحصل لهم حظهم من الدنيا من غير أن ينسوا نصيبهم فى الاخرة »

أنقل لك ثلاث ملاحظات فيها ثلاث مقارنات فى كل واحدة عظة وعبرة :

- بيَّن فى الاولى نظام الطرق فى لبنان وفوضى الطرق فى مصر قال « هل كان يخطر بالبال أن تلف الجبل بالاتوموبيل على طريق معوج ملتو صـاعد هابط يمر على منتشر بيوته وقراه فاذا بالطريق كله معبـد مقير . واذا بالدور كلها نظيفة ظريفة .

واذا بالقرى كلها مضاءة بالكهرباء . مجرور إلى غرفها وصحونها الماء . واذا برجالها ونسائها وأطفالها لا تقع العين منهم إلا على مشرق نظيف . ليت الفلاح المصرى يذهب مرة إلى الجبل ليرى المشقة والجهد فى الانتفاع بأرض ذلك الجبل . فعلى انحدار الجبل تقوم حوائط بالحجر كل حائط يحفظ الطين بشريط من الارض قد يضيق حتى يكون خطوة ثم تتدرج الحوائط هكذا بأشرطة الطين إلى قعر الوادى . والشجر والزرع منتثر فى هذه الاشرطة بنظام ونظافة كأنها طيات ذيل الفستان » الى أن قال « ركبنا الاتومو بيل من حلب الى بيروت نحو ١٣ ساعة فى طريق معبد . أكثر من نصفه مكدم مقطرن . ولا يجىء الصيف المقبل حتى يكمل باقيه . وهنا نرى طرق مصر الزراعية كلها مصائب فى السفر . هذا طريق مصر والاسكندرية بعد أن تخرج من شبرا لا تكاد تجد مكداماً . ويسافر المسافرون فى الطريق عندنا وكأنهم فى سرادق من العثير مضروب عليهم لا يرفعونه حتى يصلوا . لست أنعى على الغبار والعثير فقط ولكن الطرق الزراعية التى تعد طرقاً يتقابل فيها السابلة وتوصل البلاد بالعجلة والاتومو بيل كما هو عند غيرنا تكاد فى مصر تلحق بالعدم » ثم انتقل إلى ما يصيب المصرى من كثرة الغبار والعثير من العمى والحول والعور والرمد الحبيبى الذى يسميه أطباء العالم الرمد الصديدى المصرى . لا أدرى إن كانت كلماته هذه وصلت إلى آذان أولى الأمر منا على وجه العموم والى رجال مصلحة الصحة على وجه الخصوص . أشك جداً انهم قرأوها . لأن أمراض العيون فى مصر تزيد زيادة مطردة فى كل سنة . بلغ عدد المرضى بعيونهم الذين قيدتهم دفاتر المستشفيات الرمدية عام ١٩٣٢ ٥٥١ر٧١٤ شخصاً . وهذا الرقم يزيد على رقم العام الذى قبله بنسبة ١٣ ٪ وبلغ عدد زيارات المرضى لقسم العيادة الخارجية ٦٥٤ر٧١٤ر٥ بزيادة ١٤ ٪ على رقم العام الذى قبله . وبلغ عدد العمى والعور ١٦٥ر٤٨ . وقد اتضح ان الرمد الصديدى كان بنسبة ٨ ٪ من أسباب العمى . وبلغ عدد الاطفال الذين تقل أعمارهم عن سنة واصيبوا بميكروب السيلان – وهو العامل الأكبر للاصابة بالرمد الصديدى الحاد – ٠٠٠ر٢٥٠ وقد كشف عن عدد من تلاميذ المدارس فوجد ٩٧ ٪ منهم مصابين بالرمد الحبيبى بجميع أدواره و ٣ ٪ فقط أبصارهم سليمة

ثم روى لنا حديثاً عن وزير مصرى قال له فيه ان « شركة فورد عرضت على الحكومة فى سنة ١٩٢٩ تعبيد السبل فى مصر . فتأخذ النيل من اسوان الى رشيد ودمياط على شاطئيه بطريق مكدم ممهد فى عرض ١٦ متراً على حافتيه الأشجار فى نظير أن تترك الحكومة أتومو بيلاتها تدخل مصر بلا جمرك مدة ١٠ سنين » قال الوزير « ان حكومة تلك السنة رفضت ولكنى قلبت المشروع فوجدت العرض فى صالح مصر جداً . فاعدت الكرة على الشركة أسألها فى أمريكا . فكان جوابها الرفض لأنها وجدت نفسها ستتكلف حوالى ٣٠ مليون جنيه فى حين لا تخسر مصر ما يزيد على ٤ أو ٥ مليونات موزعة على ١٠ سنوات » فتأمل ؟ ذكرنى عرض فورد بما عرضه روكفلر . روكفلر عرض التبرع للحكومة المصرية بمليونين من الجنيهات لبناء دار للآثار المصرية ولكن الحكومة المصرية رفضت الهبة فضيعت على مصر وعلى المصريين فرصة من خير الفرص

هذا مثل واحد من أمثلة المقارنة التى رواها لنا المؤلف بين ما فى مصر وما فى لبنان من نظافة وقذارة . ونظام وفوضى . ولنا فى هذه المقارنة عظة وعبرة

— الثانية : ماروا عن هوس القومية فى بلاد اليونان وجنون الاهمال فى مصر. اليونانيون يحافظون على لغتهم كل المحافظة « فالاعلانات والعناوين والاسماء والاعلام كلها هناك مكتوبة بالحرف الاغريقى . لا تقرأ اسم شارع ولا عنوان دكان ولا اسم أثر ولا علم محفل ولا شىء مما يماثل هذا إلا بلغة القوم وهجائهم. ومن يرد من اليونانيين أن يكتب عنواناً على دكانه أو اعلاناً لبضاعته بغير اللغة اليونانية يدفع للحكومة اليونانية ١٠ جنيهات ضريبة فى السنة على هذا الشذوذ »

قال « وكنا ندخل دور الآثار ونمر فى الشوارع ونزور المحافل فلا نرى مكتوباً فيها للدلالة على ما بها الا الخط اليونانى » هذه ظاهرة رآها فى بلاد اليونان « تدل على القومية اليونانية التى لا تريد أن تشرك غيرها فى عزتها . ولا أن يبين فى جانبها قسيم يشاركها فى وطنها . روح يجب احترامها وتقويتها فى نفوس النشء والأبناء) أما هنا « فقد تراخت مصر فى لغتها ونسيت أن اللغة من مقومات الأمة وعلامة وجودها . فأنت تسير فى مدينة القاهرة فى شوارع وفى مدينة الاسكندرية فى أحياء فلا تطرف

عينك باعلان أو عنوان مكتوب بلغة البلاد . وتسير فى بلاد وقرى ومدائن تعاملها البنوك والشركات فلا ترى من هـذه احساسًا بانها فى مصر العربية . وأنها تعامل المصريين الاعراب . بل اللغة فيها أجنبية والمعاملة باللغة الاجنبية والمكاتبة والمعاقدة باللغة الاجنبية . حتى ليوقـع الفلاح الوارد من ابى الشـقوق ودار البقر وكفر الجاموس على أوراق مختلفات كلهـا رص بحروف اللاتين وهو لا يعرفها ولا يدريها . والختم العربى الشريف هو وحده قيده الجامع إلى عنقه أغلال ما فى الكتاب . بل الادهى والامر اعلانات المحاكم المختلطة المصرية التى تعلن للفلاحين على أيدى محضريها المصريين كلها باللغة الفرنسية . سـواء منها صحيفة الدعوى وصورة الحكم ومحضر الحجز وانذار البروتستو . لا يختشى أحد من عباد الله فى تلك المحاكم يعرف أن اللغة العربية لغة رسمية فيها. وأن هؤلاء المعلنين لا يعرفون الا العربية فقط فيكون فى أعينهم قليل من الملح يحملهم على مراعاة الذوق فى مخاطبة هؤلاء المساكين وقد أمر سيد الخلق أن يخاطب الناس على قدر عقولهم . فما بال حكومتنا السنية لا تراعى فى رعيتها هذا الفهم من حسن الخطاب »

وما أصدق ما ختم به فصل جنون الاهمال حيث قال « أن ما يطير عقول الزائرين من المصريين اذا دخلوا يومًا دار الآثار المصرية فطافوها كلها فى دورها الاسفل ودورها الاعلى ثم لا تكحل أعينهم بحرف واحـد من حروف يعرب بن قحطان غلط فيه أبناء الدار فوضعوه على أثر من الآثار . كأن دار الآثار المصرية ليست فى مصر وكأنها معروضة لغير المصريين ، والمصريون هم بناة الدار ، المنفقون على من فى الدار واصحاب ما فيها من أبدان واعلاق وأحجار »

– والثالثة ما لاحظه من فرق كبير بين تربيتين : تربيـة الأم اليونانية لاطفالها وتربية الأم المصرية لأولادها . قال « أن الأم اليونانيـة أم تلتفت لعقل طفلها اكثر مما تلتفت لبطنه . بل لعل الجوع وترك الأكل هما النظام المتبع عند أولئك الاقوام . ولست الوم الأم المصرية على همها فيما تدسه فى بطن ابنها . فان الحياة عندنا أشبه شىء بالغربال هيهات أن تعنى بسد خرق فيه وكله خروق »

الحلقة الثالثة

طاف الكاتب فى بلاد فلسطين وسوريا ولبنان واليونان وزار دمشق وبيروت وحلب الشهباء وحمص وحماه وصيدا وصور وطرابلس وعكاء وارز الرب كما زار أثينا وميسولنجى ولوتراكى وقوله . وحدثنا عما شاهده فيها من آثار قديمة وآثار حديثة . وحدثنا عن تاريخ البقاع التى جاس خلالها والملوك والامراء الذين بنوها وعمروها كما حدثنا عن الروابط التاريخية التى تربط مصر ببلاد الشام « ذلك الارتباط التاريخى المعروف من أقدم الازمنة حينما ملك فراعنة مصر بلاد الشام أو حينما ملك عمالقة الشام بلاد مصر » ووصف وحدة القطرين الشقيقين وصفاً بديعاً اذ قال « وما هذه المسائح كلها الا مساحة واحدة يقوم لبنان فيها كما ينهد ثدى الفتاة على الصدر ثم تنبسط حوافه من قمته إلى جلدة الصدر رويداً رويداً . وصفه فى مصر بهرم مصر وأن كان الهرم مدبباً والجبل هناك واسعاً معبداً »

حدثنا عن دمشق الفيحاء وعن معاوية شيخ الملوك و « خال المؤمنين » و « كاتب الوحى وصهر الرسول والعربى الداهية الذى وضع أساس السياسة الارضية فى الدنيا لبناء الممالك وقيادة الشعوب . أول مسلم أسس للاسلام دولة وأقامها ملكاً عضوضاً راسياً على قواعد يحبه الزمن وتلافى أحداثه الذى أقام فى الشام ٤٠ عاماً مدة أمارته وملكه . . » ومعاوية كما تعلم هو « الذى حضّر دمشق واتخذها قاعدة للاسلام فلم تلبث أن صارت مجمع حواس الاسلام الخمس ومهوى افئدة المسلمين جميعاً » معاوية الذى «بعد ان كان أميراً لخليفة صار مشاقاً لخليفة . ثم صار هو الخليفة حوالى ٢٠ عاماً أى نصف ما ملك وتأمر . أيامه كلها كانت أيام فتح للاسلام حتى أيام شقاقه مع سيدنا على لم تلهه عن الاسلام » وكتابه إلى هرقل « حين هم بالخروج عليه منتهزاً خلافه مع على كتاب خالد يصح أن يكون حديثاً يتلى لخدام الوطنية فى كل زمان ومكان » . ومن أبدع ما رواه لنا عن حكم معاوية أن رجلا أغلظ له فاكثر . فقيل لمعاوية اتحلم عن هذا فقال « أنا لا أحول بين الناس والسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا » فضرب بجوابه هذا أحكم الامثال على مبدأ حرية القول

وسياسة النقد المرعية فى حدود النظام العام وهو المبدأ الذى يزعم أهل الغرب بانه من بنات أفكار حكمائهم وفلاسفتهم

والكاتب شريف حسينى من نسل سيدنا على ولكنه مسلم سنى . سرعان ما دخل دمشق حتى بدأ بزيارة قبر معاوية الكبير وقبر معاوية الصغير (ابن يزيد بن معاوية) زار قبر معاوية بدمشق وقبر خالد بن الوليد بحمص وقبر ابى العلاء بمعرة النعمان . فوقف على مشهد أعظم ملك . ومشهد أشجع قائد. ومشهد أكبر فيلسوف . وزار مسجد الوليد بن عبد الملك والجامع الاموى - درة التاريخ الاسلامى - كما زار قبر صلاح الدين الايوبى وقبر الشهيد نور الدين وقبر زنكى وقبر مؤذن الاسلام سيدنا بلال الحبشى . حدثنا ان الامبراطور غليوم الثانى زار قبر صلاح الدين فأعجبته تركيبة السلطان الخشبية فأخذها الامبراطور ونقلها إلى برلين ووضع بدلاً منها تركيبة من الرخام . ولما دخل الانجليز دمشق فى الحرب الأخيرة أخذوا تركيبة الامبراطور ونقلوها إلى لندن . فتأمل

واستوقف نظر « السائر » ثلاثة معاهد مصرية هى فخر دمشق اليوم : دار الحديث وفيها يقوم الشيخ الزاهد محدث الشام السيد بدر الدين الحسنى . ودار الكتب وهى فى المدرسة الظاهرية التى بناها الظاهر بيبرس على قبره . ودار الآثار تجاهها فى المدرسة العادلية . أما الترك (الذين بقوا فى دمشق مئات السنين) فلا أثر لهم فيها إلا تكية للسلطانين سليم وسليمان . وقد لاحظ أن دمشق وهى أقدم مدينة فى الشرق خلت من آثار الامويين الذين أقاموها وشادوها وزخرفوها . وتعجب كيف أن « الرومان الذين خلدوا شواهدهم فى كل مكان حتى فى صحراء ليبيا و بلاد شرق الاردن وفي فلسطين وغيرها قد خلت ضفاف بردى من آثارهم وتعرت أقدم مدينة من بقاياهم » . قال ان العباسيين هدموا آثار الامويين وقصور بنى أمية والخضراء التى كانت حيهم قبلى الجامع الأموى والمغانى التى تغنى فيها شعراء العرب وأدهش الامويون بها ألباب بواديهم أتى عليها بنو العباس بلا ذنب للآثار ولا جريرة للمشاهد . وعاب عليهم « نبش قبور الموتى واستخراج عظام الهالكين بحرقها وبذرها فى الريح كما فعل بنو العباس بأجداث بنى أمية »

وانى أخالف رأى الاستاذ فى قوله «ان جامع أمية أمكن من هيكل هليو بوليس» لأن هيكل هليو بوليس كان أكبر هيكل فى العالم ضم بين جنباته اكبر جامعة رواها التاريخ . حسبك أن تعرف انه كان فى الجامعة ١١٫٠٠٠ كاهن يدرسون فيها العلوم الدينية والفلسفية والتاريخ والأدب والرياضيات والفقه والطب والفلك وعلم المعادن والنحت والتصوير والموسيقى وغير ذلك من العلوم والفنون التى يتباهى بها اليوم أهل الغرب . وحسبك أن تعرف أن كبار فلاسفة اليونان تعلموا فيها مثل أفلاطون الذى هرب من أثينا ووفد على مصر بعد الحكم على سقراط بالاعدام . واودكس الذى سافر مع أفلاطون . وفيثاغور الذى حضر إلى مصر فى عهد الملك أمازيس وتعلم على الكهنة المصريين . وسولون الفيلسوف اليونانى المشهور الذى يروى انه عندما كان يتعلم فى جامعة هليو بوليس عنفه استاذه الكاهن وقال له « أنتم يا أهل اليونان كلكم أطفال» . وهوميروس شاعر اليونان الاكبر وكان استاذه الكاهن المصرى كونوفيس ، وسيدنا موسى ، وهيرودوت أبو التاريخ ومانيتون المصرى أول من وضع جداول الفراعنة

ويدلك على عظمة معبد هليو بوليس ما كان يحيط به من المسلات التى كانت تزين مدخله . منها المسلة القائمة حتى الآن فى المطرية وهى من صنع ازرتسن الاول من ملوك العائلة الثانية عشرة التى تولت الحكم قبل ميلاد المسيح بـ ٢٨٠٠ سنة . ومنها المسلة القائمة الآن امام كنيسة مارى بطرس فى مدينة الفاتيكان ونقلها إلى روما كاليجولا امبراطور الرومان . وقد نقل اباطرة الرومان مسلات كثيرة جداً إلى روما ولكنها تحطمت فى اثناء نقلها واضطر الباباوات إلى إصلاح وترميم ١٤ مسلة منها ولما حضر سترابون المؤرخ اليونانى الكبير إلى مصر زار هيكل هليو بوليس وجامعته ومكتبته . أما عبد اللطيف البغدادى الذى حضر إلى مصر فى خلال القرن الثالث عشر الميلادى فانه لم ير إلا مسلتين قائمتين واحدة هى الموجودة الآن والاخرى كانت مطمورة وعثر عليها ماريت باشا فى اثناء عمليات الحفر التى قام بها فى هليو بوليس . ولو ان قمبيز لم يدمر هليو بوليس لبقيت آثار الهيكل والجامعة قائمة حتى الآن تشهد بعظمة مصر مثل اهرام الجيزة ومعابد الكرنك ودندره وادفو والاقصر وغيرها فى مصر . وآثار بعلبك وتدمر فى سورية . وآثار الاكروبول والبارتينون فى اثينا .

وتتجلى لك روح « السائر » العربية المكية القرشية العلوية الاسلامية فى الفصل الذى كتبه عن خالد بن الوليد عندما زار قبره فى حمص إذ وقف امام قبر « تلك العظمة الحربية والنفس الأبية الجياشة بالروح السامى العالى المشع على أرجاء الاسلام بآيات النصر الذاهب مع الدهر إلى الخلود ما بقى للمسلمين وجود » قبر « خالد الخالد » الذى « هدم دولتى الدنيا الفرس والروم فى أيام الدنيا . وشاد دولة الاسلام للدنيا والآخرة » . خالد الذى « كانت حياته كلها شعلة من سراج وهاج من المهد إلى اللحد » . خالد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيف من سيوف الله » . خالد الذى تولى قيادة جيوش المسلمين وقادها من نصر إلى نصر . ولما غضب عليه سيدنا عمر بن الخطاب وولى أبا عبيدة القيادة ضبط نفسه وانخرط بسيفه البتار فى صفوف المحاربين « نفراً » عادياً بعيداً عن الراية وقبة الامارة . خالد الذى كان « لا ينام ولا ينيم » . خالد الذى كان أول من ابتدع فكرة الخدعة بالايهام camouflage فى موقعة مؤتة — تلك الخدعة التى كثيراً ما استعملها الالمان فى الحرب الكبرى . واستعملها القومندان مارشان مع السردار كتشنر فى فاشوده — إذ كان جنود خالد المسلمون ٣٠٠٠ مقاتل والعدو أضعاف أضعافه « بحيث لو مكنوا لشربوا دم المسلمين فى أقل من سبعين ثانية » . فغير خالد ترتيب عسكره « جعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة و بادل بين الميمنة والميسرة . فظن الروم أن المدد جاء المسلمين فرعبوا » وفى هذه الموقعة أوهم العدو أن مدداً وصله . ظل سبعة أيام يناوش جيش العدو الجرار وهو ينحاز إلى مؤتة و يتخلص من بين هذه المخالب الناشبة بشرف وكرامة إلى أن انقطع القتال ونجا نهائياً بجيشه الصغير وعاد سالماً إلى وطنه بالمدينة » . خالد الذى ابتكر فكرة « توحيد القيادة » عندما حارب الروم وكانوا يفوقونه عدداً وعدداً . خالد الذى نظم حركة لف ودوران هزم بها المسلمين فى موقعة أحد عندما كان مشركاً . خالد الذى كتب الله له النصر فى فتح دمشق وفى واقعة اليرموك . خالد الذى كان يقول و يعمل بمبدأ « اللامركزية » لا يتقيد بالاوامر ولا يقف على حدود الالفاظ خيفة أن تفوته المعانى على خلاف سيدنا عمر الذى كان يقول بالمركزية . إذ بالرغم من أوامر سيدنا أبى بكر له بأن يتبع الخطة التى رسمها له فى قتال المرتدين من العرب اتبع

خطة أخرى رآها أصلح وأضمن للنصر فاتبعها وكان ما اراد . خالد الذى عده الناس « ملكا غير متوج » إلى حد أن روى المؤرخون أن قريشا كانت تؤرخ بوفاة ابيه أو عمه هشام بن المغيرة لاعظامها أياه سبع سنين إلى أن كانت السنة التى بنوا فيها الكعبة فارخوا بها . خالد الذى كان فى جاهليته « قائد الفرسان وصاحب القبة » فلما أسلم لم يكتمل الحول عليه حتى نال من رسول الله لقب « سيف الله » وما بلغ الثلاثين من عمره حتى طار صيته وولاه أبو بكر قيادة الجيوش العامة وغرز فى عمامته « ريشة القيادة » (عصا المارشالية فى عصرنا هذا) وعمره دون الاربعين . وقد توفى وهو فى الثالثة والاربعين بعد أن اوصى بسلاحه وفرسه لتكون عدة فى سبيل الله .خالد الذى قال «لقد شاهدت مئة زحف أوزهاءها ما بقي فى بدنى شبر الا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ثم أموت على فراشى هكذا كما يموت العير . لا نامت أعين الجبناء » . خالد المطبوع من الحرب وعلى الحرب الذى قال «ماليلة يهدى إلى فيها عروس انا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إلى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو . . » خالد الذى كان أبوه والنبي وعم النبى عدلاء هم أزواج بنات الحارث بن حرب . خالد الذى لما مات وغسلوه وجدوا الضربات التى أصابت جسده كلها ضربات امامية لا ضربة واحدة فيها من الخلف. خالد الذى سمت نفسه الكريمة العالية إلى أن يقول حين بلغته وفاة صديقه أبى بكر وولاية بغيضه عمر « الحمد لله الذى قضى على ابى بكر بالموت وكان أحب الى من عمر . والحمد لله الذى ولى عمراً وكان ابغض إلى من أبى بكر ثم الزمنى حبه » . ولما وافته منيته أوصى عمر ببنيه . خالد الذى « أوتى بسطة فى العقل والجسم وكان فى خلقته شبيها بعمر حتى ليختلف الناس فيهما وما أدراك ما خلقة عمر تخط رجلاه الارض وهو راكب »

وقد زل بالسائر القلم عند ما قارن بين نابليون وخالد . التاريخ مزلة تزل فيها الاقلام . زل قلم فضيلة الأستاذ عندما قال «قولوا فى نابليون ما تقولون . قولوا ماشئتم فنابليون على آلاف الكتب المؤلفة فيه مجالاته كانت محدودة ومعامعه محصورة» . فلعل فرط اعجاب فضيلة الاستاذ بخالد بن الوليد هو الذى أوقع قلمه فى هذه البادرة . كيف تكون مجالات نابليون محدودة ومعامعه محصورة وهو الذى انتصر فى ٤٠ موقعة

ثل فيها عروشاً ورفع بعدها عروشاً وغلب فيهـا الايطاليين والنمساويين والاسبانيين والبلجيكيين والهولانديين والانجليز والألمان والروس والمجر والترك والمماليك. ودانت له بعدها ملوك أوربا وقياصرتها فعزل منهم من شاء. وولى من شاء ونصب أخوته واخوانه على عروش أسبانيا وهولندا وايطاليا وبسط سلطانه على نصف أوربا حتى أن رجال التاريخ والحرب عدوه أعظم قائد حربي ظهر على وجه الأرض — ولو بقي الكتاب والمؤرخون يكتبون عنه الى يوم القيامة لما ملوا وما كلوا . ولو تعاون الانس والجن على كتابة ترجمته لما وفوها حقها من العظمة والجلالة

انتقل بنا فضيلة «السائر» بعد ذلك الى « معرة النعمان » التي فيها قبر الفيلسوف ابي العلاء المعرى . وفي الجزء الأعلى لواجهة القبر كتب بالكوفية « أبو العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان » ولم يرو لنا الكاتب شيئاً عن هذا الفيلسوف مع أن اسمه الضخم يدوى فى بلاد الشرق كما يدوى اسم جوتيه وهوجو وشكسبير فى بلاد الغرب

بعد ذلك زار السائح حماه وهى التى سماها ناصر خسرو «عروس البلاد » وكل ما استوقف نظره فيها نواعيرها الدائرة على نهر العاصى . أما قلعتهـا فخربة ولا أثر لسورها وأبراجـه . قال « ويظهر لى من هذه الرحلة أن ما يسميه المؤرخون بالممالك والدول فى تلك الأرجاء كدولة آل حمدان بحلب وامارة حماه وملكها ابى الفداء انما يشبه فى زماننا ما نسمعه عن سلطنة لحج وامارة الكويت وشيخ المحمرة. وهذا يكون فى عصر الانحطاط الذى أعقب أيام العز الاسلامى ».

انتقل بنا السائح الى حلب الشهباء (عاصمة دولة بنى حمدان التى أراقـ الشعراء فيها أمخاخهم واستخرجوا لها كل وصف بديع وقول مليح) . وحلب هذه كانت قرية صغيرة فتحها العرب سنة ١٥ هجرية وكانت تتبع قنسرين التى اشترط خالد بن الوليد على أهلهـا فى صلحه معهم أن يخربها . ثم دارت بها الأيام الى أن اتسعت وعمرت وضخمت . قال « ولو انتصر الترك فى حربهم الأخيرة لكانت اليوم عاصمة الامبراطورية العثمانيـة . فان الألمان رأوها فى مكان القلب من هذه الامبراطورية وواسطـة العقد من بلاد العرب وأرض الأناضول ومجمع الشرق والغرب . فهى مهبط التجارة من هنا وهنـا لذلك أشاروا على الترك بنصبها عاصمة لملكهم الواسع

وبنوا فيها محطة بغداد على طراز عربى قل نظيره» . وروى لنا أن أهل حلب يذكرون أهل مصر بكل خير وكرامة اذ « فيها يدا بطل مصر ابراهيم باشا : مستشفاها الذى يداوى الناس فيه هو بناؤه اقامه مستشفى للعسكر فبقى وعلى رأس قاعتها المخربة تكتاته العامرة التى لا تزال مستعملة وان كانت مع الأسف يسكنها الفرنساويون وهى الآن أعمر بلاد سوريا وفلسطين » تقبوا فى تل القلعة فعثروا على سرداب يؤدى الى مخبأ بنى تحت الأرض يصلح لمقام الجند وادخار الزاد — كما فعل المتحاربون من ألمان وفرنساويين فى الحرب الأخيرة — « كشفوا فيه مقعد السلطان بيبرس وهو فى عظمته يناسب هذا الماجد الذى طوق الاسلام منته الباقية باعادة الخلافة واقامتها بالقاهرة بعد أن هزم أسلافه التتر على أيدى المصريين الذين قتلوا هولاكو الطاغية . وتحت المقعد ظهر حمام السلطان بأجرانه وأحواضه . وتحت القلعة مسجد صغير للسلطان صلاح الدين الأيوبى . وبجوار المئذنة ثكنات القائد ابراهيم باشا الذى اخترق بجند مصر هذه البلاد وكتب بسيفه سطور عزها على شوامخها وعلاليها وبيده راية النيل يظلل بها أعالى دجلة والفرات »

وحدثنا عن مسجد حلب الجامع وفيه قبر منسوب لسيدنا زكريا . قال «وصبغة حلب لا تزال تركية واللغة التركية فيها فاشية ولكن لا بد أن تنقرض فى الجيل الناشىء لأن الترك لم يبقوا لهم فى بلد احتلوه أثراً يذكر بهم أو يعلق أهله فيهم »

ثم حدثنا عن بعلبك وهيكله قديم قائم فى سهل البقاع قريباً من زحلة « والهيكل شامخ البناء عظيم الأحجار ضخم العمد . على بعد تظنه فى قيامه ممشوقاً فاذا قربت من عمود نائم أعظمت ضخامته . والشرفات الباقية ذات رواشن . كل روشن صخر منحوت على شكل حيوان أعد مجرى للسيل وفم الحيوان ميزابه . وهو فى الأصل ثلاثة أواوين للكنهة . والهيكل . والثالث كنيسة بناها المسيحيون فى فنائه » وفى ركن منه بناء أقامه العرب قلعة لجنودهم لا تزال باقية غير مهدمة

وعرج « السائر » على الأرز فى ذرى لبنان حيث توجد ٤٠٠ شجرة من الأرز لا نظير لها فى الجبل يرفعون أمره إلى آلاف السنين ويذكرون عنه حوادث لا أبينا

الخليل ويقولون أن هيكل سليمان أخذ خشبه منه وفيها شجرة مكتوب عليهـا اسم لامارتين الشاعر الفرنساوى الذى طار بذكر لبنان وتغنى بشجر الأرز ووادى حمانا

وختم فضيلة «السائر» رسائله عن سوريا ولبنان بكلمة فيها عظة لنا وعبرة. قال حفظه الله «ان أهل تلك الديار لا يعرفون الاستدانة ولم يمدوا أعناقهم لبنوك أوربا تغلها وتغلهم. والمدنيـة بعد لم تترفهم فما ولجوا أبوابها التى ولجها بعض أبنائنا والتى فتح الصهيونيون مصاريعها لأخوانهم فى فلسطين فدخلهـا الطائشون منهم بالخف والحافر. ورأيت الصناعات الشامية هناك مزدهرة فصناعة الحرير والنحاس والجلود والأقمشة رائجة مستعملة. أما صناعة الأدب التى حذقوها فى المهاجر وأنفقوا بها فليست هى فى الرواج والانقطاع لهـا والتعيش منها بالـكثرة التى كنت أظن. أى أن هذه الصناعة ليست كصناعة المادة رواجاً واقتياتاً. وليس العمل الاقتصادى مقصوراً على طائفة. فلعل القراء سمعوا بانتخاب المطران عريضه بطريركا للجبل. هذا المطران يكاد يكون أكبر اقتصادى هناك. وهو صاحب القسط الأوفر فى مصانع الكهرباء وملحقاتها بشمال الجبـل المركبة على تيار مغارة قاديشا. والدنيا الطيبة لا تنافى الدين الصـالح. والطيلسان الاسود لا يعادى عمل الاقتصاد الابيض. ورجال الدين كانوا عندنا رجال عمل يكتسبون من قبل أن يصير الدين مستغلاً خاصاً. وصاحب مذهب الفقـه الحنفى وامامه أبو حنيفه كان بزازاً يتجر وينفق من ربح تجارته على نفسه وتلاميذه إلى زمن الشيخ الانبابى شيخ الجامع الازهر فهو رحمه الله كان تاجراً كبيراً ومثرياً من عامه. فتعجب معى إذن لمنع حكومتنا موظفيها أن يكونوا تجاراً مثلاً. ماذا عليهم لو اتجروا فى غير ساعات العمل واستعانوا بربحهـا على توفير مشاغلهم للتفكر فى العيش من سم الوظيفة وهو سم الخياط».

(٣٦)

الحرب الخاطفة

نسب بعض الكتاب إلى نابليون بونابرت ابتداع الحرب الخاطفة ، وقالوا بان سر انتصاره فى جميع الحروب التى خاض غمارها انما كان فى تلك السرعة الهائلة التى كان ينقض بها على اعدائه قبل أن يتهيأوا لقتاله . اذ بينما يكونون هم فى دور التفكير يكون هو فى دور التنفيذ

والذى يرويه المؤرخون أن أول من ابتدع الحرب الخاطفة وكان سر نجاحه فى كل غزواته وفتوحاته وانتصاراته تلك السرعة الهائلة التى كان يأخذ بها خصمه قبل أن يتهيأ لمقاتلته وهو اسكندر الاكبر . وقد أخذ عنه هذا الضرب من فنون الحرب مشاهير قواد الرومان مثل يوليوس قيصر Jules César و بومبيه Pompée وانطوان Antoine واوكتاف Octave وأخذ عنه وعنهم فردريك الثانى ملك بروسيا Frédéric II وتورين Turenne وكونديه Condé من مشاهير رجال الحرب فى فرنسا وأخذ عنهم جميعاً نابليون بونابرت

ومن يطالع تاريخ نابليون يجده كان مغرماً بمطالعة الكتب التى وضعت فى حياة الاسكندر الاكبر ، وفى حياة يوليوس قيصر ، وفى حياة انيبال Annibal وفى حياة فردريك الاكبر ،وفى حياة سيبيون الافريقى Scipion l'Africain . ومن فرط اعجابه بهم نصب تمثال فردريك الاكبر على مكتبه فى باريس ، وتمثال يوليوس قيصر على مكتب آخر فى غرفة أخرى ، وتمثال انيبال وسيبيون على مكتبه فى قصر سان كلو St. Cloud ولما دخل برلين فى سنة ١٨٠٤ وسار إلى بوتسدام زار قصر سان سوسى Sans-Souci وهو قصر فردريك الاكبر وأخذ سيفه وقال : « هذا عندى أعز من تاج بروسيا » كما أخذ « المنبه » وهو ساعة من الفضة الخالصة و بقى محتفظاً به طوال الـ ٢٠٠٠ يوم التى قضاها منفياً فى جزيرة سانت هيلانة على بعد ٢٠٠٠ ميل من

اوروبا . وكان يطالع فى وقت الفراغ كتاب بلوتارك Plutarque وفيه اوفى بيان عن حياة الاسكندر الاكبر كما كان يطالع طائفة كبيره من كتب تاريخ قدماء الرومان

اضرب لك مثلا واحداً على السرعة الخاطفة التى كانت سر انتصار الاسكندر على ملوك واسراء آسيا : لما شبت الثورة فى بلاد بخارى وحاصر الثوار الحامية المقدونية فى سمرقند أرسل الاسكندر قوة كبيرة من جيشه لتشتيت القوات الايرانية وفك الحصار عن الحامية . وقع الحصار مؤقتاً ولكن الايرانيين عادوا وهجموا على جنود القوة المقدونية وابادوها عن آخرها ثم ضربوا الحصار مرة ثانية على سمرقند واسرع قائد القوة الايرانية وطلب نجدات من البلاد المجاورة . فلما علم الاسكندر بذلك وكان مرابطاً على نهر سرداريا خف فى الحال مسرعاً وقطع ٢٩٠ كيلو متراً فى ثلاثة أيام وبضع ساعات إلى أن وصل إلى سمرقند . وبمجرد ما علم قائد القوة الايرانية بقدومه هرب قبل أن يصل إليه المدد وقبل أن يتهيأ للقتال

هذه السرعة الهائلة فى ضرب العدو قبل أن يستعد كانت دائماً سياسة الاسكندر فى جميع حروبه مع الاغريق ومع الفرس ومع الافغان ومع الكرد ومع الهنود

ويوليوس قيصر وانطوان وبومبيه واوكتاف وفردريك الاكبر وتورين وكونديه ونابليون — ومن بعدهم الالمان الآن ويطلقون على هذا النوع من الحرب اسم Blitzkrieg أى الحرب بسرعة البرق وقد عربها المترجمون بكلمة الحرب الصاعقة أو الحرب الخاطفة — أخذوا عن الاسكندر هذا الضرب من فنون الحرب

وها بعض الامثلة عن حروب يوليوس قيصر ونابليون :

— بعدما انتصر يوليوس قيصر على الاغريق فى واقعة بليون Pellion — بلد صاحب قطن البليون المعروف فى مصر — زحف على طيبة بسرعة ٣٠ كيلو متراً فى اليوم الواحد على الرغم من تعب جنوده ونهاكتهم بعد انتصارهم فى واقعة بليون التى اضنتهم وجهدتهم . وهذه السرعة الهائلة سهلت له سبيل الانتصار على جيش طيبة وكسره

— وفى ٩ اغسطس سنة ٤٨ قبل الميلاد زحف لمقاتلة بومبيه بسرعة فادركه قبل أن يتهيأ للقتال وهزمه شر هزيمة

— واروع مثال نضربه على سرعة يوليوس قيصر فى ضرب عدوه (وقد سماه المؤرخون سرعة يوليوس قيصر الفظيعة l'horrible célérité de Jules César تلك السرعة الخاطفة التى خف بها لمقاتلة فارناس Pharnace ملك البوسفور فانه بارح مصر واجتاز فلسطين وسوريا واسيا الصغرى وبغت جيش فارناس قبل أن يمد اوزار الحرب وسحقه فى اربع ساعات فكانت حربًا صاعقة ساحقة ماحقة . وهذا النصر مشهور بالكلمات الثلاثة التى أرسلها إلى اصدقائه فى روما و إلى كليوباتره فى مصر بها أنبأهم بخبر انتصاره حيث قال : « وصلت ورأيت وانتصرت "Veni, vidi, vici"

* * *

وفى غزو ايطاليا سنة ١٧٩٦ وفى حروب النمسا وروسيا و بروسيا اتبع نابليون هذه السياسة نفسها :

— الم يسحق جيوش النمسا (التى كانت محتلة ايطاليا) و ينتصر عليها فى ست وقائع فى بحر خمسة عشر يومًا غنم فيها ٢١ علمًا و ٥٠ مدفعًا واسر ١٥٫٠٠٠ جندى وقتل وجرح ١٠٫٠٠٠ . ولما لم تسلم ولم تذعن زحف بسرعة البرق وقاتل النمساويين فانتصر عليهم و بلغ عدد المعارك التى نازل فيها النمساويين فى سنة و بضعه اشهر ٧٠ معركة اسر فيها ١٠٠٫٠٠٠ وغنم منهم ٢٥٠٠ مدفع . وفى أحد بلاغاته التى كان يخاطب بها جنوده تجده يقول لهم « وصلتم الآن إلى شواطىء بحر الادرياتيك على بعد ٢٤ ساعة من مقدونيا التى برز منها الاسكندر الاكبر لغزو بلاد المشرق »

وفى هذا الصدد يقول أحد حكام البلاد التى غزاها بونابرت فى ايطاليا وصفًا لسرعة زحف جنود نابليون « الفرنسيون لا يسيرون سيراً بل يعدون عدواً »

— الم يقطع هو وجيشه المسافة بين بافاريا وفيينا فى ثلاثة أسابيع بمعدل ١٠٠ كيلو متر فى كل ٤٠ ساعة فهزم النمساويين فى خمس وقائع قبل أن يدخل فيينا للمرة الثانية

— الم يهزم بلوخر الالمانى قائد الجيش البروسى على مقربة من باريس فى ست وقائع فى بحر تسعة أيام (بين شامبو بير Champaubert ومونتير و Montereau على مقربة من باريس

– الم يقطع المسافة بين درسدن وباريس فى خمسة أيام

– وفى غزو فلسطين كان يقطع أحيانا ٧٠ كيلومترا فى ١٥ ساعة

– ومن الامثلة التى يضربونها على بغتات نابليون وفجآته ما اتاه فى حربه مع النمسا فى واقعة اولم Ulm فانه لما علم بان النمساويين يستعدون لقتاله خف بسرعة هائلة وقبل أن يتهيأوا لملاقاته وجدوا جيش نابليون قد حاصرهم من كل جانب فاضطروا إلى التسليم قبل أن يطلق نابليون طلقة واحدة

– وفى جميع احاديثه كان يتمثل باسكندر الاكبر . اليس هو القائل « لولا عكا وفشل حصارها لكنت انتصرت فى واقعة كواقعة اسوس Issus ولكنت بايعت نفسى امبراطورا على الشرق كله » وكان يفكر دائما في غزو اسيا الصغرى وايران وافغانستان ليمد سلطانه إلى الهند ثم ينصب نفسه امبراطوراً على الشرق كما فعل الاسكندر الذى لقب نفسه ملك آسيا بعد أن قهر الفرس

ولم يبتدع الاسكندر فن الحرب الخاطفة فقط بل ابتدع ايضاً طريقة صف الجيش فى شكل مربع Carré ليصد العدو من الجهات الاربعة ، وقد استعملها بونابرت مع المماليك فى واقعة اهرامه المشهورة . وهى الواقعة التى انتصر فيها على مراد بك وعلى ابراهيم بك فى يوليه سنة ١٧٩٨ وسهلت له دخول القاهرة .وقد اخذها عنه محمد على باشا وابراهيم باشا فى حربهما مع الوهابيين فى بلاد العرب

وفيليب ابو الاسكندر هو الذى ابتدع الجبهة المائلة Front oblique والاسكندر تعلمها منه واتقنها وحسنها واستعملها فى حروبه مع دارا فى الوقائع الثلاثة الشهيرة التى تلاحم فيها الجيشان المقدونى والفارسى على نهير الجرانيكوس Granicus (بجوار بحر مرمرة بين بوزلاركوى وقره بيغا) وفى اسوس Issus على مقربة من خليج الاسكندرونة (بين الاسكندرونة وطرسوس) وفى جوجاميل Gaugamèle (على مقربة من نهر دجلة)

هذا ما اردت بيانه خدمة للحقيقة والتاريخ [1]

---

(١) كتبت هذه المقالة في « مجلة الجيش المصرى » عدد يناير ١٩٤١

(٣٧)

مركبة الأكل التاريخية

١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ — ٢٢ يونيه سنة ١٩٤٠

لما اندحرت الجيوش الالمانية فى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ طلب الالمان من الحلفاء فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ عقد هدنة فضرب لهم المريشال فوش قائد قوات الحلفاء موعداً غابة كومبيان . وصل القطار الذى أقل مندوبى المانيا فى وسط الغابة ووقف على مقربة من القطار الذى كان يقل المارشال فوش . استقبل المارشال فوش مندوبى المانيا فى «مركبة الاكل» الملحقة بقطاره ولما مثلوا بين يديه قالوا له «الأمر لك واليك ونحن بين يديك» فأملاهم شروطه. وبعد ٧٢ ساعة امضوا الهدنة فى هذه المركبة. وضعوا فى الارض حجراً كبيراً جعلوه تبصرة وذكرى نقشوا عليه الجملة الآتية : « هنا وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ انهار كبرياء المانيا الاجرامى بعد أن سحقتها جيوش الأمم الحرة التى حاولت المانيا استعبادها »

ولما اندحرت الجيوش الفرنساوية فى حرب سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ طلبت فرنسا من المانيا عقد هدنة . فاختار هتلر غابة كومبيان نفسها ومركبة الاكل نفسها ليمحو انتصار سنة ١٩٤٠ انكسار سنة ١٩١٨ . وفى يوم ٢٢ يونيه ١٩٤٠ أمضى الطرفان الهدنة .

زرت هذه المركبة التاريخية فى صيف سنة ١٩٢٠ كما زرت كثيراً من مواقع القتال الشهيرة مثل فردان Verdun وقلعة دومون Douomont وقلعة فو Vaux ومدينة ريمس Reims وغيرها وغيرها فكانت تعروني رعدة كلما وقع نظرى على موقع من مواقع القتال التى شهدت حرباً لم يرو التاريخ مثلها من قبل فى عدد الجيوش المتحاربة وفى عدد القتلى وفى عدد الجرحى وفى عدد المدافع وفى عدد الآلات الجهنمية التى اخترعها الانسان لقتل أخيه الانسان . إذ كانت هذه الآلات الفتاكة تحصد الأرواح حصداً بعشرات الآلاف فى كل يوم بل فى كل ساعة بل فى كل دقيقة حتى ان معركة

فردون وحدها التى انتصر فيها الجيش الفرنساوى بقيادة الماريشال بيتان قتل فيها من الفرنساويين ٤٠٠ر٠٠٠ ومن الالمان ٤٠٠ر٠٠٠ – وتذكرنى فردون وقتلاها بمحاضرة القاها فى سنة ١٩٣٦ الكاتب الفرنساوى الشهير روبير دى فلير Robert de Flers فى مدينة فيتل Vittel . سمعته يقول فيها « عندما يصنفون كتباً جديدة فى جغرافية فرنسا سيقول المؤلفون عن فردون انها مدينة عدد سكانها ٤٠ر٠٠٠ وعدد قتلاها ٤٠٠ر٠٠٠ »

وفردون هذه كانت دائماً هدف الجيوش الالمانية كلما هممت بغزو فرنسا . ففى سنة ١٧٩٢ استولى عليها الالمان. الا ان قائد الحامية عز عليه أن يسلم ويستسلم للألمان فانتحر

وفى حرب سنة ١٨٧٠ دافعت فردون عن نفسها دفاعاً مجيداً

وفى سنة ١٩١٦ عجز الالمان عن الاستيلاء عليها على الرغم من انهم حاصروها عشرة شهور وضربوها بثلاثة آلاف مدفع

وفى فردون هذه حصل الاحتفال باختيار رفات « الجندى المجهول » . اختاروا رفاته من بين رفات ثمانية من قتلى الجنود الفرنساويين الذين حاربوا الالمان فى فردون وفى اللورين وفى شمبانيا وفى السوم وفى ارتوا وفى الفلاندر وفى شمين دى دام وفى ايل دى فرانس . وقد رأس الاحتفال مسيو ماجينو صاحب خط ماجينو المشهور وقد كان عضواً فى برلمان فرنسا فوكيل وزارة . ولما أعلنت المانيا الحرب على فرنسا فى سنة ١٩١٤ استقال وتطوع فى الجيش نفراً ثم جاويشاً وبعد انتهاء الحرب عين وزيراً

ولما نقلوا رفات الجندى المجهول الى باريس احتفلت الحكومة والامة بدفنه فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ تحت قوس النصر القائم فى ميدان الاتوال (النجمة) Place de l'Etoile

والجندى المجهول رمز لابن جميع الامهات اللاتى فقدن أولادهن فى الحرب ولم يعثرن على رفاتهم . أول من فكر فى اقامة قبر للجندى المجهول فرنسا الا ان انجلترا سبقتها فى بناء قبر للجندى المجهول من قتلى جنودها

مصادفات

فى سنة ١٩١٨ وقع مندوبو المانيا على الشروط التى أملاها عليهم المارشال فوش:

- فى الشهر الحادى عشر (نوفمبر)

- فى اليوم الحادى عشر (١١ نوفمبر)

- فى الساعة الحادية عشر (قبل الظهر بساعة)

- فى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ احتل الالمان بلجيكا ٥٢ شهراً . واحتلوا شمال فرنسا ٥٢ شهراً . أما فى حرب ١٩٤٠ فاستسلم ملك بلجيكا بعد قتال لم يدم سوى ١٨ يوماً . وطلبت فرنسا الهدنة بعد تسعه أشهر

- شهد الماريشال بيتان Pétain والجنرال فيجان Weygand انتصار فرنسا فى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ وشهدا انكسارها فى حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٠

- فى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ طلبت المانيا وساطة مستر ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية لعقد الهدنة . وفى حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٠ طلبت فرنسا وساطة الجنرال فرانكو رئيس جمهورية اسبانيا لعقد الهدنة

- ومن سخرية القدر أنه لما وصل مندوبو المانيا فى نوفمبر سنة ١٩١٨ لتسلم شروط الماريشال فوش لعقد الهدنة استقبلهم الفرنساويون فى (فيلا) ولما دخلوها وجدوا فى بهوها الكبير صورة نابليون الثالث الذى كسره الالمان فى واقعة سيدان Sedan المشهورة وخسر حرب سنه ١٨٧٠ واضطر إلى تسليم نفسه وتسليم سيفه إلى وللم الأول ملك بروسيا بحضور بسمارك والماريشال مولتكى

- ومن سخرية القدر أيضاً أنه لما ركب مندوبو المانيا القطار الذى اقلهم إلى غابة كومبيان فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ظهر أن القطار الذى ركبوه كان قطار نابليون الثالث الخاص ووجدوا فرش القطار عليه حرف « ن » وهو أول حرف من اسم نابليون

- ومن أغرب المصادفات أيضاً أن كومبيان Compiègne هذه التى التقى فيها مندوبو فرنسا مع مندوبى المانيا مرتين : مرة فى نوفمبر سنة ١٨١٨ ومرة فى يونيه

سنة ١٩٤٠ — هى المدينة التى اسرت فيها جان دارك Jeanne d'Arc تلك الفلاحة الفرنساوية الامية التى لا تقرأ ولا تكتب وكانت ترعى غنم والديها ثم استلهمت ربها فاوحى اليها أن تقابل شارل السابع ملك فرنسا — الذى حاصره الاعداء فى مدينة اورليان Orléans مدة ستة شهور — فقابلته وقصت عليه رؤياها فصدقها وسلم اليها سلاحاً لتقاتل به العدو . ومع أن فرنسا كانت تعانى أشد المحن المالية والعسكرية والاقتصادية والادارية فان هذه الفتاة امتطت صهوة جوادها وجالت فى انحاء فرنسا تدعو الناس إلى الجهاد فى سبيل انقاذ فرنسا . ولما وفقها الله اكرهت العدو على رفع الحصار عن مدينة اورليان ثم دخلتها ظافرة منصورة فى ٢٩ ابريل سنة ١٤٢١ الا انه بعد ذلك اسرت وحوكمت فى مدينة روان وحكم عليها بالاعدام حرقاً ونفذ الحكم بالفعل الا أن اعدامها اغضب الفرنساويين فهبوا على بكرة ابيهم وقاتلوا اعداءهم واجلوهم عن جميع اراضى فرنسا . كانت سبب محنة فرنسا امرأة هى ايزابو Isabeau الالمانية (والدة شارل السابع ملك فرنسا) وخلاص فرنسا عن يد امرأة هى جان دارك . وفى هذا يقول المؤرخون « امرأة خربت فرنسا وامرأة انقذت فرنسا » ومن أجل هذه المعجزة قرر البابا اعتبار جان دارك هذه قديسة وصار اسمها «القديسة جان دارك» لها عيد دينى يحتفل به فى الكنائس وعيد قومى يحتفل به فى جميع انحاء فرنسا . ولدت جان دارك فى سنة ١٤١٢ فى قرية صغيرة اسمها Domrémy دومريمى . زرتها مع من زارها من السياح الذين يفدون على فرنسا من جميع اقطار العالم وزرت منزلها الذى عاشت فيه كما زرت القاعة التى ولدت فيها . وقد اعتبرت الحكومة الفرنسوية منزل جان دارك اثراً من آثار الحكومة العامة . ومدينة كومبيان هذه هى التى التقى فيها نابليون بمروسه مارى لويز بنت امبراطور النمسا (التى تزوجها بعد ان طلق جوزيفين)

— فى مستهل القرن التاسع عشر حطم نابليون الأول الجيوش الالمانية فى يوم واحد — وهو يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٨٠٦ — فى واقعتى يينا Iéna واورشتيد Auerstadt ودخل برلين واحتلها ثلاث سنين . وفى ذلك الزمان ما كانت قوة الالمان شيئاً مذكوراً بالنسبة إلى قوة فرنسا حتى أن أحد المؤرخين الالمان قال « نفخ نابليون فمحا بروسيا من الوجود »

– أثأر الالمان وحلفاؤهم لانفسهم منه وهزموه ونفوه فى جزيرة الب Elbe

– هرب نابليون من جزيرة الب ودخل باريس فى ٢٠ مارس سنة ١٨١٥

– تألبت دول أوروبا وكسرته فى ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ فى واقعة واترلو الشهيرة ثم دخلوا باريس فى سنة ١٨١٥ فسلم نابليون نفسه إلى انجلترا فاعتقلته ونفته الى جزيرة سنت هيلانة وبقى فيها اسيراً ٢٠٠٠ يوم – من ٢٨ اكتوبر سنة ١٨١٥ إلى ٥ مايو سنة ١٨٢١ – حيث وافاه أجله وعمره ٥١ سنة

– عاد الالمان إلى غزو فرنسا في سنة ١٨٧٠ واحتلوا باريس وانتزعوا من فرنسا مقاطعتى الالزاس واللورين

– ولما أعلنت المانيا الحرب على فرنسا فى سنة ١٩١٤ عادت فرنسا وسحقت الجيوس الالمانية واستردت الالزاس واللورين

– وفى سنة ١٩٤٠ عاد الالمان وأخذوا ثأرهم من الفرنساويين وانتزعوا منهم الالزاس واللورين

– فى جميع حروب نابليون الاول كانت انجلترا حليفة المانيا والنمسا وبروسيا ضد فرنسا . وفى حرب القرم سنة ١٨٥٤ كانت انجلترا حليفة فرنسا وايطاليا وتركيا ضد روسيا . وفى حرب سنة ١٨٧٠ بقيت على الحياد . وفى حرب سنة ١٩١٤ تحالفت مع فرنسا وروسيا وايطاليا و بلجيكا على المانيا والنمسا وتركيا و بلغاريا . وفى حرب سنة ١٩٣٩ انضمت انجلترا إلى فرنسا و بلجيكا وهولاندا ضد المانيا وايطاليا

– بعض اسماء البلاد كانت رمزاً تارة للانتصار وتارة للانكسار :

– خذ مثلا سيدان Sédan انهزم فيها جيش فرنسا فى حرب سنة ١٨٧٠ واضطر نابليون الثالث الى تسليم نفسه وتسليم سيفه فى أول سبتمبر سنة ١٨٧٠ الى الالمان ومن ذلك اليوم اضحى اسم سيدان رمز خذلان فرنسا وانكسارها . وفى حرب سنة ١٩١٨ أثار الفرنساويين من الالمان وحطموا جيوشهم فى سيدان فمحت آية نصرهم فى سنة ١٩١٨ فضيحة خذلانهم فى سنة ١٨٧٠ . وفى حرب سنه ١٩٤٠ عاد الالمان واخذوا ثأرهم من الفرنساويين اذ غزوا جيش فرنسا ودخلوا سيدان وسيظلون بها حتى ابرام الصلح

- وما يقال عن سيدان يقال عن فرساى Versailles تارة يُمنة وتارة شؤمة :

- فى سنة ١٧٨٣ كانت فرساى شؤمة على انجلترا و يمنة لفرنسا إذ فيها أمضيت المعاهدة التى أكرهت فيها انجلترا على التخلى عن الولايات المتحدة الامريكية والاعتراف باستقلالها

- وفى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ كانت شؤماً على فرنسا إذ امضيت فيها المعاهدة الفرنساوية الالمانية التى تنازلت بها فرنسا لالمانيا عن مقاطعتى الالزاس واللورين ودفعت لها ٢٠٠ مليون جنيه بصفة تعويض وفيها بويع ملك بروسيا فى قصر فرساى امبراطوراً لالمانيا فكان اسم فرساى رمزاً لمجد المانيا العسكرى . وفى سنة ١٩١٩ كان شؤماً على المانيا اذ فيها امضيت معاهدة ٢٨ يونيه سنة ١٩١٩ التى اعترفت فيها المانيا بانكسارها فى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ وردت الى فرنسا مقاطعتى الالزاس واللورين وسلمت اسطولها الى انجلترا وتنازلت عن جميع مستعمراتها الى فرنسا وانجلترا . فكسفت معاهدة سنة ١٩١٩ معاهدة سنة ١٨٧١ وعاد اسم فرساى رمزاً لمجد فرنسا العسكرى ولا يبعد أن يكره هتلر فرنسا على امضاء المعاهدة المقبلة فى فرساى نفسها لتجب معاهدة سنة ١٩٤٠ معاهدة سنة ١٩١٩

وقد زرت قصر فرساى أربع مرات وجلت فى صالة المرايات التى شهدت توقيع معاهدة سنة ١٨٧١ التى كانت نتيجة انتصار المانيا على فرنسا كما شهدت امضاء معاهدة سنة ١٩١٩ التى كانت نتيجة انتصار فرنسا على المانيا وربما شهدت توقيع معاهدة هتلر بعد انتصار المانيا على فرنسا

حقًا ان الدولة ريح قلَّب . والامرة برق خلَّب : صدق الحريرى

واصدق منه :

« أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . وتلك الايام نداولها بين الناس »

صدق الله العظيم

obeikandl.com

فهرس

صفحة

(١) من ميناء الأول إلى فؤاد الأول ١
(٢) ذكرى مرور ١٠٠٠ سنة على تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر ٧
(٣) السلطان عبد العزيز فى مصر ١٧
(٤) ولاية العهد ٢٩
(٥) زوجات حكام مصر من محمد على باشا الكبير الى جلالة الملك فاروق الأول ٤٣
(٦) ابناء الملوك ٥٧
(٧) شهر نوفمبر واسرة محمد على ٦١
(٨) اسم ولى العهد ٦٣
(٩) ختان ابن السلطان ٦٥
(١٠) خديو مصر وعزيز مصر ٦٦
(١١) الامراء والوظائف العامة ٧٤
(١٢) الامير ابراهيم حلمي ٧٩
(١٣) تمثال محمد على ٨٢
(١٤) بعض كبار الارمن فى مصر ٨٣
(١٥) سليمان باشا الفرنساوى ٩٠
(١٦) سليمان الحلبى ٩٢
(١٧) نابليون الأول وفاروق الأول ٩٥
(١٨) ابن الملك فؤاد الأول ٩٥
(١٩) كاهن فرعون مصر تتحقق نبوءته ٩٦
(٢٠) سلطان تركيا واقتسام بولونيا ٩٩
(٢١) فتاة فرنسية تصبح سلطانة تركيا : ثلاث فتيات من المارتنيك يتولين العرش ١٠٠
(٢٢) دعوة لاقامة ضريح وتمثال لابن خلدون ١٠٢

obeikandl.com

صفحة

(٢٣) بورسعيد وبورسعد ١٠٦
(٢٤) لماذا لا ننشىء متحفاً لآثار عظماء مصر ١٠٨
(٢٥) كيف تكافىء انجلترا رجالها ١١١
(٢٦) تخليد ذكرى المحسنين ١١٣
(٢٧) مصطفى كامل ١١٦
(٢٨) ذكريات مجيدة للجيش المصرى فى حرب المكسيك . . ١٢٠
(٢٩) معاجم اللغه الهيروغليفيه ١٢٤
(٣٠) حول اسماء بعض المدن المصرية ١٢٧
(٣١) اتا تورك ١٣٠
(٣٢) ذكريات تركية ١٣١
(٣٣) محاضرة عن مصر فى باريس ١٣٧
(٣٤) حرب مصر والحبشة ١٣٨
(٣٥) نظرة فى كتاب « رسائل سائر » ١٤٠
(٣٦) الحرب الخاطفة ١٥٤
(٣٧) مركبة الاكل التاريخية ١٥٨

obeikandl.com